

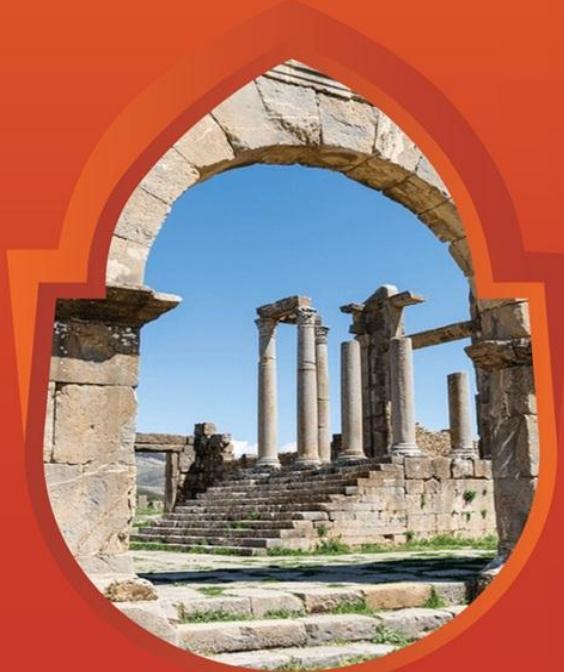


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

العلامة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيم الميلاني الجزائري
مخابر الدراسات التاريخية المعاصرة



التّراثُ الْعِمَرَانِيُّ فِي الْجَزَائِرِ عَبَرَ الْعُصُورَ

دراسات في النّمط، المنشآت، والتأثيرات

التحري والمراجعة

أ.د. (ة) نفيسة بو زيد

1447 هـ | 2025 م

الإشراف العام

أ.د. بو عباس مراد
مدير المخبر





وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة



العلامة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلاني الجزائري

مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة ببوزريعة

كتاب جماعي محكم بعنوان:

التّراث العماني في الجزائر عبر العصور:

دراسات في النّمط، المنشآت، والتّأثيرات

جمع وتنسيق ومراجعة:

أد. (ة) نفيسة دويده

الإشراف العام:

أد. بوعباش مراد

مدير المخبر

كنوز الحكمة للنشر والتوزيع

إصدار ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



**التراث العمراني في الجزائر عبر العصور:
دراسات في النمط، المنشآت، والتأثيرات**



تأليف:

الإشراف العام: جمع وتنسيق ومراجعة:
أ.د. بوعباش مراد
أ.د. نفيسة دويدة

رقم الإيداع القانوني: ديسمبر 2025
ردمك ISBN 978-9947-60-593-6

العنوان: حي المجاهدين رقم 32 ج - بن عكnoon- الجزائر
الجوال: 00213556013602

الموقع الإلكتروني: www.kounouzelhikma.com
البريد الإلكتروني: kounouzelhikma@yahoo.fr



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة التقديم:

يأتي هذا الكتاب الجماعي المحكم ليسلط الضوء على مسار العمارة في الجزائر عبر العصور، بوصفها شاهدًا ماديًّا على تاريخ طويل ومتنوع يموج بين التأثيرات المحلية والمتوسطية والإفريقية والإسلامية والأوروبية. فقد عرف المجال الجزائري تعاقب حضارات تركت بصمات معمارية واضحة، بدءًا من الإرث البوبي والليبي في أفريقيا البروونصالية، ومرورًا بتطور أنماط التخزين التقليدية والحضارية في الفترة القديمة، وصولًا إلى العمارة الدينية المسيحية التي ما تزال بعض آثارها بارزة. كما سلط هذا الكتاب الضوء على الدور المركزي الذي أداه الوقف في تشكيل المشهد العمراني والمعماري للجزائر عبر العصور، ولا سيما في الفترة العثمانية، حيث أسهم الوقف في تنظيم النسيج الحضري للمدن الكبرى مثل مدينة الجزائر، وفي تأسيس وبناء مساجدها الجامعية التي تكشف الشواهد الأثرية والمعطيات التاريخية عن تطورها ووظائفها. ويطرق الكتاب كذلك إلى المعالم الدينية التي شكلت قلب الحياة العمرانية بالمدينة العثمانية، اعتمادًا على الرصيد الأرشيفي المحلي الثري.

ولا يُغفل هذا العمل العمارة التقليدية للمدن العتيقة، بما في ذلك القصور الصحراوية والجبيلية التي تعد نموذجًا فريدًا للهندسة الملائمة للمحيط الطبيعي والاجتماعي، فضلًا عن إبراز الهوية العمرانية المتعددة الأعراق في مناطق مثل تمنطيط، والمعالم المعمارية التي تُجسد خصوصية المدن الصحراوية كمدينة قمار، حيث يتكمّل التراث المعماري مع التنوع الثقافي والعرقي للسكان. كما يناقش الكتاب الإرث الثقيل لبعض الملامح

السلبية للعمارة الكولونيالية التي حاولت محو الخصوصية المحلية وإعادة تشكيل المجال العمراني بما يخدم الأهداف الاستعمارية؛ وهو ما يجعل القصور الصحراوية اليوم أرشيفاً مفتوحاً في مواجهة محاولات التزييف وإعادة القراءة المنحازة للتاريخ المعماري للجزائر.

إن هذا الكتاب، بتنوع مقارباته التاريخية والأثرية والمعمارية، يقدم مساهمة علمية نقدّر أنها مهمة لفهم تطور العمران الجزائري عبر الأزمنة، ويفتح آفاقاً جديدة للبحث الأكاديمي حول الهوية المعمارية للجزائر وسبل صونها وترقيتها.

وفي الأخير لا يعني إلا إسداء آيات الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور مصطفى بن حموش على ترحابه بمشروع الكتاب ودعمه الدائم، وكذا خالص الامتنان لإدارة المدرسة العليا للعلوم الإسلامية بجامعة الجزائر على فتح مجالات التعاون العلمي، ووافر المحبة لكل الباحثين المشاركين.

أ.د/ نفيسة دويده

فهرس المحتويات

الصفحة	المؤسسة الجامعية	عنوان المقال	اسم الباحث
09	المدرسة العليا للساتنة قسنطينة	العمان البوبي والليبي في أفريقيا البروونصلية من خلال المصادر الرومانية: ساولستيوس وبلينوس الكبير نموذجًا	د. وافية نسيفاوي
28	جامعة الجزائر 2	المخازن التقليدية والمخازن الحضرية في الجزائر في الفترة القديمة	ط/د نوال بougabat
59	جامعة الجزائر 2	تاريخ العمارة الدينية خلال الفترة المسيحية بالجزائر (مدينة جميلة الاثرية كنموذج)	ط/د. عائشة بن عفري
95	دار القرآن – المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية جامعة سطيف	دور الوقف في تطور العمارة الجزائرية عبر العصور	ط/د. نور الإسلام بوراس د. صابر بن عائشة
124	المدرسة العليا للساتنة ببوزريعة	الوقف ومسألة التنظيم العماني للجزائر في الفترة العثمانية (مدينة الجزائر نموذجًا)	د. صليحة بوزيد

150	جامعة خميس مليانة	تأسيس مساجد مدينة الجزائر الجامعة على ضوء المعطيات التاريخية والشاهد الأثرية. محاولة تأريخية	د. أمين محز
189	جامعة تيارت جامعة المسيلة	الميكلة العمرانية والمعمارية للمدن العتيقة بالجزائر: حالة القصور الصحراوية والجبيلية	د. برغيبة فاطمة الزهراء أ. د خلف الله بوجمعه
215	جامعة بسكرة	المعالم المعمارية التي تبرز هوية المدن الصحراوية مدينة قمار انموذجا	عبد الله محنط
236	دار القرآن – المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية	بعض الملامح السلبية للعمارة الكولونيالية في الجزائر	ط/د. سارة حُمورة
268	جامعة مستغانم	القصور الصحراوية أرشيف مفتوح يواجه التزييف	د. عبد الحميد خليفة
286	دار القرآن – المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية	الهوية العمرانية والتعدد العرقي في تنظيم (قراءة في التراث المعماري والتنوع الثقافي والعرقي)	ط / د مريم زمام أد بن حموش مصطفى

326	جامعة سطيف 2	ملامح التنظيم العمراني والمعماري للمدينة في المغرب الأوسط	د. حفيظة هادي
359	جامعة خميس مليانة	المنشآت الدينية بمدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال الرصيد الأرشيفي المحلي - مساجد المدينة نموذجا	د. مهدية طيبي
396	دار القرآن المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية	تجليات الهوية الجزائرية في عمارة المسكن (قراءة في القيم الإسلامية والأبعاد الثقافية)	ط د/ عبيش أمنية

العمان البوبي والليبي في أفريقيا البروتنصلية من خلال النصوص الأدبية:

سالوستيوس وبلينوس الكبير نموذجا

د/ وافية نسيفاوي

المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

مقدمة:

من أهم الإشكاليات التي تطرح في دراسة الحياة العمانية السابقة للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم هي ما مدى وجود موضوع العمان السابق للاحتلال الروماني في المصادر الإغريقية والرومانية التي تناولت التاريخ القديم لبلاد المغرب، إضافة إلى ما مدى مصداقيتها في المعلومات التي احتوتها حول المدن. هذا وتعتبر مقارنة المعلومة المصدرية بما يوجد في الواقع وما أسفرت عنه الحفريات، من أهم المشاكل التي يصادفها المؤرخون، كذكر تلك النصوص لأسماء مدن لا توجد في الواقع أو العثور على مدن لا يوجد لها ذكر في تلك النصوص.

أولاً: أهم الإشكاليات حول أصل ونشأة العمان في بلاد المغرب القديم

تعتبر الحياة العمانية أو الحضرية في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني، من بين أهم المواضيع التي حضيت بقسط وافر من الدراسات والأبحاث خصوصاً في وقتنا هذا. وهي دراسات بنيت على آخر الأبحاث

والتنقيبات في مختلف المناطق، وذلك من أجل رسم صورة للحياة فيها. وآسفت التنقيبات الأثرية عن المئات من النقائش وأطلال المدن، ظهر من خلالها المغرب القديم وخصوصاً المناطق الشرقية منه، في أوج العمران والتحضر خلال الاحتلال الروماني، ودعمت تلك البقايا الأثرية، الفرضية التي تقول بأن العمران بدأ منذ فترة الاحتلال الروماني¹. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: ما مدى صحة الفرضية السابقة؟ وهل كان في بلاد المغرب القديم حياة عمرانية سبقت الاحتلال الروماني؟ وإن وجدت تلك الحياة كيف كان شكلها وكذا طبيعتها؟، وما هي المصادر التي تحدثت عن ذلك؟ إلى غيرها من الأسئلة التي تطرح نفسها على المهتمين بالتاريخ العثماني للمنطقة.

وفي هذا السياق، كان لابد علينا من إلقاء نظرة حول الحياة العمرانية في بلاد المغرب عامة وأفريقيا البروونصالية خاصة عشية الاحتلال الروماني وذلك من أجل مناقشة أهم الإشكاليات التي طرحت حول الموضوع ثم التعرف على مصادر معلوماتنا وكذا الوقوف على أهم المدن السابقة للاحتلال الروماني. وعند تصفحنا للعديد من الدراسات الجادة، صادفتنا العديد من الإشكاليات التي طرحت حول الحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني، ينتظر الكثير منها لإجابات ومزيد من الأبحاث والتنقيبات الأثرية العلمية الجديدة. هذا ويمكننا عرض أهم تلك الإشكاليات فيما يلي:

¹ - A. Mahjoubi, villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique, 2^{ème} édition revue et augmentée, centre de publication universitaire, Tunis, 2011

1- حجم معارفنا حول الحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني؟ :

إذا ما تفحصنا المصادر الأدبية الكلاسيكية الإغريقية والرومانية، نصادف غموضا يعتري موضوع العمران البوني وعدم وضوحيه في داخلها. ويبدو أن السبب في ذلك ليس العمران نفسه، وإنما نجد نفس الغموض يدور حول كل ما يتعلق بالدولة القرطاجية وإدارتها وعمرانها وكذا علاقتها برعاياها وكذا حقوقهم وواجباتهم.

وامتد ذلك الغموض إلى المدن التي كانت موجودة خلال الفترة القرطاجية سواء داخل التراب القرطاجي أو خارجه¹. وبالتالي فإن المعلومات العامة حول العمران والحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني سطحية في تلك المصادر مقارنة بالعمران بعد الاحتلال. حيث ركزت النصوص الإغريقية واللاتينية على بعض النواحي السياسية والعسكرية للدولة القرطاجية ولم تهتم بالنواحي الأخرى مثل العمران². وترجع أسباب ذلك إلى الظروف التي كانت تحيط بالكتابات التاريخية الإغريقية واللاتينية التي أرخت للدولة القرطاجية، كان من بين أهمها الخلفيّة الثقافية والحضارية لتلك النصوص. إضافة إلى كون أصحاب تلك النصوص أجانب عن المنطقة مما أثر على حجم المستوى المعرفي لهم لكل ما يتعلق

¹- S.Crouzet, « Les statuts civiques dans l'Afrique punique, (De l'histoire moderne à l'histoire antique) », MEFRA, 115, 2, (2003), pp. 655-703

²2 - A.Mahjoubi, « L'urbanisme de l'Afrique antique à l'époque préromaine. », op.cit.

بالأمور الداخلية للدولة القرطاجية البعيدة عن السياسة العسكرية والحروب التي خاضتها قرطاج ضد الرومان كالحروب البونية.¹

2- أصل العمran في بلاد المغرب القديم وأسباب نشأته:

لم تشر النصوص الأدبية الكلاسيكية إلى أصل المدن السابقة للاحتلال الروماني ولا حتى كيف نشأت. وأمام تلك الثغرة المعرفية، لجأ الباحثون من أجل ملئها إلى المصادر المادية، ولكن واجهتهم صعوبات كبيرة تدور حول معرفة البدايات الأولى للحياة العمريانية في بلاد المغرب القديم. وفي هذا السياق وخلال منتصف القرن الماضي، كشفت أبحاث (G. Villemot) عن وجود بقايا أثرية دلت على وجود تبادلات تجارية في عدة مواقع في سواحل الغرب الجزائري وهي جزيرة رشدون ومرسى مداخ وميناء الأندلسيات، وأيضاً على وجود حياة سكنية أو إقامات سكنية في تلك المواقع تعود إلى القرنين السابع أو السادس ق.م كانت على علاقة مع العالم المتوسطي (الفينيقيون وإيطاليا وشبه جزيرة أيبيريا)². وأعاد فيما بعد الباحث (P.A.Fevrier) عرض الدراسات السابقة بقراءة جديدة ووسعها إلى مناطق أخرى تمتد من سواحل المغرب الأقصى إلى السواحل الوسطى والشرقية للجزائر، بين من خلالها وجود حياة عمرانية مبكرة تعود إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، كما كان لتلك المناطق علاقات تجارية مع الفينيقيين

¹ - S.Crouzet, op .cit., pp.655-703

² - G.Villemot, Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autun, Musée Rollin, 1965 ,

وصقلية و بلاد الإغريق وكذا إيطاليا¹. وعلى الرغم مما سبق نشره من الباحثين السابقين، وعلى الرغم من وجود بقايا أثرية مدعمة لاستنتاجاتهم، إلا أنه ظلت هناك فجوات تتعلق بأصل العمran و شكله الأول في تلك الواقع. ولهذا السبب اختلفت و جهات النظر ما بين العديد من المؤرخين، فالكثير منهم من نظر إلى تلك الواقع على أنها بونية من تأسيس الفينيقيين، أسمى لأسباب متعلقة بتوفير الخلجان الطبيعية و ضرورة استراحة السفن إلى غيرها من الأسباب الخارجية دون أن يطروحوا على أنفسهم تساؤلات يبدو لنا أنها في غاية الأهمية كونها قد تؤدي إلى إيجاد إجابات حول إمكانية وجود حياة عمرانية محلية ليبية². ومن بين تلك التساؤلات نذكر:

-هل كانت تلك الواقع عبارة عن مجرد محطات لاستراحة السفن الفينيقية، أم تعدى أمرها بأن تحولت إلى مصارف (Comptoirs)؟ و إن نحن تقبلنا وجود مصارف فهذا يعني وجود تبادلات تجارية كما ورد عند هيرودوت الذي تحدث عن المساعدة الخرساء بين الليبيين والفينيقيين. وهذا يعني بالضرورة وجود ديناميكية معينة نشأت بين الوافدين الجدد وبين المجتمع المحلي الذي كان موجودا بالتأكيد في تلك الواقع.

إن وجود مثل تلك "الдинاميكية" حسب رأي "فيفرري" يؤدي حتما إلى تقبل فكرة الدور الذي يكون قد لعبه الليبيون في تلك الواقع الساحلي.

¹ - P.A.Fevrier, « Les origines de l'habitat urbain en Maurétanie césarienne. », Journal des savants, (1967), pp.107-123.

² - P.Cintas, Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, Paris, 1954 .

أي الدور الذي لعبوه في نشأتها وتطورها إلى مراكز عمرانية ومدن فيما بعد ومن ثم يمكننا تسمية تلك المراكز العمرانية بـمراكز عمرانية ليبية بونية عوض تسميتها مراكز فينيقية أو قرطاجية فقط كما ورد في الكثير من المصادر والأبحاث القديمة.¹

ومن هنا، يجب الاعتماد على كل الشواهد المادية والأثرية من أجل التعرف على الوجود الأول للحياة العمرانية في تلك المراكز الساحلية، وذلك من أجل التعرف على دور الليبيين في نشأتها وتطورها قبل الاحتلال الروماني، ذلك الدور الذي إن عرف فسيكون الدليل على وجود امتزاج حضاري ليبي فينيقي في تلك المراكز الساحلية كبعض الطقوس الليبية التي أثبتت وجودها في تلك المراكز مثل عادات حرق الموتى². ولا تعتبر ظاهرة الامتزاج الحضاري بين اللوبين والفينيقين أمرا نادرا في ربوع المغرب القديم حيث وصلت تلك الظاهرة إلى مناطق داخلية كثيرة وأثبتتها الأبحاث الأثرية وأصبحت في وقتنا الحاضر أمرا لا يحتاج إلى نقاش. فلقد انتقلت إشكالية معرفة أصل المراكز العمرانية إلى صعوبة التعرف على أسباب نشأة الكثير منها خاصة المدن التي يعتقد أنها مدن بونية، حيث أقر الكثير

¹ - P.A.Fevrier, « Urbanisation et Urbanisme de l'Afrique romaine », A.N.R.W, 1982. p. 331

²- طرح كامبس نظرية حول عادة حرق الموتى و إمكانية وجودها عند الليبيين منذ العصر الحجري الحديث. انظر:

-G.Camps, Aux origines de la berbérie, monuments et rites funéraires prothistoriques, Paris, 1961, pp.503-504

من الباحثين بصعوبة معرفة إن كانت تلك المدن أُسست بسبب تجارة الفينيقين أم أُسست بسبب سياسة الاستيطان القرطاجية فيما بعد.

ويقودنا هذا التساؤل إلى مشكل آخر لا يقل أهمية وهو الكشف عن تاريخ المدن السابقة للاحتلال الروماني وكذا عن تاريخ تطورها وكذا الأسباب والعوامل المساعدة على ذلك. وتعتبر قضية معرفة أسباب وعوامل تطور المدن قضية مهمة جدا، خصوصا إذا أخذنا المدن الداخلية البعيدة عن التأثيرات القرطاجية، والتي يمكن أن تختلف من مدينة إلى أخرى مثل التجارة أو التطور الذاتي أو الاستيطان الأجنبي¹.

3- الامتداد العمراني في بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني:

إذا اقترنت العمارة العصرية السابقة للاحتلال الروماني بالوجود البوني فهذا يعني أن المراكز العمرانية انتشرت على السواحل فقط. ولكن هل هذا صحيح أم أنها انتشرت في مناطق داخلية بعيدة عن التأثيرات القرطاجية الفينيقية وبعيدا عن تأثيرات حضارات أخرى متوسطية كالإغريقية. ويبدو أن المناطق الداخلية بدورها عرفت حياة عمرانية منذ أزمنة موجلة في القدم تمتد إلى فجر التاريخ عندما عرف الإنسان هناك حياة الاستقرار وبنى المقاابر الحجرية وصنع الفخار الليبي المقولب خصوصا في المناطق الشرقية. وهكذا بدأت منذ تلك الأزمنة، الحياة العمرانية المحلية في المناطق الداخلية في شكلها البدائي بعيدا عن التأثيرات الخارجية الفينيقية على الخصوص، لتكون وبالتالي القاعدة الحضارية والعمرانية للممالك النوميدية -الشرقية

¹ - P.Fevrier, « Urbanisation et urbanisme de l'Afrique romaine », op.cit., pp. 329-335

على الخصوص- وأيضا قاعدة للمجال العمراني الكثيف الذي ستعرفة المنطقة خلال الاحتلال الروماني فيما بعد. والتي ستكون فيما بعد المقاطعات الرومانية الشرقية التي ضمت أفريقيا البروونصلية و نوميديا¹. ومن هنا تكون قد قدمنا لحة عن أهم الإشكاليات التي طرحت حول العمران والحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني. ولقد استخرجناها من أهم الأبحاث والدراسات التي تناولت التاريخ العمراني لبلاد المغرب القديم ابتداء من المدرسة الاستعمارية إلى وقتنا الحالي. وجد البعض منها إجابات، في حين ينتظر البعض الآخر المزيد من الأبحاث والدراسات الجادة.

ثانياً: العمران البوني والليبي في النصوص الأدبية:

ذكرت عدة نصوص أخبارا عن عمران بلاد المغرب القديم كوصف السواحل الذي ورد عند هيكاتي الميلتي ورحلة حنون وكذا رحلة سيلاكس، حيث وردت فيها أسماء مدن يبقى الكثير منها غامضا سواء أسماؤها أو مواقعها. أما أحسن تلك المصادر في هذا الموضوع هم بوليبيوس وديودور الصقلي وتيتوس ليفيوس الذين أرخوا خلال الحروب البونية أي

¹ - استطاع الباحثون أن يقارنوا بين خريطة توزيع الفخار المقولب الليبي الأصل و مقابر الدولن و البازيناس مع خريطة انتشار المدن الرومانية في بلاد المغرب فوجدوا أن الخريطتان تتطابقان في الجزء الجنوبي منهما و هي نفس المنطقة التي ستتأسس عليها فيما بعد المملكة النوميدية. مما يدعو إلى الاعتقاد أن حضارة عمرانية ليبية محلية نشأت في المناطق الداخلية و هي التي حضرت للمدن الرومانية فيما بعد. الخريطة الأولى وضعها غابريال كامبس، أما القراءة فهي ل "فيفربيه" أنظر:

217-216.G.Camps, Monuments et rites funéraires,...op.cit . , pp-

- P.A.Fevrier, « Les origines de l'habitat... » op.cit., p. 122

خلال قوة قرطاج. وقد أورد أصحاب النصوص الثلاثة معلومات عن الإدارة القرطاجية و امتداد دولتها وكذا مدتها مثل دوقة و هيكاتومبيل وسيكا مع ارتقاهم أخطاء تمثلت في سوء تبيين علاقة تلك المدن بقرطاج و نوع تبعيتها لها. حيث رأوا قرطاج بعين رومانية ولم يكتروها بها كثيرا. وتبقى تلك المصادر مهمة لنا في التعرف على أسماء المدن المنتشرة في التراب القرطاجي أو النوميدي، وكذا عددها. حيث ذكر ديودور حوالي 200 مدينة، لكن الغموض يحيط بموقع الكثير منها. كما وردت معلومات عن مدن نوميدية مثل سيرتا عاصمة الماسيليين عند تيتوس ليفيوس وعند سترابون، هذا الأخير الذي ذكر حوالي 300 مدينة تقع كلها في ليبيا وكانت قرطاج تسسيطر عليها في بداية الحرب البونية الثانية، كما ذكر تيتوس ليفيوس أن مسينيسا أخذ من قرطاج حوالي 70 مدينة وقرية، بينما ذكر أبيانوس أن عدد المدن التي أخذها ريغولوس كان 200 مدينة. هذا وقد تناولت نصوص أخرى موضوع العمران بعد سقوط قرطاج في الفترة التي تقهقر فيها العمران البوني بسبب الحروب مثل حرب يوغرطة و الحرب الأفريقية، على غرار المؤرخ سالوستيوس، حيث ظهرت عنده نظرة سوداء حول انكماش للمدن وقلة عددها. رغم ذلك نجد نصوصا أخرى مهمة لا غنى لنا عنها مثل نصوص بلينوس الكبير الذي وضع قائمة مهمة للمدن التي كانت موجودة في عهد أغسطس في أفريقيا البروقنصلية، ويشاركه في ذلك صاحب كتاب "الحرب الأفريقية". مما هو يا ترى حجم معارفنا حول العمران السابق للاحتلال الروماني من خلال هذين المصادرين المؤرخ الروماني سالوستيوس والجغرافي بلينوس الكبير حيث أخر الأول نهاية الجمهورية الرومانية وعكس معلوماته الحياة العمرانية في أفريقيا خلال

تلك الفترة و بالتالي اختلفت معلوماته تلك عن المصادر السابقة . أما بلينوس الكبير الذي خصص الجزء الخامس من موسوعته للتحدث عن بلاد المغرب القديم، فقد وصف أفريقيا البروونصلية ومدنها ووضع تصنيفًا للمرأكز العمرانية فيها. وعلى الرغم من أن بلينوس الكبير يعتبر من المصادر المتأخرة عن الفترة البوئية باعتباره من مؤرخي الفترة الإمبراطورية، إلا أن قائمة المدن التي وضعها تعتبر من بين أهم القوائم والمصادر المهمة للباحثين من حيث المعلومات المهمة التي احتوت عليها رغم ما فيها من أخطاء تاريخية ومعلومات لا تلاءم مع الفترة الزمنية التي عاش فيها.

1- سالوستيوس (35-87) ق.م : هو كايوس سالوستيوس كريسيوس، من الكتاب الذين أرخوا لعصر الجمهورية الرومانية. كان ينتمي إلى أسرة من العامة، ويناصر الحزب الديمقراطي وعلى رأسه يوليوس قيصر. شغل عدة مناصب سياسية كمنصب محامي لل العامة وعضوا في مجلس الشيوخ الروماني من سنة 51 إلى 46 ق.م. و عند عودته من مقاطعة أفريقيا الجديدة أين شغل هناك منصب بريتور سنة 46 ق.م، أتّهم بهب الولاية، فاعتزل السياسة وتفرغ للكتابة انتقاما من الطبقة النبيلة. أهم مؤلفاته: "حرب يوغرطة" و "مؤامرة كاتيلينا"¹. وقد جمع في كتابه "حرب يوغرطة" عدة معلومات، منها ما يخص الحرب في حد ذاتها، وكذا إشارات إلى أصل الليبيين التي رأى فيها الباحثون نسجا من الخيال لا يستند إلى الحقيقة التاريخية. أما بالنسبة لموضوع العمran، ورغم أن سالوستيوس متاخر عن الفترة البوئية، وكتب بعد سقوط قرطاج سنة 146 ق.م، إلا أنه يمكننا

¹ - عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970، ص. 13-14

الاستفادة من كتاباته، حيث أورد معلومات مهمة حول بعض المدن التي كانت موجودة أثناء الفترة التي دارت فيها حرب يوغرطة، والتي دارت فيها معارك بين الملك النوميدي يوغرطة وبين الرومان. وفي هذا السياق، ذكر سالوستيوس أنه كانت هناك الكثير من المدن المحسنة وقلاء عديدة، محسنة بأسوار ومحاطة بعدة قرى زراعية توجد في منطقة باجة¹. كما أشار أيضا إلى أن العديد منها دمر أثناء حرب يوغرطة، مثل مدينة سوتول (Suthul)، التي من المرجح أن يكون موقعها في التل التونسي. كما ذكر أيضا مدينة "ثالة Thala"، التي عرف فيما بعد أنها نفس المدينة التي وجدت في الفترة الإمبراطورية جنوب مدينة قفصة و التي دمرت من طرف يوغرطة². ومن جهة ثالثة، ذكر سالوستيوس أن مدينة قفصة كان قد دمرها الرومان خلال حرب يوغرطة. وأضاف أيضا أنها كانت مدينة كبيرة ، يمكن أن تكون خاضعة للقرطاجيين نظراً لموقعها الإستراتيجي في مفترق الطرق، و غناها بالمياه. وقد تأثرت مدينة قفصة بالحضارة البوانية، نظراً لنظام الأشفاط وهو نظام حكم بوبي استمر فيها إلى غاية الاحتلال الروماني وبالضبط إلى غاية عهد الإمبراطور تراجان.³

وفي الأخير يمكننا القول أن المعلومات السابقة لـ سالوستيوس، عكست الحياة العمرانية في المغرب القديم خلال القرن الأخير من الجمهورية

¹ - -A.Mahjoubi, Villes et structures urbaines..., op.cit. p.23

² - -J.Toutain, « Les progrès de la vie urbaine dans l'Afrique du Nord sous la domination romaine » dans, Mélanges Cagnat, Paris, 1912

. p.322

³ - -ST.Gsell, HAAN, T.II, pp. 98-99

الرومانية. ويبدو حسب كتابات سالوستيوس أن تلك الحياة اختلفت عن القرون السابقة عندما كان عدد المدن في الدولة القرطاجية يقارب المائة مدينة. وقد ظهر صدى تلك المعلومات في نصوص أخرى مثل نصوص سترابون و بومبونيوس ميلا وبلينوس الكبير التي تحدثت عن تقهقر العمران البوني في القرن الأخير من الجمهورية الرومانية وبداية الإمبراطورية بسبب الحروب التي عرفتها المنطقة خصوصا في شرق المغرب القديم، وكان من بينها حرب يوغرطة وال الحرب الأهلية بين قيصر وخصومه في أفريقيا. وبذلك ذكرت تلك النصوص أن معظم المدن تركت في السواحل أو في المناطق التلية وأبعد المدن الداخلية كانت سيرتا و الكاف وزاما ولارس¹. ويبدو أن تلك النظرة السوداء حول حالة العمران البوني قبيل الإمبراطورية الرومانية إن لم تكن حقيقة فهي تعكس نظرة النصوص الرومانية للدور الحضاري الروماني في بلاد المغرب القديم ودور الرومان في بعث الحياة الرومانية من جديد. وقد استغل مؤرخون كثيرون فيما بعد تلك المعلومات ليبعدوا عن بلاد المغرب القديم السابق للاحتلال الروماني كل مظاهر الحياة الحضرية والمدنية التي ستبدأ من وجهة نظرهم مع الاحتلال الروماني.

¹ - J.Toutain, « Les progrès de la vie urbaine... », op.cit. , pp. 319-325

-**بلينوس الكبير** (Pline l'ancien) (: 23 – 79) م: هو عالم موسوعي، عاصر الإمبراطور فسباسيان وكان مقربياً منه. بلغ عدد مؤلفاته حوالي 102 مؤلف لكنها ضاعت ولم يصلنا منها سوى موسوعة "التاريخ الطبيعي" التي كتب فيها عن علوم الجغرافيا والأجناس والسلالات البشرية وعلوم الحيوان والنبات والصيدلة والمعادن والتعدين. وقد خصص بلينوس الجزء الخامس من موسوعته تلك للتحدث عن بلاد المغرب القديم، وركز معلوماته حول جغرافية المنطقة وعن وديانها وعن الحدود بين الممالك النوميدية. كما أشار إلى منطقة الميتاغونيس التي جاءت في المصادر التي سبقته، ووضح أنها تمتد غرب رأس بوقرعون ولم يوضح أين تنتهي¹. هذا وقد أفرد بلينوس الكبير قسماً من كلامه لوصف أفريقيا البروونصلية ولمنها، وألهم من ذلك أنه وضع تصنيفاً لتلك المراكز العمرانية الموجودة في المنطقة².

وعلى الرغم من أن بلينوس الكبير يعتبر من المصادر المتأخرة عن الفترة البوئية باعتباره من مؤرخي عهد الإمبراطورية، إلا أنه اعتمد في تدوين معلوماته عن مدن أفريقيا البوونصلية على مصادر تعود إلى حكم الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس أي إلى بداية الإمبراطورية الرومانية³. وبذلك تعتبر قائمة المدن التي وضعها بلينوس الكبير، من أهم القوائم والمصادر المهمة للباحثين من حيث المعلومات المهمة التي احتوت عليها، رغم

¹ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. 110.

² - -S.Aounallah, Pagus, Castellum et Civitates, étude d'épigraphie et d'Histoire sur le village et la cité en Afrique romaine, Paris, 2010 . pp. 44-45

³ - Ibid, p. 44

ما فيها من أخطاء تاريخية خصوصا في عدم تلاؤم التصنيف القانوني للمدن الذي وضعه بلينوس الكبير، مع الفترة الزمنية التي كان يعيش فيها و ذلك لاعتماده على مصادر تعود إلى فترات زمنية سابقة لعصره. وليس موضوعنا هو مناقشة الأخطاء التي جاءت في تلك القائمة بقدر ما هو استغلال لها للتعرف على أسماء المدن التي كانت موجودة في عهد أغسطس، لأنه وحسب الأبحاث والدراسات، تبين أنه خلال القرن الأول من الاحتلال الروماني إلى غاية عهد أغسطس، لم تستجد أمور في ميدان التمدن وخصوصا خلق أو بناء مدن جديدة. وبالتالي فإن قائمة بلينوس مهمة لنا للتعرف على المدن البوانية خلال بداية الاحتلال الروماني، التي يبدو أنها تقريرا نفس المدن البوانية السابقة للاحتلال بدليل أن أسماء المدن التي ذكرها بلينوس الكبير هي نفس الأسماء التي ذكرتها المصادر السابقة له والتي أرخت للفترة ما قبل 146 ق.م.¹. وإذا عدنا إلى قائمة بلينوس الكبير، نجده قد ذكر حوالي 53 مدينة مصنفة إلى: المستعمرات في المرتبة الأولى، وفي المرتبة الثانية نجد الأوبيدا (oppida) هذه الأخيرة التي يصنفها إلى أربعة أصناف ثم في المرتبة الثالثة وهي الأكبر حجما تضمأغلب المجموعات السكانية في أفريقيا وأطلق عليها بلينوس مصطلح (nationes)². وقد وجد الباحثون صعوبة كبيرة في تطبيق قائمة بلينوس على الواقع المزمان له، وأيضا في تفسير عدد من المصطلحات التي استعملها مثل كلمة (populi) وكلمة (oppidum)، وكذا في معرفة السبب الذي جعله لا يستعمل مصطلحات قانونية أكثر دقة كانت موجودة في عصره مثل مدينة

¹ -Ibid, pp.48-57

² -- Pagus, Castellum et Civitates..., op. cit, p.44

أجنبية أو بلدية ذات قانون لاتيني أو روماني أو مصطلح باجي¹. Pagus وبالرغم من ذلك، ورغم اختلاف المصطلحات القانونية التي ذكرها بلينوس الكبير، يبقى مصطلح مدينة (Civitas) هو المهم بالنسبة إلينا، مثل سيرتا وسيكا (الكاف) وقرطاج وماكسولا وطبرقة وأوتيكا وغيرها كثير.

- الأوبيدوم حسب بلينوس الكبير: ذكر بلينوس الكبير في الفقرة الأولى من كتابه الخامس مصطلحي أوبيدوم (Oppidum) وكاستيلا (Castella) على أن لهما نفس المفهوم العمراني ولم يفرق بينهما: "إن أسماء الشعوب والأوبيدا التابعة لها كلها وعلى الخصوص صعبة النطق إلا من من طرف الأهالي، هؤلاء الذين يسكنون مجرد كاستيلا بسيطة".² ومن جهة ثانية، ذكر كذلك بلينوس الكبير في قائمته أن هناك مدنًا تحمل مصطلح (Oppida Civium Romanorum)، وأوضح أنها مدن تحوي داخلها ما يعرف به (Conventus) أي مجموعة من المواطنين الرومان أنشئت من القائد الروماني "ماريوس" ويضرب مثلاً على ذلك (Uchi Maius).

¹ - يفسر الباحث "عون الله" ذلك وبصفة أقرب إلى الإقناع أن المصادر التي استعملها بلينوس الكبير هي السبب في ذلك، لأنها تعود إلى بداية عهد الإمبراطور أغسطس عندما لم يتم بعد تنظيم السكان والمعارك العمرانية في أفريقيا البروقنسيلية. وبالتالي فإن كامنة أوبيدوم تعني عند بلينوس: مجموعة سكنية أو تجمعاً سكانياً رومانياً أو محلياً أو لاتينياً لم يضبط أو لم يحدد وضعه القانوني بعد. لمزيد من المعلومات انظر:

- S.Aounallah, Pagus, Castellum et Civitates..., op. cit., p.46-47

² -- Pline l'Ancien, Histoire Naturelle, Livre V, Par.I, Trad. J.desanges, Paris 1980.

غير أن الأبحاث التاريخية أثبتت عدم صحة معلومات بلينوس الكبير، لأن الموقع السابق الذكر حمل كذلك مصطلحات عمرانية أخرى وهي: باجوس (Pagus) وأحياناً أخرى قلعة (castellum). كما لا يمكن القول أن الأوبيدا (Oppida) هي نفسها (Conventus)، لأن هذا المصطلح الأخير له معنى آخر وهو مواطنون رومان استقروا في مدينة أجنبية. وذكر بلينوس الكبير كذلك نوعاً آخر من المدن أطلق عليه اسم المدن المحسنة الحرة (Oppida Libera) كان لها نظامها الخاص، وكانت لها إمكانية انتخاب حكامها وتسيير نفسها بقوانينها الخاصة. ويدرك قائمة لتلك المدن مثل حدرموت وبوللاريجيا، وليبتييس مينوس وزاما وتابوسوس، ويضم إليها مدنًا يقول أنها حرة ولكن حقيقة الأمر هي مستعمرات قيصرية. مثل قليبية ونابل (Curubis).

-المفهوم العرمناني للأوبيدوم وعلاقته بالمراكم العرمنانية الأخرى: يمكننا طرح عدة افتراضات حول نص بلينوس الكبير: فالمدن الحرة يطلق عليها بلينوس الكبير اسم (Oppida). هل كان بلينوس الكبير يقصد من مصطلح (Oppidum) مدينة ليس لها قانون روماني؟ وبالتالي فإن أصولها البوانية لا تغير من الأمر شيئاً. وكذلك الأمر إن كان بلينوس الكبير يقصد من المصطلح مجموعة من المواطنين الرومان الذين استقروا في تلك المدن البوانية؟ لأن المعروف عن مصطلح "أوبيدوم" هو المكان الذي سكنه مواطنون رومان في انتظار قانون ونظام نهائي. ومن جهة ثانية، عندما وضع بلينوس الكبير مصطلحي "أوبيدوم" و"كاستيلا" في نفس المرتبة العرمنانية فكلامه صحيح كون الأوبيدا (Oppida) تشبه الكاستيلا (Castella) في

كونهما أماكن محسنة. غير أن الشيء الذي لم يوضحه بلينوس الكبير يكمن في أن الكاستيلا تشبه أكثر تنظيم الباجي (les Pagi)، وذلك في كونهما تابعين لمستعمرة ما. كما أن الأوبيدا (Oppida) تتميز عن الباجي في أنها مراكز عمرانية استقرت بها مجموعات من المواطنين الرومان بشكل عفوي و غير منظم.¹ كما تمتلك تلك المجموعات داخل مراكزها العمرانية باستقلالية معينة، وأعطت لنفسها تنظيمًا إداريًا مشابهاً لتنظيم البلديات، وذلك في انتظار قانون نهائي. وفي الأخير يمكننا القول أن مصطلح أوبيدا (oppida) هو المصطلح القاعدي الذي لا يملك معنى إداري محدد مثل المصطلحات الأخرى، وليس له قانون ولا حقوق محددة ولا مؤسسات معينة.

الخاتمة:

في الأخير نستنتج أن موضوع العمارة البونية أو العمارة بصفة عامة وخصوصاً المدن، قد ورد في النصوص الإغريقية واللاتينية التي أرخت للحروب البونية في زمن القوة القرطاجية وكذا في زمن ضعفها وبداية الاحتلال الروماني للمنطقة. وقد تنوّعت تلك المعلومات ما بين أسماء المدن التي كانت منتشرة على سواحل المغرب القديم وكذا المدن الداخلية سواء الموجودة في التراب القرطاجي وكذا المدن النوميدية. وقد ذكرت تلك النصوص أعداد تلك المدن في عدة مناسبات وكذا أسماؤها وفي بعض الأحيان علاقتها بالدولة القرطاجية. ولكن تبقى تلك المعلومات سطحية

¹ - M.Benabou, La résistance africaine à la romanisation, Paris, 1974, pp. 410-412

وغامضة في الكثير من الأحيان مثل موقع البعض منها أو علاقتها بالدولة القرطاجية إن كانت تابعة أو حليفة أو غيرها. ومهما يكن من أمر فإن تلك المصادر كانت عوناً لنا في التعرف على أسماء المدن التي كانت موجودة قبيل الاحتلال الروماني مع تميز تلك المعلومات أحياناً بالغموض والسطحية في ظل غياب المصادر المحلية.

القائمة библиография المعتمدة :

- عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970
- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوبي في الجزائر، دار الهدى، باتنة، 2003
- S.Aounallah, Pagus, Castellum et Civitates, étude d'épigraphie et d'Histoire sur le village et la cité en Afrique romaine, Paris, 2010
- M.Benabou, La résistance africaine à la romanisation, Paris, 1974
- G.Camps, Aux origines de la berbérie, monuments et rites funéraires prothistoriques, Paris, 1961
- P.Cintas, Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, Paris, 1954 .
- S.Crouzet, « Les statuts civiques dans l'Afrique punique, (De l'historiographie moderne à l'historiographie antique) », MEFRA, 115, 2, (2003).
- P.A.Fevrier, « Les origines de l'habitat urbain en Maurétanie césarienne. », Journal des savants, (1967).
- P.Fevrier, « Urbanisation et Urbanisme de l'Afrique romaine », A.N.R.W, 1982
- ST.Gsell, HAAN, T.II, Paris, 1918.
- A. Mahjoubi, villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique, 2^{ème} édition revue et augmentée, centre de publication universitaire, Tunis, 2011
- Pline l'Ancien, Histoire Naturelle, Livre V, Par.I, Trad. J.desanges, Paris 1980.
- J.Toutain, « Les progrès de la vie urbaine dans l'Afrique du Nord sous la domination romaine » dans, Mélanges Cagnat, Paris, 1912
- antique) », MEFRA, 115, 2, (2003), pp. 655-703.... -G.Villemot, Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autun, Musée Rollin, 1965 , 456

المخازن التقليدية والمخازن الحضرية في الجزائر في الفترة القديمة

ط د/ نوال بوغابة.

جامعة الجزائر 02-معهد الآثار.

مقدمة:

يرتبط تنظيم المجتمع في شمال إفريقيا بفكرة الملكية والاستغلال والتوزيع الجماعي للثروات والعمل والفضاء العمومي، ويتجلّى ذلك في تخصيص مبني عمومي لكل نشاط، ومن بينها المخازن ذات الملكية الجماعية. فما هو هذا النوع من المباني؟ ما هي مكانته ودوره في النمط المعيشي والتنظيمي لمجتمع شمال إفريقيا؟ وتم اختيار هذا النوع من العمارة، باعتبارها من بين أهم المباني والمنشآت التي يتجلّى دورها كمركز للتنظيم الاقتصادي وعامل للاستقرار وأمن كل سكان المناطق الحضرية والريفية. وتم اختيار هذا الموضوع لأهمية "البعد الهوياتي" لهذا النوع من العمارة، كون هذه الأخيرة هي جزء من التراث المادي في أغلبية مناطق الجزائر وجنوب غرب تونس وشمال غرب ليبيا، وهي تتجاوّب مع النمط الاقتصادي الريفي والحضري في هذه المناطق منذ فجر التاريخ إلى غاية الفترة الحديثة. لم تكن من أكبر المباني لكنّها من أهم ما بقي من المباني العمومية لكونها أمن سكان المدينة أو القرية مرتبطة بها، فهي تحظى بعناية أمنية وقانونية خاصة من طرف سلطات المدينة لدرجة أنها أدرجت من بين

المباني المقدسة. وعليه سنركز في هذه الورقة البحثية على إبراز نوعين من المخازن وهي المخازن التقليدية نجد شواهد آثارها في المناطق الجبلية المنيعة من الأطلس الصحراوي، والمخازن الحضرية توجد شواهد آثارها في الموقع الأثري للمدن القديمة، إذ لا يوجد موقع أثري من الفترة القديمة سواء النوميدية وخاصة الرومانية دون أن يحتوي على مبني مخصص لتخزين الموارد الغذائية. ومن خلال هذه المعطيات السريعة سوف نبين ما هي المخازن التقليدية الريفية ونظيرتها الحضرية وعرض الجانب المادي والجغرافي لكل نوع مع تسليط الضوء على رمزية هذه المباني في الهوية الشاوية قديماً وحديثاً، ودورها الحقيقي الثابت في صنع النمط المعيشي لسكان إفريقيا رغم تعاقب عدة حضارات فيها.

1. مفهوم المخازن:

استعمل الرومان كلمة أوريوم (Horreum) جمعها أورياء (horrea) (التسمية المخزن، وارتبط تعريفها مباشرة بمخازن الحبوب (les greniers) لأنها كانت في الأصل لا تخزن فيها إلا الحبوب. ومع تطور أهمية التخزين وتوسيع قائمة المواد المخزنة، ظهرت تقسيمات حسب المادة الأساسية المخزنة في كل نوع¹، على سبيل المثال ظهرت مخازن المواد المصنعة (Horreum candelarium) مخصصة للشمع والشحوم المستعملة في الإضاءة، ومخازن القمح (Horreum frumentarium) ومخازن الكروم)

¹ Carre. M-Br, Les réseaux d'entrepôts dans monde romain. Javier Arce et Bertrand Goffaux. Horrea d'Hispanie et de la Méditerranée romaine, Casa de Velazquez, pp. 23-39, 2011, Collection de la casa de Velazquez ; 125. Hal Id : halshs-00710806. P. 24.

، كما استخدمت (horrea subterranea) (Horreum vinarium¹) لتخزين الأعمال الفنية والسلع الأساسية من المنتجات الغذائية.²

2. أهميتها في استقرار المناطق الحضرية في إفريقيا شمال إفريقيا:

بعدما تحولت مناطق شمال إفريقيا إلى مقاطعات رومانية توسيع القدرة الإنتاجية لأراضيها الزراعية التي ورثتها من المالك المحلية، تطلب الأمر ضرورة بناء "مخازن الحبوب" للإمبراطورية الرومانية. ومن جراءها انتعشت الحركة التجارية، وكان القمح في صدارة قائمة السلع الموجهة لروما، مما أدى إلى زيادة أهمية المخازن ودورها الحيوي في الجانب الاقتصادي. ونتج عن إنشاء المخازن العمومية للتخزين استحداث تنظيمات احترافية وتجمعات حرفية رسمية تدعى "فرومنتاري والمنسوراس" لتكوين محترفين في ضمان أمن المخازن وإدارة توزيع محتوياتها أثناء دخولها، وإيادعها، وأثناء عملية توزيعها. كان كيالو القمح من الفاعلين الأساسيين في هذه الأنشطة، حيث قاموا بمراقبة المخزونات وتسجيلها بدقة.³

¹ Otto. Claude, Horreum Miscellanea Etymologica, Bulletin de l'Association Guillaume Budé, tome 1, 2017, p. 123, 124.

² Pline le Jeune, Epist. VIII. 18.

³ Tran. Nicolas, le rang social des collegiati en Italie et en Gaules sous le Haut-Empire, In. Les Membres Des Associations Romaines, Ecole française de Rome, Rome, 2016, Deuxième partie, p. 241-294.

ويعتبر المخزن مركز لمصادر الغذاء لكل مدينة وتجمع حضري، حيث تخدم أسواق المدن الرومانية والأسواق المحلية¹، ويعتمد علهم كل من الخبازين وملاك المطاعم والمخامر في اقتناء القمح والزيت والملح والتوابل على ما توفره لهم تلك المخازن، وبدونها تتوقف هذه النشاطات. بالإضافة إلى ذلك يوجد في كل مدينة نخبة إدارية وعمال ووكلاً للإمبراطور وأعضاء الفرق المختلفة من أجهزة الأمن والتجار وعمال النظافة والمحاجر كلهم يتلقون حق قوتهم من تلك السلع.

ازدادت أهمية المخازن مع تطور المدن القديمة فكانت بدايتها مخصصة لتخزين وتوزيع المواد الغذائية الأساسية وبالدرجة الأولى القمح كونه كان ضرورياً لصناعة الخبز. وبعدها أصبحت تخزن فيها مواد أخرى من بينها زيت الزيتون والذي يأخذ هو الآخر أهمية كبيرة لأنه كان يستعمل في ميادين كثيرة أكثرها الإنارة والطبخ والتداوي، كما أصبحت المخازن تخصص فيها مستودعات لحفظ النبيذ والذي يعتبر منتج جد مهم في الثقافة الرومانية، والمؤن وحتى الملابس كانت تخزن استجابة لمتطلبات واحتياجات السكان، بالإضافة إلى المواد الخام مثل الرخام والمعادن². كما كانت الأطعمة وحاويات مرق السمك (Garum) والملح أيضاً من المنتجات الشائعة التي تم تخزينها في هذا النوع من المنشآت³. وكانت المخازن همسة وصل بين كل مدينة ومحيطها الحيوى، لذلك تم ربط أماكن التخزين بأماكن الإنتاج

¹ Carre. M-Br, Art.cit, p. 23.

² Lawrence Richardson, A New Topographical Dictionary of Ancient Rome, JHU Press, 1992, p. 193.

³ Carre. M-Br, Art.cit .p. 24.

وأماكن التصدير إلى موانئ روما وتخصيص مخازن في محطات استراحة التحميل¹. هذا التطور في أهمية المخازن جعل من الضروري بناء شبكة من المخازن خارج المناطق العمرانية، والتي كانت بمثابة شبكة إمداد للمخازن الحضرية. بنيت بالقرب من مراكز الإنتاج ومراسك الأمن والجيش وعلى جانب الطرقات للتقليل من تكاليف النقل. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مخازن في الفيلات الريفية وأماكن استراحة التحميل.²

لقد ساهم تكوين المخازن في عملية التحكم في إدارة توزيع الغذاء عند الرومان. وبفضل المخازن تمكّن عمال الأنونة (Annonae) من مراقبة كل مراحل العملية من الجمع إلى التوزيع. وكانت الحل الوحيد لمواجهة صعوبات النقل، خاصة كلما ابتعدنا عن البحر والممرات المائية³، كما ساهمت في التحكم في توفير الغذاء خلال فترات الجفاف والكوارث. الطبيعية وفترات الحروب، وفي تنظيم مواسم النقل البري والبحري. وساعدت المخازن على ضمان تدفق مستمر للسلع⁴ وتوفير المنتجات والموارد الأساسية لتحقيق رفاهية المجتمع ككل. كانت مخازن شمال إفريقيا تلعب دوراً حيوياً في توفير البضائع والسلع، لا سيما الحبوب وزيت الزيتون والنبيذ. غالباً ما تقع موقع هذه المباني بالقرب من الموانئ والطرقات لتسهيل التجارة البحرية والإمدادات والنقل، وكانت جزءاً من شبكة هرمية

¹ Ibid, p. 23.

² Ibid, p. 37-39.

³ Carre. M-Br, Art. Cit, p. 37-39.

⁴ Bonifay. M., « La céramique africaine, un indice du développement économique », Revue Antiquité Tardive, vol. 11, 2003. p. 113-128.

استجابت لاحتياجات تخزين ونقل المنتجات الزراعية إلى روما ومناطق أخرى.¹

3. تسيير وتنظيم المخازن:

كانت المخازن العمومية جزءاً أساسياً من النظام الاقتصادي والسياسي للإمبراطورية الرومانية. وكان أفراد من القادة السياسيين وكبار مسؤولين في السلطة الإدارية الإقليمية والمركبة هم من يملكون تلك المخازن الخاصة. تم ضمان مسؤوليتهم عن سلامة الاحتياطات الموجودة في المخازن من خلال التفتيش على نشاطات البناء للمباني والمنشآت الحضرية وكذا مراقبة تطبيق القوانين التي تنص على سلامة المخازن والأونا². وبعد الفترة الرومانية تواصل استعمال مباني التخزين في مجتمعات البحر المتوسط التي سبقت الثورة الصناعية³، وفي شمال إفريقيا لغاية القرن الماضي. واستخدمت في تنظيم وتسيير هذه المباني طرقاً مرتنة تجمع بين التخزين والتوزيع والبيع، وأحياناً السكن ضمن نفس المبنى، وهذا ما يتناقض مع

¹ Carre. M-Br, Art. cit. 24-25.

² Hamrouni. M-R, « servitudes et préoccupations de construction des horrea publica en Afrique » : Apport des sources juridiques et de l'archéologie, actes du septième colloque international ; Villes et archéologie urbaine au Maghreb et en méditerranée, Monastir 10- 12 Avril, 2018, p. 249.

³ Ubaldo Bernardos Sans. J et Catherine Virlouvet, « Formes et fonctions : essai de Typologie », In. Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 69.

الفكرة الشائعة عن التخصص المفرط¹. غالباً ما يتم تمويلها من قبل السلطة أو الأسر الغنية أو المسؤولين الإداريين والسياسيين في إطار الهبات، مما عزز المكانة الاجتماعية والاقتصادية للمتبرعين. هذا النوع من الدعم سمح بتحقيق دخل من هذه الهياكل في مقابل استفادتهم من الاعتراف العام². غالباً ما كانت تدار المخازن من خلال عقود إيجار، مما يسمح باستخدام فعال للمساحة لأصناف مختلفة من السلع. كما كانت تستخدم كموقع للبيع بالتجزئة والجملة والائتمان، وتشترك في الدورات الاقتصادية³. يتم إدارتها ومراقبتها من قبل الإدارة والتسلسل الهرمي الإداري والعسكري بأكمله⁴.

تسير المخازن خلال حالات الأزمات الكبرى مباشرةً من طرف السلطة الإقليمية. وفي هذا السياق يظهر الإجراء الطارئ الذي اتخذه حاكم إفريقيا يوليوس فيستوس هيميتيسوس في سنوات 366-368 م على أهمية هذه المخازن⁵. حيث قرر ترخيص بيع كمية معينة من القمح المسحوبة من مخازن الأنونا بالعاصمة الإفريقية بسبب نقص القمح في قرطاجة. وعندما

¹ Virlouvet. Catherine, « Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés dans l'Afrique du Nord antique », *Antiquités africaines*, Vol. 43, 2007, p. 166.

² Virlouvet. Catherine, *Bâtiments de stockage et circuits économiques du monde romain*, (édité.) Véronique Chankowski et Xavier Lafon. Dans. « Stockage et distribution : un enjeu dans les circuits économiques du monde grec et romain », *Ecole Française d'Athènes*, 2018, p. 43-60.

³ Ibid, p. 43.

⁴ Hamrouni. M-R, *Art-cit*, p. 248.

⁵ Ibid.

استقرت الأوضاع، سارع الحاكم إلى شراء القمح وأمر ب تخزين الكميات التي سجّلها في المخازن المخصصة لروما¹. وكثيراً ما تعجز المدن أو البلدات في جمع الكميات الكافية من القمح لحاجات سكانها فتلتجأ إلى طلب الإعانات من الإمبراطور²، ويقوم هذا الأخير بالاستجابة وتوكيل فرق المراقبة والمتابعة في عملية الإغاثة. وهذا لتفادي الغش والمضاربة، وتكون تلك الإعانات إما في إطار هبات أو في إطار قروض.

3. أنواع المخازن: مع تطور أهمية المخازن وتنوع المواد المخزنة فيها وازدياد كميّاتها، ظهرت ضرورة تخصيص أو تقسيم المخازن في الفترة القديمة إلى عدّة أنواع منها:

أ. التقسيم حسب الملكية: هناك المخازن العامة تابعة لسلطات الضرائب الإمبراطورية، والمخازن الخاصة تكون إما عبارة هيكل مستأجرة يملّكها أفراد أو مؤسسات خاصة، أو التي تكون ملاحق للفيلات الريفية، ومخازن التجمعات المحلية وهي مملوكة من طرف المؤسسات الدينية، والتي قد ترتبط بالمراكم الريفية ذات الوضع الأب Yoshi³. أما المخازن العسكرية فهي

¹ Picard. G-Ch., *La Carthage de Saint Augustin*, éd. Fayard, Coll. Résurrection du passé, Paris, 1965, p. 57.

² Djidi Houcine, *l'Afrique et le blé de Rome aux IV^o et V^o siècles*, Facultés des sciences humaines et sociales de Tunis, volume 34, histoire, 1990, p. 50.

³ Marin. B et Virlouvet. C, *Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes*, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 141.

تابعة للقوات العسكرية تستخدم لتلبية احتياجاتهم، وهناك المخازن
¹ التابعة للأباطرة.

ب . التقسيم حسب الوظيفة: تضم كل من المخازن المتخصصة في تخزين نوع معين من السلع مثل الحبوب، غالباً ما تكون على شكل مطامير (Silos). المخازن المتعددة الوظائف تجمع بين عدة استخدامات، مما يسمح بالتخزين والبيع بالتجزئة، عادة ما تقع في موقع استراتيجية مثل المدن والموانئ.²

ت . التقسيم حسب القدرة التخزينية: ترتبط هذه الصفة بنوع التخزين الذي يكون إما قصير أو متوسط الأمد أو دائماً وطويل الأمد، ويمكن أن نميز فيه نوعين:

-النوع الأول يخص المباني السطحية: ويحدد هذا الشرط أبعاد المبني بالإضافة إلى علوه، إذ توجد مخازن مبنية على مستوى الأرض وأخرى مرتفعة عنه، وهذا حسب الضرورة وال الحاجة إلى التحكم في عامل التهوية التي يحتاج إليها كل نوع من السلع المخزنة.³

-النوع الثاني يخص المخازن المتعددة الطوابق: تم اكتشافها في الميناء السيفيري للبيتيس ماغنا ومخازن ميناء قرطاجة⁴ أو تلك الموجودة بأوستيا.

¹ Carre. M-Br, Art. cit, p. 37.

² Virlouvet. Catherine, « Entrepôts de stockage... », Art.cit, p. 166.

³ Geraci Giovanni et Marin Brigitte, « Stockage et techniques de conservation des grains », Ecole française de Rome, 2016, p. 83-136.

⁴ Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 218.

يعتقد أن لهذه الأخيرة ملحوظ تتكون من دكاكين مبنية في شكل صفوف متتالية تنفتح حول فناء مركزي. وعن خاصية الفناء المركزي فقد وجدت فقط في مخازن روما وأوستيا¹، فلم يتم العثور لحد الآن على هيكل مشابه لها في المقاطعات الرومانية الأخرى². أما عن وظيفة الطوابق فييمكن أن تكون غرف للعمال والمسيرين وحراس المخازن أو غرف لحفظ الممتلكات الثمينة أو المواد التي لا تتطلب حجم تخزين كبير.

4 . المخاطر التي تتعرض لها المخازن: نظراً لدور المخازن الحساس كانت تبني في موقع بناء مناسبة لخلق ظروف التخزين الملائمة لكل سلعة، وكان تسييرها يكلف إلى عناصر بشرية محترفة في أمن السلع ومراقبة نوعيتها والحرص على الغش والسرقة³. رغم تعرض مختلف مباني المدن للمخاطر مثل الفيضانات، الجفاف، الحرائق والزلزال⁴، إلا أن المخازن كانت الأكثر عرضة للحرائق خاصة التي كانت مفعولة لاستغلالها في إحداث اضطرابات وارتكاب جرائم⁵، كما أنها كانت الأكثر عرضة لمخاطر السرقة مقارنة

¹ Patrick. Joseph, « Warehouses and Granaries in Caesarea Maritima », dans Caesarea Maritima : A Retrospective After Two Millenia, Leiden Brill, 1996, p. 149.

² Virlouvet. Catherine, « Entrepôts de stockage ... », Art.cit, p. 166.

³ Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 247.

⁴ Isaac Moreno Gallo, LIBRATIO AQURUM. L'art romain de distribuer l'eau, (trad.) Raymond Boutier et Jean-Claude Litaudon, pub. Catalogue de l'exposition AQUARIA, Zaragona, 2007, pp. 1-29.

⁵ Hélène Ménard, l'insécurité de La Rome impériale : p. 618.

بالبناءات الأخرى لأنها كانت الهدف المفضل لعصابات اللصوص¹، وهذا لكونها تحتوي على الكثير من السلع القيمة، خاصة بعد أن أصبحت تستقبل ودائع المالك من الممتلكات الثمينة كالأواني الفضية، الحلي والتماثيل². عملت هذه المخازن بشكل عام مثل البنوك الحديثة مما جعلها تجذب اللصوص بصفة دائمة. ويعتبر الليل هو الوقت الأنسب لافتتاح ولارتكاب الجرائم والسرقة³، كما كانت مناسبات إقامة الألعاب والاحتفالات فرصة ثمينة للتعدى على المخازن لسرقةها.

5 . الإجراءات الأمنية في المخازن: يوجد ارتباط كبير بين الشكل المعماري للمخازن ومحيطها العماني والشروط الأمنية التي يجب أن تتوفر في مختلف جوانبها. ولضمان الأمان، يجب أن تتوفر معايير أمنية محددة داخل كل مخزن.

أ . تأمين الأقسام الداخلية: يراعى في بناء المخازن توافر شروط حفظ السلع والمواد التي تودع فيها، وذلك بجعل كل قسم معزولاً بشكل جيد. كما يتم تقسيم المبني إلى غرف متعددة وذلك وفقاً لأنواع المواد المختلفة التي تخزن في كل قسم، حيث تكون هذه الغرف في شكل وحدات مستقلة

¹Digeste, CJ, 4, 65,1(Mosaicarum et Romanarum Legum Callato, 10, 9,1) ; 4, 65,4.

² Hélène Ménard, l'insécurité de La Rome impériale : entre réalité et imaginaire, éd, Société Française d'histoire urbaine, N° 2, 2000, p.61. ; Smith. William, A Dictionary of Greek and Roman Antiquites, John Murray, London, 1875, p. 618.

³ Wilfried Nippel, Public Order in Ancient Rome, Cambridge, 1995, p.97

ولكل واحدة وظائفها الخاصة. بالإضافة إلى ذلك تجهز غرف التخزين بأرضيات مرتفعة وعازلة لخلق فراغات وممرات هوائية، تعمل على تعزيز تدفق التهوية الطبيعية وتقليل مستويات الرطوبة.

ب . **تأمين المحيط العمراني:** يتطلب اختيار مكان بناء يتتوفر فيه طرق أساسية لتسهيل الحركة، وإبعاده عن الوحدات السكنية المجاورة له وحوله. هذا يضمن حصول المبني على أشعة الشمس والتهوية الازمة، ويجب أن تكون المسالك المحيطة به واسعة لضمان سهولة النجاة والتدخل الفوري في حالات الطوارئ. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن تفتح أبوابه على الشوارع الرئيسية لتسهيل عملية نقل السلع والأشخاص.

ت . **تأمين الهيئة الهندسية:** تمثل في بناء الأسوار الخارجية للمخازن باستخدام مواد عازلة أهمها الأجر والجص وتكون سميكية لتوفير حماية وأمان أكبر للمواد المخزنة وثبت درجة الحرارة الداخلية. كما ينبغي أيضاً التقليل من استخدام مواد البناء قابلة للحرق للتقليل من مخاطر الحرائق، ويجب توفير وسائل غلق محكمة لمنع دخول القوارض إلى المبني¹. كما يتعين تجهيز المبني بمسالك صرف مياه الأمطار لتفادي الفيضانات.

ث . **تأمين الإجراءات الصحية:** يتم تشديد الشروط على كل شخص يرغب في تخزين المواد الغذائية داخل المخازن بحيث تكون هذه السلع من الجودة العالية وجديدة ولا تحتوي على أي علامات للتلف أو الفساد أو الأمراض أو الجرائم. ولضمان ذلك، يقوم موظفو إدارة المخزن بإجراء فحص دقيق

¹ Ubaldo Bernardos Sans. | et Catherine Virlouvet, Art.cit. 61.

وفروض صارمة على صاحب السلع لفرزها وانتقاءها ثم غسلها وتجفيفها بشكل جيد. هذا يساهم في منع انتشار الطفيليات والأمراض والجرائم التي قد تنتقل عبر هذه السلع.

ج . تأمين بصرامة قانونية: نظرا لأن المواد الغذائية التي تخزن في المخازن كانت من أولويات روما وأن سياستها الغذائية تقوم على هذه المباني، فقد سنت الإدارة الرومانية ترسانة من القوانين لحمايتها. تضمنت هذه التشريعات قوانين تلزم مسؤولي كل مدينة بتأمين تلك المنشآت بشكل جيد¹ ، وفرض عقوبات قاسية على الجرائم المتعلقة بالسرقة أو الغش أو السطو على المخازن، وكانت هذه العقوبات أشد مما هي عليه في غيرها من الأماكن الأخرى. كما تم تخويل صلاحية تنفيذ الأحكام المباشرة إلى حاكم الفيجيل للمعددين على المخازن². وبموجب قانون أصدره الإمبراطور قسطنطين الكبير في عام 326 م، نص على ترك مساحة بمقدار 30 م تفصل محيط المخازن على المباني الأخرى³ ، كما نص مرسوم القسطنطينية 398 على هدم أي مبان خاصة تلامس أو تجاور تلك المخازن، مع مصادرة الأرض المحطة بها⁴. ولم تستثن هذه القوانين إجبارية الاعتناء بالجانب الهندسي للمباني وإلزامية استخدام مواد قوية تحمل بناء طوابق علوية، بالإضافة إلى إجراءات لحماية المواد الغذائية من التعفن والحرائق⁵ ،

¹ Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 247.

² Digeste, I, XV, 3, 1, XLVII, 2.

³ Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 218.

⁴ CTH. XV. 1, 38. Janvier. Y, 1969, p. 233.

⁵ Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 219.

بالإضافة إلى إجراءات وقائية مثل غربلة القمح درسه وتذریته بعد تقشيره

¹ للتخلص من الكائنات الدقيقة التي تعيش في أحاديد الحبوب.

6 . المخازن في شمال إفريقيا: توفر لنا الأبحاث الأثرية مجموعتين من المخازن متشابهتين في دورها وأهميتها في المجتمع، ولكنهما مختلفتين من حيث السياق الثقافي والتاريخي، ونظراً لكثرة شواهدهما الأثرية، سنتعرض بعض الأمثلة لتوفير رؤية أوضح حول هذا الموضوع.

أ . مخازن الفترة الرومانية: نقصد بها تلك التي بنيت في الفترة الرومانية، انتشرت في أغلبية المواقع الأثرية القديمة، وعلى سبيل المثال مخازن موقع كويكول (جميلة). وتم اختيارها لكونها تعد من بين المخازن التي بقيت آثارها محفوظة، وقد خضعت لدراسات أثرية وتاريخية ومعمارية شاملة. تمثل هذه المخازن نموذجاً مثالياً للمخازن العامة في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية، كما أن أوصافها الأثرية تتوافق مع أغلبية شروط ومعايير بناء المخازن كاستخدام دعامات من الطوب المشوي لعزل أرضيات غرف التخزين ليتم حفظ الحبوب في أكياس أو على شكل كومات² ، وبنية جدرانها الخارجية بجدار ضعيف لتحمل ثقل المئونة وضمان عزلتها لتفادي

¹ Luraschi. A, I depositi di cereali : parassiti e trattamenti di disinfezione, Milan, 1937, p. 40-42.

² Papi. E et Martorella. F, 2007b, « I grani delle Numidia », dans AA, 43, Journée d'étude, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, p. 180-182.

الحرائق وتسرب المياه إلى داخلها¹ وتحمل ثقل السقف من جهة²، وضمان عزلة جيدة لدرجات الحرارة داخل غرف التخزين من جهة أخرى³.

الأبعاد ثلاثي مخطط 1: رقم مخطط

كويوك مخازن.

لتخزين مخصصة فضاءات 1-4
الحبوب.

للتخزين أخرى فضاءات 5-6.

مداخل 2 وأ 1.

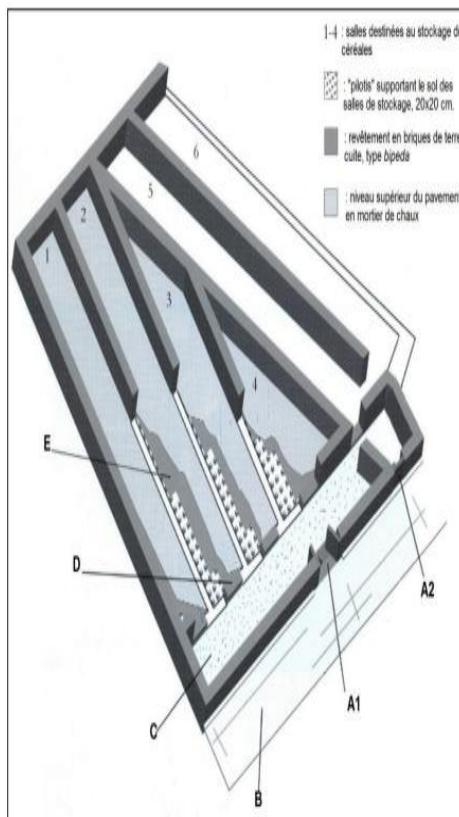
طريق- ب.

التخزين فضاءات إلى مؤدي رواق- س.

عتبة- د.

المترفعة للأرضية المغطى التبليط- اي.

(Papi. E et Martorella. F,
2007, p. 180).



¹ Gros. P., L'architecture romaine, du début du III^e siècle av. J.-C à la fin du Haut-Empire. 1 Les monuments publics, éd. Picard, Coll. Les manuels d'art et d'archéologie antique, Paris, 1996, p. 471.

² Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 225.

³ Bernardos Sanz. J et Virlouvet. C, Art.cit, p. 61-62.

ويعود تاريخ بناءها إلى القرن الثاني للميلاد. فمنذ هذه الفترة إلى غاية القرن الرابع كانت كويكول مركزاً مهماً في تحصيل الضرائب العينية^١، مما أدى إلى إقامة مخازن عمومية تقدر مساحتها 500 متر مربع^٢ (مخطط رقم: ٠١). تم اكتشافها والتنقيب عنها في عشرينيات القرن الماضي (١٩٢٠)^{٣، ٤}.

ب . المخازن التقليدية:

تنشر هذه المخازن في محيط جغرافي واسع يضم كلاً من المناطق الجبلية في ليببيا حالياً عند قبائلها^٥، وتوجد أيضاً في جنوب تونس وجبال الأوراس وجبال الأطلس الأدنى في المغرب، لكنها تنحصر على المناطق التي يسود فيها مناخ شبه جاف، وفي المحيط الجبلي حيث يسود نمط عيش يعتمد على التنقل الموسمي والرعي كنشاط أساسي، وهذا يعني أيضاً أن هذا النمط من التخزين الجماعي أو المشترك بين سكان القرية أو العرش يسود بطرق أخرى عند سكان المناطق الجبلية للأطلس التي. من الناحية

^١ De Romanis. F, « In tempi di guerra e di peste. Horrea e mobilità del grano pubblico tragli Antonini e i Severi », dans AA, 43, Journée d'étude, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, 2007, p. 190.

^٢ Virlouvet. Catherine, « Entrepôts de stockage. Art.cit, 168.

^٣ Allais. Y, « Les greniers publics de Djemila », Revue Africaine, 74, 1933, p. 259-268.

^٤ Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 222.

^٥ Mattingly. David, nouveaux aperçus sur les Garamantes, un état saharien, Antiquités Africaines, n° 37, 2001, pp. 45-61.

الشكلية يبني المخزن في شكل وحدة معمارية مغلقة عن الخارج، بينما تفتح كل الغرف على الساحة الداخلية.

كانت أولى الدراسات الميدانية في الجزائر وفي هذا المجال خلال الفترة الفرنسية، وكانت جميعها على يد القادة العسكريين اللذين كانوا يؤدون مهاماً مزدوجة بين الدراسات الإثنوغرافية والعسكرية للمنطقة وسكانها. فكانت أعمال القائد إيميل مسكوراي¹ الذي خصص لها كتابه وسجل معطيات ميدانية كثيرة. هذا مثال عن مخزن في الجهة الجنوبية من جبال الأوراس تابع لمجموعة عائلية (مخطط رقم: 02). يتكون مخزنه من 24 وحدة، وكانت 17 منها تابعة لعائلة واحدة، بينما تمتلك العائلة الثانية 5 غرف، وتتقاسم ثلاثة عائلات أخرى غرفتين. كانوا يخزنون أصناف متعددة من المنتجات، منها الدهون الحيوانية والعسل، إلى جانب الغلات الزراعية والمواد الحيوانية المهمة في النظام الغذائي لسكان الأوراس مثل لحم وشحم الماعز المجفف وأدوات صناعية ومنتجات حرفية مثل الأفرشة والألبسة الخاصة بالمناسبات.²

¹ Masqueray. E, *La formation des citées chez les populations sédentaires de l'Algérie*, Paris., Alger, 1879.

² Faublée-Urbain M. « Magasins collectifs de l'Oued el Abiod (Aurès) ». In : *Journal de la Société des Africanistes*, tome 21, fascicule 2, 1951, pp. 139-150.



- A: Logement du gardien.
- B: la tour centrale.
- C: La cour.
- D: la porte secondaire.
- E: Parie des cellules.
- F: cases réservées aux légumes.
- P: Porte principale.

مخطط رقم 02. مخطط أفقى لمخزن حبوب في منطقة الأوراس. (Faublée Urbain, 1951, p. 147)

تبني هذه المخازن في مناطق منيعة وعالية ومشترفة على الأحياء السكنية، ويكون موقع بناءها مرتبط بقبر لولي صالح أو رجل ذو منزلة شريفة من أهل المنطقة، فينسب إليه اسم سكانها. يطلق على هذا النوع من المبني "تقليعت" من العربية "القلعة". كما أطلق عليها الفرنسيون «Grenier fortifié» والذي يترجم إلى "Agadir" والذي يعني قلعة محصنة، حيث تجمع بين قلعة عسكرية وقلعة مدنية.

لا يقتصر دور هذه المخازن في منطقة الأوراس على حفظ المنتجات والممتلكات، بل كانت أيضا تحتضن نشاطات أخرى. من بينها مواعيد للنشاطات السنوية، حيث يتجمع فيها أفراد كل عائلة مساء موعد

خروجهم في نهاية فصل الربيع، لينطلق كل فرد منهم إلى عمله، منهم من يقصد المزارع في السهول وآخرون إلى المناطق الرعوية-ولا يعودون إلا في فصل الخريف بعد نهاية فصول الحصاد. كما كانت تنظم فيها زيارات للضريح وحفلات زفاف ومأتم، وكلها مصحوبة بالأضحيات وما يرافقها من طقوس.

تتمتع هذه المخازن بقيمة حضارية ورمزية اجتماعية تمثل في طابعها المقدس، والذي يستمد قداسته من الولي الصالح الذي دفن في ضريح مجاور أو مندمج مع مبني التخزين. ويرمز المخزن بشكله الكبير إلى مستوى معيشة راقية لأهله وقوة وحركية أعضاء هذا المجتمع، حيث يعتقد أنهم يرعاهم بركة اسم ذلك الولي. ويتم تنظيم وحراسة المخزن والنشاطات التي تجري فيه من قبل حارس يتم اختياره من العائلات التي لا تمتلك أراضي وذلك لضمان استقراره الدائم. فهو الذي ينظم الحركة البشرية والحيوانية داخل المخازن، ويراقب حالة حفظ المبنى وازالة الثلوج، ويعلم أهله بالقيام بأعمال الصيانة، كما يحرص على حفظ وسائل الكيل والقياس التي يستعملها السكان خلال تبادلهم السلع، وهو الذي يمنع الغش في المكاييل. بالإضافة إلى ذلك يساعد السكان في الشحن والنقل داخل المبنى. وتتمثل الأنماط المعمارية للمخازن التقليدية في المطامير Fosses والحفر Silos والغرف المحكمة الإغلاق Cellules hermétiques والتي يمكن أن تكون مرتفعة عن مستوى سطح الأرض أو مدفونة تحته. يتم ملؤها وإفراغها

بالكامل دفعة واحدة، وهذا لضمان تخزين محكم وآمن¹. عادة ما تخصص هذه المخازن للاحتياجات الخاصة وتكون من بين ملاحق البيوت. وكانت المطامير المبنية تحت الأرض منتشرة على نطاق واسع زمنيا وجغرافيا في منطقة البحر المتوسط وفي المناطق التي تشتهر بزراعة الحبوب. لا تشكل الرطوبة مشكلة كبيرة في هذه المناطق، وذلك لأن موسم الحصاد يكون دافئا، مما يسمح بتجفيف الحبوب بسرعة وسهولة، وبالتالي الحفاظ عليها. غالبا ما يكون القمح المخزن من أصناف القمح الصلب الذي يتميز بصلابته وقوته، مما يجعله أسهل في التخزين مقارنة بالقمح اللين.²

وتشير الأدلة الأثرية المتوفرة إلى أن وجود المطامير في منطقة البحر المتوسط يعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وقد كانت شائعة في العصور القديمة، واستمر استخدامها دون انقطاع خلال العصور الوسطى، سواء في المناطق الإسلامية أو المسيحية. يمكن العثور عليها في صقلية، سواء في المناطق الريفية أو الحضرية³، وكذلك في جزيرة كريت وشبه الجزيرة الإيبيرية والأراضي العربية وغيرها من المناطق ذات النفوذ الإسلامي⁴. كما تواجدت في شمال إفريقيا منذ القدم. يسلط محمد حسين فنتر الضوء

¹ Geraci Giovanni et Marin Brigitte, Stockage et techniques de conservation des grains, Ecole française de Rome, 2016, p. 83-136.

² Ubaldo Bernardos Sans. J et Catherine Virlouvet, Art.cit, p. 65.

³ Bresc. H., « Fosses à grain en Sicile (XII^e-XV^e siècle) », dans Gast. M, Sigaut. F (éd.), Les techniques de conservation des grains, I, p. 113-121.

⁴ Triantafyllido-Balladie. Y., « Greniers publics et familiaux en Grèce du XIV^e au XX^e siècle », dans Gast. M, Sigaut. F (éd.), Les techniques de conservation des grains, I, p. 150-158.

على أنظمة الحفاظ على المواد في منطقة تونس خلال الفترة ما قبل الرومانية، مع التركيز على دور المطامير في التخزين¹. وتتجدر الإشارة أنه ليس من السهل دائما تحديد تاريخ هذا النوع من الهياكل على وجه التحديد، حيث ظل استمراره عبر الزمن أمرا ملحوظا. وعادة ما يتم اختيار موقع المطامير في المناطق الجبلية، ولا يشترط نوع معين من التربة، حيث يمكن حفرها في كل من التربة الجيرية والطينية. تتكون جدران المطامير عادة من التراب أو الطوب، ويتم تغطيتها تقليديا بالقش لمنع ملامسة الحبوب للأرض أو الجدران مباشرة. من الضروري ملئ المطمور بالحبوب بشكل كامل، دون ترك أي فراغات، حتى فتحة المطمور يجب إغلاقها بإحكام. في بعض الأحيان، يتم حرق كمية صغيرة من القش في الفتحة قبل الإغلاق للتخلص من أي حشرات قد تكون موجودة. هذه الممارسة تقليدية لمكافحة الآفات والحفظ على الحبوب المخزنة. وعند فتح المطمور، يجب تفريغه بالكامل². وينصح دائما بتخزين الحبوب في أماكن محكمة الغلق، مما يقلل من تدهورها والخسائر عند الرغبة في الحفاظ عليها على المدى الطويل³. وقد أطلقت الجزائر برنامجا ضخما لبناء الصوامع لتخزين الحبوب كجزء من

¹ Fantar. M., « Silos et entrepôts en Afrique préromaine : des témoignages historiographiques et archéologiques », dans. Antiquités africaines, 43, 2007, p. 231-238. ; Virlouvet. Catherine, « Entrepôts de stockage... », Art.cit, p. 168-169.

² Ubaldo Bernardos Sans. J et Catherine Virlouvet, Art.cit. P. 65.

³ Geraci Giovanni et Marin Brigitte, Art.cit, p. 83-136.

استراتيجية الأمن الغذائي¹. وهذا يدل على أن هذه المنشآت لا تزال تلعب دوراً مهماً في تخزين الحبوب والأمن الغذائي حتى اليوم.

7 . المخازن وعلاقتها بهوية المجتمع الإفريقي: تعتبر المخازن الجماعية التقليدية في شمال إفريقيا جزءاً من تراث المنطقة الغني. كانت تدار من قبل رؤساء القبائل وفق قوانين عرفية، مما جعلها رمزاً للتعاون المجتمعي والأمن الغذائي. هذا النوع من المخازن يعكس أهميته في الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات الريفية والحضرية عبر التاريخ، حيث لعبت دوراً حيوياً في توفير الغذاء وتعزيز التضامن الاجتماعي، إضافة إلى ذلك أنها كانت تسهل تخزين المحاصيل وتوزيعها بشكل عادل بين أفراد المجتمع.

فرض وجود المخازن التقليدية فكرة المجتمعات القروية التي تعتمد على الملكية والتسخير المشترك لشؤون القرى. وقد شمل أيضاً الاستغلال المشترك للأراضي ومنابع المياه. وتعتبر من بين الحلول المناسبة للتأقلم مع معطيات المحيط الجبلي للأوراس، حيث تمثل التحديات في انحصر الأراضي المخصصة للزراعة على ضفاف الوديان ومنابع المياه، يتم فيها ممارسة الزراعة المعاشرة للبقاء والخضر الموسمية، بينما تخصص الأراضي المحيطة بالمنابع للأشجار المثمرة لكون هذه المياه مصادر دائمة، في حين تكون مجاري الوديان غير منتظمة وتجف دائماً في بداية فصل الصيف. بالإضافة إلى ذلك يقوم السكان بتوسيع المساحة الزراعية عن طريق بناء مدرجات زراعية. وتبقى الأراضي المائية والأحراش أملاك مفتوحة

¹ <https://alfadj.dz/article/soamaa-tkhzn-alhbob-fr-algzayralrhan-alastratygy>.

للرعى. يقيم سكان هذه المناطق أحياهم السكنية على التلال القليلة الارتفاع والقريبة من أراضيهم الزراعية، ويتفادون بناء منازلهم بالقرب من مجاري الوديان أو استغلال الأراضي المخصصة الزراعة في البناء. ويتم دمج المباني المخصصة للنشاطات الفلاحية والحرفية في المنازل مباشرة، لكون أغلبية هذه الحرف ميدان مخصص حصرياً للنساء. في المقابل يتكتل الرجال أساساً بالعمل الزراعي، إما في ملكيتهم الخاصة أو بالانتقال إلى السهول الكبيرة في شمال الأوراس حيث الحرش والقطف والحصاد. ثم يعودون إلى بيوتهم بشكل موسي ومعهم احتياجاتهم الشخصية والعائلية. كما يتكتل الرجال أيضاً بالعمل الجماعي في إصلاح المباني العائلية والمنشآت الجماعية، مثل منشآت المياه والطرقات، بالإضافة إلى تنظيم المواسم والأعياد الاجتماعية والدينية، كما يتجمعون لإصلاح وتهيئة المخازن لكي يتم الادخار فيها للموسم المقبل. وبالإضافة إلى هذا العامل، يتميز مناخ شمال إفريقيا بفترات جفاف شديدة، تتأثر بها المناطق الجبلية بشكل خاص مثل منطقة الأوراس. هذا الوضع يؤدي إلى ضهور حركة السرقة والصراعات القبلية حول الماء والمراعي. وقد كان تاريخ الأوراس حافل بهذه الأحداث منذ فجر التاريخ، حيث كان الجفاف دائماً مصدراً للتوتر والصراع في المنطقة. وبالعودة إلى الحديث عن المخازن في الفترة الرومانية، نجد أنها لا تختلف جوهرياً في دورها ورمزيتها عن المخازن التقليدية، رغم وجود بعض المميزات الخاصة لكل منها. ومثلاً على ذلك مخازن جميلة، فهو منشأة مرتبطة بجميع سكان المدينة كمصدر أساسي للمواد الضرورية، حيث كان يشرف على تنظيمها عمال وحراس مسؤولون عن حركة دخول وخروج السلع والعربات والأفراد، ومراقبة البضائع

المنقولة^١. كما كانت المخازن والمواد المخزنة تتطلب مراقبة وصيانة دورية، تتضمن تفريغ وتنظيف المخازن بانتظام بعد كل عملية إخراج للموارد المخزنة وقبل تخزين المحاصيل الجديدة. في كثير من الحالات كانت تبني أحواض مائية في ساحة المخازن، أو قد يستعاض عنها بيئر. في مخازن جميلة يوجد حوض ماء على جانب الشارع مقابل للباب الجانبي للمخازن، نعتقد أنه مسخر للعامة، لسقي الهائم، وكذا الاستعانة به في عمليات التنظيف وإطفاء الحرائق في حالات الطوارئ.

وقد كانت نخبة من المعماريين المحترفين تشرف على تحقيق شروط البناء المتين، حيث يتقنون طرق تطبيق تقنيات متقدمة تتناسب مع الاحتياجات المتغيرة، مما يعزز قدرة هذه المنشآت على الحفاظ على جودة المواد المخزنة وضمان سلامتها^٢. ومن الناحية الرمزية، فهي تعكس اهتمام روما الكبير بأمن الغذاء، حيث كانت تعتبر أن أصل كل الاضطرابات والتمرد والجرائم وانعدام الأمن في المدن أو خارجها مرتبط بشكل أساسي بأزمات الغذاء. كانوا يدركون أن قوة دولتهم تكمن وتعتمد على مدى قدرتهم على تأمين الغذاء لسكانها. لذا انتهجوا سياسة "الخبز والعصي أو الخمر والألعاب لتحقيق الاستقرار الاجتماعي"^٣. ومع ذلك، واجهت روما صعوبات متزايدة في تأمين الغذاء في فترة الإمبراطورية الرومانية السفلية، حيث بدأت

¹ Potter David Stone, Mattingly. D. J, Life, Death, and Entertainment in the Roman Empire, University of Michigan Press, 1999, p. 180.

² Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 226.

³Juvinal, Satires, X, (trad.) Louis-Vincent Raoul. Wouters, Raspoet et cie, 1842, p. 241-273. <https://books.openedition.org/pum/8949>.

هذه الإمبراطورية المتراوحة الأطراف في التصدع منذ القرن الرابع. وكان حكام المقاطعات يواجهون اضطرابات شعبية متكررة بسبب عدم مقدرتهم على توفير الإمدادات الغذائية الكافية للمدن التي يحكمونها.¹

تعتبر أهمية تنظيم ونقل الحبوب من السهول الإفريقية إلى المدن، ومن ثم إلى موانئ السواحل مصدر قلق دائم للمسؤولين الإداريين. كانت تكاليف النقل مرتفعة، خاصة عمليات النقل البري المقدرة بضعف التكاليف المقدرة للنقل البحري. ونظرًا لصعوبة ظروف النقل، شجعت السلطة على استغلال المناطق الأقرب إلى الساحل بالقرب من مراكز الموانئ². واستجابةً لصعوبات النقل الداخلي، لجأت السلطة الرومانية إلى إقامة شبكة هرمية من المخازن في نوميديا³. كان بناء هذه المخازن ضرورياً لضمان تدفق الحبوب بكفاءة، مما يعكس التنظيم المعماري والاقتصادي الذي ساهم في تعزيز التجارة والنقل في المنطقة. وبفضل هذه الشبكة من المخازن أصبحت إفريقيا واحدة من أولى المناطق المصدرة في البحر المتوسط بين القرنين الأول والثالث لمجموعة متنوعة من المنتجات وفي مقدمتها مادة القمح، ويليها زيت الزيتون والنبيذ والأسماك المملحة. ساهمت هذه الأنشطة في استقرار الإمدادات المحلية والخارجية⁴. كانت نوميديا منذ فترة الملك

¹ Hélène Ménard, « l'insécurité de La Rome impériale : entre réalité et imaginaire », éd, Société Française d'histoire urbaine, 2000, p.61

² Carre. M-Br, Art.cit, p. 24-25.

³ Carre Marie-Brittine, Art.cit, p. 25.

⁴ Bonifay. M., Art.cit, p. 113-128. ; De Romanis. F., 2003, Per una storia del tributo granario africano all'annonna della Roma imperiale, dans N. Marin et C.

المحلية إلى فترة الإمبراطورية الرومانية واحدة من أكبر الأقاليم إنتاجاً وتوريداً للقمح في الحوض الغربي للمتوسط. كانت منطقة شمال إفريقيا تمتلك هيكل للمخازن في المدن ومناطق الإنتاج ومحطات النقل وأخرى في الموانئ، وكانت تشكل شبكة تستخدم لجمع وتخزين المواد الضريبية الموجهة إلى روما بالمقام الأول.¹

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة، تبين أن نظام التخزين كان مرتبط بسكان شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ، حيث تنتشر المخازن في مختلف المناطق، فهناك القلاع في الأوراس والأغادير في المغرب والمطامير في الأطلس التالي. وترمز هذه المخازن إلى الابتكار المعماري للقدماء، حيث استخدمو تقنيات متقدمة للحفظ على المواد وضمان سلامتها، مما ساهم في تعزيز الاقتصاد والتجارة في تلك الفترة، وكانت هذه المخازن من بين الحلول الملائمة للتغلب مع خصائص المناخ والمحيط الجبلي لشمال إفريقيا.

إن وصول الرومان إلى منطقة الشمال الإفريقي لم يجلب معه فكرة جديدة بل تبنوا فكرة المخازن في تطوير سياستهم الغذائية، من خلال بناء شبكة من المخازن عبر مختلف مناطق الإنتاج والاستهلاك. صاحب هذا

Virlouvet dir, Nourrir les cités de Méditerranée, Antiquités-Temps modernes, Paris, p. 691-738.

¹ De Romanis. F, « Per una storia del... » Art.cit, p. 691-738.

التطور إنشاء وتطوير شبكة طرقات بحرية قابلة للاستغلال خلال أغلبية فترات العام. وكانت المراسيم القانونية تعبر عن حرص الإمبراطورية الرومانية على تأمين المخازن وحماية الموارد الغذائية، وهو بدوره يعكس أهمية الأمن الغذائي في ذلك الوقت. وتعكس عمارة المخازن الفهم العميق للبيئة المحلية والاحتياجات الاقتصادية، مما يجعلها نموذجاً مثالياً للنكيف المعماري في سياق منطقة شمال إفريقيا. ولم يتخلّ العالم في تطوره إلى اليوم عن فكرة إنشاء هيكل التخزين وهذا لكون دورها الأساسي في التخزين والتوزيع مرتبط بأمن ومصير الأمم كما هو الحال في فترات التاريخ القديم.

المراجع البيبليوغرافية:

1-المصادر:

- Code Théodosien. XV. 1, 38.
- Digeste, I, XV, 3, 1, XLVII, 2.
- Digeste, CJ, 4, 65,1(Mosaicarum et Romanarum Legum Callato, 10, 9,1) ; 4, 65,4.
- Juvinal, Satires X, Traduction par Louis-Vincent Raoul. Wouters, Raspoet et cie, 1842 (p. 241-273). <https://books.openedition.org/pum/8949>.
- Pline le Jeune, Epist. VIII. 18.

2-الكتب:

- Claude Otto. Horreum Miscellanea Etymologica, Bulletin de l'Association Guillaume Budé, tome 1, 2017.
- Potter David Stone, Mattingly. D. J, Life, Death, and Entertainment in the Roman Empire, University of Michigan Press, 1999.
- Gros. P., L'architecture romaine, du début du III^e siècle av. J.-C à la fin du Haut-Empire. 1 Les monuments publics, éd. Picard, Coll. Les manuels d'art et d'archéologie antique, Paris, 1996.
- E. Masqueray, La formation des citées chez les populations sédentaires de l'Algérie, Paris., Alger, 1879. doi : <https://doi.org/10.3406/jafr.1951.1833>
https://www.persee.fr/doc/jafr_0037-9166_1951_num_21_2_1833.
- Luraschi. A, I depositi di cereali : parassiti e trattamenti di disinfezione, Milan, 1937.
- E. Masqueray, La formation des citées chez les populations sédentaires de l'Algérie, Paris., Alger, 1879.
- Lawrence Richardson, A New Topographical Dictionary of Ancient Rome, JHU Press, 1992.
- Smith. William, A Dictionary of Greek and Roman Antiquities, John Murray, London, 1875, p. 618.

- Tran, Nicolas, *Les Membres Des Associations Romaines : Le rang social des collegiati en Italie et en Gaule, sous le Haut-Empire*, coll. de L'Ecole Française de Rome, 367, Rome, 2006, 577p.
- Marin. B et Virlouvet. C, *Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes*, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016.
- Picard. G-Ch., *La Carthage de Saint Augustin*, éd. Fayard, Coll. Résurrection du passé, Paris, 1965.
- Wilfried Nippel, *Public Order in Ancient Rome*, Cambridge, 1995.

المقالات:

- Allais. Y, « Les greniers publics de Djemila », *Revue Africaine*, 74, 1933.
- José Ubaldo Bernardos Sans et Catherine Virlouvet, « Formes et fonctions : essai de Typologie » In. *Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes*, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 59-82.<https://books.openedition.org/efr/32780>.
- Bonifay. M., « La céramique africaine, un indice du développement économique », *Revue Antiquité Tardive*, vol. 11, 2003.
- Bresc. H., *Fosses à grain en Sicile (XII^e-XV^e siècle)*, Gast. M, Sigaut. F (éd.), In. *Les techniques de conservation des grains*, vol. I.
- Carre Marie-Brigitte, *Les réseaux d'entrepôts dans monde romain*. Javier Arce et Bertrand Goffaux. *Horrea d'Hispanie et de la Méditerranée romaine*, Casa de Velazquez, pp. 23-39, 2011, Collection de la casa de Velazquez ; 125. Hal Id : halshs-00710806.
- De Romanis. F., *Per una storia del tributo granario africano all'annona della Roma imperiale*, dans N. Marin et C. Virlouvet dir, *Nourrir les cités de Méditerranée*, *Antiquités-Temps modernes*, Paris, 2003, p. 691-738.
- De Romanis. F, « In tempi di guerra e di peste. Horrea e mobilità del grano pubblico tragli Antonini e i Severi », dans AA, 43, *Journée d'étude*, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, *Entrepôts de*

stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, 2007.

- Djidi Houcine, l'Afrique et le blé de Rome aux IV^o et V^o siècles, Facultés des sciences humaines et sociales de Tunis, vol. 34, histoire, 1990.
- Faublée-Urbain M. « Magasins collectifs de l'Oued el Abiod (Aurès) ». Dans : Journal de la Société des Africanistes, tome 21, fascicule 2, 1951, pp. 139-150 ; <https://doi.org/10.3406/jafr.1951.1833> https://www.persee.fr/doc/jafr_0037-9166_1951_num_21_2_1833
- Fantar. M., Silos et entrepôts en Afrique préromaine : des témoignages historiographiques et archéologiques, dans Antiquités africaines, 43, 2007, p. 231-238.
- Isaac Moreno Gallo, LIBRATIO AQRUM. L'art romain de distribuer l'eau, (trad.) Raymond Boutier et Jean-Claude Litaudon, pub. Catalogue de l'exposition AQUARIA, Zaragona, 2007, pp. 1-29. https://www.traianvs.net/pdfs/2007_acueductos_libratio_aquarum_fr.pdf.
- Geraci Giovanni et Marin Brigitte, Stockage et techniques de conservation des grains. In. Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 83-136.
- Mohammed Riadh Hamrouni, servitudes et préoccupations de construction des horrea publica en Afrique : Apport des sources juridiques et de l'archéologie, actes du septième colloque international ; Villes et archéologie urbaine au Maghreb et en méditerranée, Monastir 10- 12 Avril, 2018, pp. 217- 252. P. 218.
- David Mattingly, nouveaux aperçus sur les Garamantes, un état saharien, Antiquités Africaines n° 37, 2001, pp. 45-61.
- Hélène Ménard, l'insécurité de La Rome impériale : entre réalité et imaginaire. Ed, Société Française d'histoire urbaine. N° 2, 2000, pp. 59-71. <http://www.cairn.info/revue-histoire-urbaine-2000>.

- Papi. E et Martorella. F, 2007b, « I grani delle Numidia », dans AA, 43, Journée d'étude, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, pp. 180-182.
- Patrich. Joseph, « Warehouses and Granaries in Caesarea Maritima ». In. Caesarea Maritima : A Retrospective After Two Millenia, éditeur. A. Raban & K. G. Holm, Edition, Leiden Brill, 1996, pp. 146-176.
- Trianafyllido-Balladie. Y., Greniers publics et familiaux en Grèce du XIV^e au XX^e siècle, (éd.), Gast. M, Sigaut. F, In. Les techniques de conservation des grains, vol. I, p. 150-158.
- Virlouvet. Catherine, « Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés dans l'Afrique du Nord antique », Antiquités africaines, vol. 43, 2007, pp. 165-170.
- Virlouvet. Catherine, Bâtiments de stockage et circuits économiques du monde romain, édité. Véronique Chankowski et Xavier Lafon. Dans. « Stockage et distribution : un enjeu dans les circuits économiques du monde grec et romain », Ecole Française d'Athènes, 2018, p. 43-60.

4-الموقع الالكتروني:

-<https://alfadj.dz/article/soamaa-tkhzn-alhbob-fr-algzayralrhan-alastratygy>.

تاريخ العمارة الدينية خلال الفترة المسيحية القديمة بالجزائر

(مدينة جميلة الاثرية كنموذج)

ط د/ بن عفري عائشة

معهد الآثار، جامعة الجزائر 2

مقدمة:

تعد سنة 180 م بداية التحول الرسمي في التاريخ المسيحي للمغرب القديم، فقد ارتبط هذا التاريخ بالاضطهادات التي مورست ضد المسيحيين في مدينة "سكيلي" (Scilli) حيث أُعدم 12 شهيداً بعد محاكمتهم بقرطاجة، ليكونوا عبرة لكل من يفكر في اعتناق الديانة المسيحية¹، وبعدها صار المسيحيون يتعرضون لـ كل أنواع الاضطهادات وكانت فترة حكم الامبراطور ديوكلسيانوس أشد قسوة، فاضطرت الجماعات المسيحية لممارسة الطقوس الدينية سراً، خوفاً من بطش السلطة الوثنية. وبعد إعلان المسيحية كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية، اهتم المهندسون والمعماريون بإنشاء مكان خاص يلائم متطلبات الدين الجديد، يلتقي فيه المسيحيون للتعدد ومناقشة الأمور الدينية والدنيوية، فنتج مخطط البزيليكا المسيحية الذي يعتبر مزيج بين مخطط البزيليكا المدنية ومخطط المنزل الروماني. وللتعرف على البزيليكا المسيحية

¹ - عمران عبد الحميد، (2011)، الديانة المسيحية في المغرب القديم -النشأة والتطور-(180-430 م)، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري- قسنطينة، ص. 74-73.

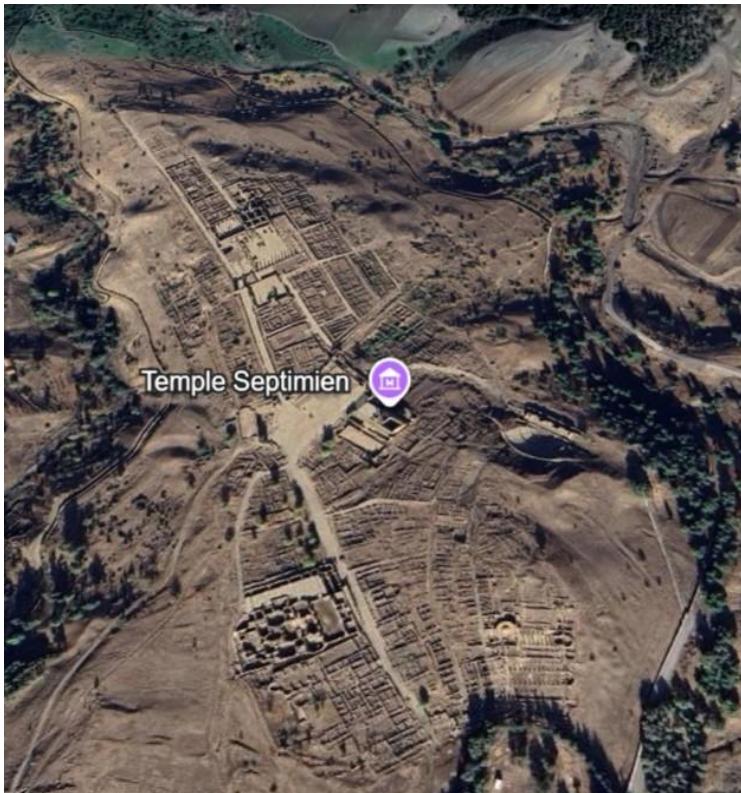
وعناصرها المعمارية، اخترنا مدينة كويكول نظراً لمكانها التاريخية والاثرية، كما أنها تعتبر نموذجاً مثالياً عن المدينة الرومانية فهي تحتوي على المباني الضرورية كالفروم والمعبد والمسرح والمنازل والبازيليكات المسيحية...الخ، وقد تميزت بقيمتها الأثرية، وما زالت إلى يومنا هذا اثارها قائمة تشهد على الحضارات التي مرت بها. وقد حظيت فيما مضى باهتمام المستكشفين الفرنسيين من بينهم الباحث "Ravoisie" والباحثة "Allai" والباحث "Christern" والمهندس "Ballu" والباحث "Fevrie"، الذين تركوا لنا تقارير الحفريات ومخططات المباني والمنشآت. بالإضافة للأطروحة التي طرقت لمدينة كويكول ومن أبرزها: أطروحة الباحث "زيدان ميلود" وأطروحة الأستاذ "حاجي ياسين رابع". ومن هنا أردنا الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هي مميزات البازيليكا المسيحية بمدينة كويكول؟ وما هي عناصرها المعمارية؟ وللإجابة اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، بداية سنعرف مدينة كويكول ثم نعرف البازيليكا المسيحية وبعدها نعرض بارزيليكات مدينة كويكول واحدة تلو الأخرى وفي الأخير نستخلص أهم خصائص البازيليكا المسيحية.

ا. لحة تاريخية عن مدينة كويكول:

تفق المراجع على أن اسم "كويكول" تسمية محلية¹، حيث تقع المدينة الأثرية على ارتفاع 900 م من سطح البحر، وتبعد حوالي 43 كم عن مدينة

¹ - ايخريان محنـد اكلي، (2008)، جـرد التـحف الـاثـرـية المعـروـضـة بـمـتحـف جـمـيلـة (كـويـكـولـ القـديـمة)، مـذـكـرة مـاجـسـتـير فـي الـاثـارـ القـديـمة، معـهـد الـاثـارـ، جـامـعـة الـجـزاـئـرـ، صـ. 8.

سطيف. وقد بنيت على هضبة صخرية في شكل منحدر مثلث، قاعده في الجنوب وهو موجه للشمال، يحده من الشرق واد بيطام ومن الغرب واد قرقور¹ (صورة 1).



صورة 1: مخطط مدينة كويكول الاثرية، عن: موقع Google Earth يوم 2025/02/10

وقد أنشئت المدينة في عهد الامبراطور نيرفا (96-98م) تحت حماية الاله مارس، خصيصاً لقدماء الجيش. وحسب المراجع فان مدينة كويكول كانت تنتهي للكنفدرالية الكيريتية قبل ان تصبح مستعمرة تنتهي لمقاطعة نوميديا

¹ - Ballu, A. (1921), Ruines de DJEMILA (Antique Cuicul), Alger, p.5.

في عهد الامبراطور ترايانوس¹، وقد عرفت المدينة تطويراً معمارياً وفنرياً كبيراً خاصة في فترة حكم العائلة السيفيرية (192-231)، حيث شيدت المعابد والساحات العمومية والنافورات والاقواس والمنازل الفخمة المزينة بالפסيفسae والمنحوتات المتنوعة². أما في الفترة المسيحية فقد كان لمدينة كويكول مكانة مميزة ودور مهم في رسم التاريخ المسيحي لمقاطعة نوميديا، ونرى ذلك من خلال عدد الأساقفة التي وردت أسماؤهم في الاجتماعات الكنسية وهم كالتالي:³

- بيدونتيانوس "Pudentianus" حضر الاجتماع الكنسي الثالث الذي أقيم بقرطاجنة سنة 255م.
- ألبيديفوريوس "Elpidiphorus" شارك في الاجتماع الكنسي الذي أقيم بقرطاجنة سنة 349م.
- كريسكونيوس "Cresconius" حضر الاجتماع الكنسي بقرطاجنة سنة 411م.
- فيكتوريوس "Victorus" كان من بين أساقفة نوميديا العشرة الذين حضروا الاجتماع الكنسي الذي أقيم سنة 484م بقرطاجنة، والذين نفاهم الملك الوندالي "هونيريك" مع بقية أساقفة المقاطعات الافريقية.

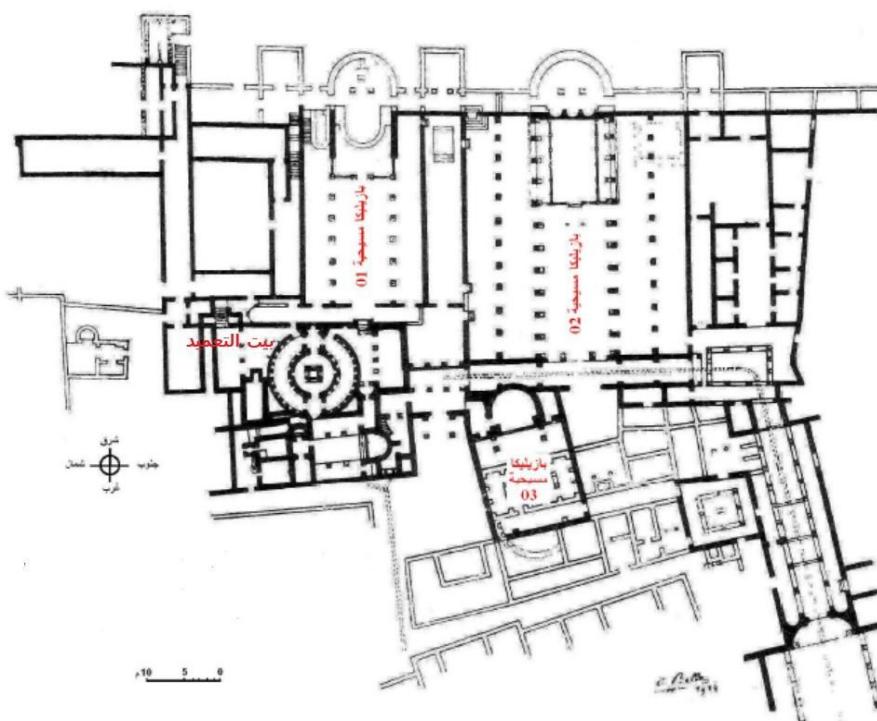
¹ - حاجي ياسين رابح، (2009)، البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا دراسة اثرية تنموية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، ص. 64.

² - ايخربان محنـد اكـلي، (2008)، ص. 8.

³-Toulotte, M. (1894), Géographie de l'Afrique chrétienne, V. 1, Paris, p. 118.

▪ كريستن "Crescent" حضر المجمع المسكوني الخامس الذي أقيم بالقسطنطينية سنة 553م.

اما بخصوص العمارة فقد تميزت هذه الفترة في مدينة كويكول ببناء المجمع الكنسي المعروف بالجي المسيحي (صورة 2)، وهو يحتوي على ثلاث بزيليكات وبيت التعميد والحمامات بالإضافة لمنازل الأساقفة ورجال الدين.¹



صورة 2: مخطط المجمع الكنسي، عن: حاجي ياسين رابع، 438 : 2009
(بتصرف الطالبة)

¹ - Zidane, M. (1998), Djémila et Sétif : l'urbanisme comparé de deux villes romaines d'Afrique du Nord, Thèse de Doctorat, université de Sorbonne, France, p. 247.

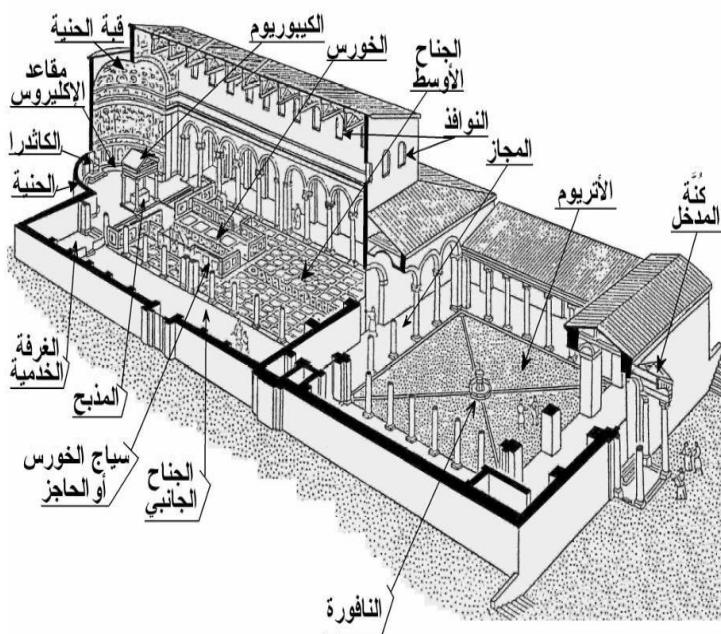
II. تعريف البازيليكا المسيحية:

يعود أصل كلمة بازيليكا للغة الاغريقية، حيث تعني الرواق الملكي، اما في مدينة أثينا فكان يقصد بها مبني المحكمة، لكن المخطط المعماري للبازيليكا المسيحية يشبه لحد كبير مخطط المنزل الروماني النموذجي¹، لأنه مع بداية انتشار المسيحية كانت تقام اجتماعات سرية في المنازل لدراسة العقيدة وحل المشاكل، فقد أصبحت هذه المنازل مهيأة للوظيفة الدينية. ومع بداية القرن الرابع وبعد الاعتراف بال المسيحية قام المسيحيون باستغلال البازيليكا المدنية وتعديلها بما يتماشى مع متطلباتهم واستعمالها لإقامة طقوسهم الدينية، وكذلك قاموا ببناء بازيليكات مسيحية جديدة معاصرة لهذه الفترة، بمخططها الخاص (صورة 3) الذي يرى جل الباحثين انه نتج من تزاوج مخطط المنزل الروماني النموذجي مع مخطط البازيليكا المدنية.²

¹ - موكاح فازية، (2012)، العمارة الدينية المسيحية في مدينة تيمقاد الأثرية (المجمع المسيحي المسئ الكاثوليكي، والمجمع المسيحي المسئ الدوّناتي)-دراسة أثرية، مذكرة

ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، ص. 2.

² - حاجي ياسين رابح، (2009)، ص. 5-4.



صورة 3: المخطط النموذجي للبزيليكا المسيحية، عن: حاجي ياسين رابع، 513:2009

يبدأ المخطط النموذجي للبزيليكا المسيحية من المدخل الرئيسي الذي يكون مفتوح على الطريق ثم يتم الولوج الى داخل المبنى عبر الأatrium (atrium) وهو عبارة عن ساحة مفتوحة يحيط بها رواق مقبب يسمى المجاز او النارثكس (Narthex) به مدخل لحيز العبادة وهو عبارة عن مخطط استطالى ينقسم لثلاثة اجنحة او أكثر تكون هذه الأخيرة مفصولة فيما بينها بصف من الاعمدة، حيث يكون الجناح الأوسط اعلى من الاجنحة الجانبية وينتهي بحنية نصف دائيرية يتوسطها الكاتيدرا (كرسي الاسقف) الذي تحيط به المقاعد المخصصة للرهبان. اما المذبح الذي عادة يغطي بالكيبوريوم (Ciborium)، فهو يتقدم الحنية، التي غالبا يوجد على

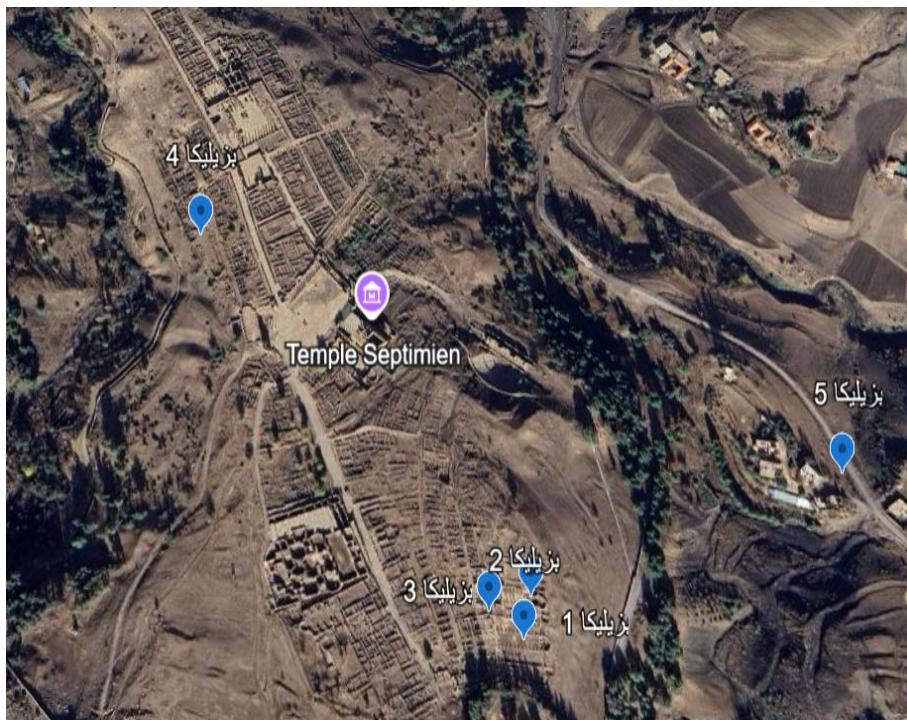
جانبيها الغرف الخدمية الخاصة برجال الدين، حيث يتقدم هذا كله الخورس (Chorus). أما بالنسبة لحوض التعميد فيمكن أن يكون في وسط الأتريوم أو على يسار الحنية في الغرفة الخدمية او ملحق منفصل عن البزيليكا كما هو الحال في المجمع الكنسي بمدينة كويكول¹. ويجد الإشارة إلى أن البزيليكا المسيحية لم تستعمل لأغراض دينية فقط، بل لعبت دورا اجتماعيا واقتصاديا هاما، حيث يقول ترتيليانوس²: "لقد كان كل واحد منا يتبع تبرعا صغيرا في اليوم المحدد من الشهر، وفي يوم يختاره من نفسه، ويتم هذا التبرع حسب امكانيته المالية، ويكون ذلك اختياريا" فكان المسيحيون متساويون روحيا لا فرق بين العبد والسيد ومتضامنين مع بعضهم البعض، يتصدقون بأموالهم ليستفيد الجميع، فنتج عن هذا عدالة اجتماعية سرعت من انتشار المسيحية التي كانت تنص على مبادئ العدل والتسامح والتآزر الاجتماعي. ومع مرور الزمن ونمو وتزايد المجتمعات المسيحية أصبح للبزيليكا المسيحية سلطة موازية للسلطة المدنية، حينها قررت السلطة الحاكمة الاستعانة بها لتحقيق السلم والوئام الاجتماعي.³

¹ - حاجي ياسين رابح، (2009)، ص. 7-6.

² - Tertullianus, (1822), XXXIX p. 166.

³ - حارش محمد الهادي، (1992)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، الجزائر، ص. 225-224.

III. البارزيليكات المسيحية في مدينة كويكول: تضم مدينة كويكول خمس بارزيليكات (صورة 4)، ثلاثة منها تقع بالملحق الكنسي جنوب المدينة والرابعة توجد بالجهة الغربية بجوار السور التحصيني اما الخامسة فهي تقع خارج المدينة على بعد حوالي 300 م شرق المجمع الكنسي.¹



صورة 4: موقع البارزيليكات المسيحية بالنسبة لمدينة كويكول، عن: موقع 2025/02/10 يوم Google Earth

¹ حاجي ياسين راجح، (2009)، ص. 321.

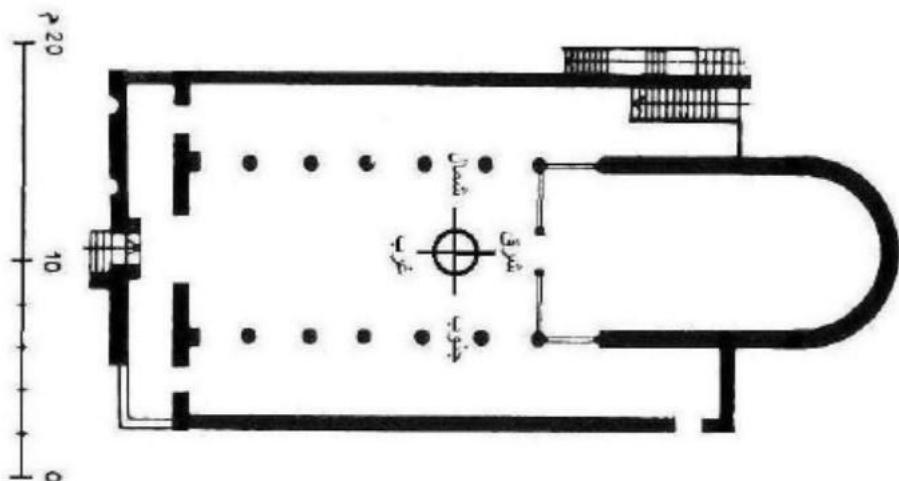
1. بازيليكا رقم 1: تدعى البازيليكا الشمالية لأنها تقع شمال المجمع الكنسي¹، يبلغ عرضها 15م وطولها حوالي 35م، لها ثلاثة مداخل رئيسية في واجهتها الغربية وكل مدخل يفتح على جناح من اجنبتها الثلاثة، بالإضافة لمدخل ثانوي في الزاوية الجنوبية الشرقية (صورة 5). اجنبتها مفصولة بأعمدة ذات تيجان كورنثية² (صورة 6). في الجناح الأوسط يوجد الخورس الذي كان محاطا بدرابزين وله مدخل محوري تتقدمه ثلاث درجات يفترض ان المذبح كان في هذا المكان، بعده كانت توجد حنية نصف دائيرية موجهة للشرق لكنها اندثرت، على يسارها في نهاية الجناح الجانبي يوجد سلم (صورة 7) يتكون من 18 درجة يؤدي للسرداب وهو منخفض على مستوى أرضية البازيليكا بـ 3,50 م. يتكون السرداب من حنيتين واحدة تتجه نحو الشرق حيث تقع تحت حنية البازيليكا والثانية تتجه للغرب وهي تقع تحت الخورس، داخل السرداب توجد كتلة بنائية يفترض "كريسترن" انها كانت تحتوي على صندوق رفات الاسقف كريسكونيوس "Cresconius" وخلفائه، بالإضافة الى وجود ممر عرضه 2,60 م يربط هذا السرداب بسرداب البازيليكا الجنوبية³ (صورة 8). بنيت جدران البازيليكا بالتقنية الافريقية Opus africanum الكبيرة التي يتخللها افقيا حشو من حجارة الدبيش وتكون هذه الأخيرة ذات

¹ - عيد عبد الحق، (2023)، المجمع المعماري المسيحي بكويكول بين القراءة الاثرية والتصميم الهندسي، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 7، العدد 2، ص. 130.

² - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 25.

³ - حاجي ياسين رابح، (2009)، ص. 65.

ابعاد صغيرة وأشكال غير منتظمة¹. اما أرضية البازيليكا كانت مبلطة بفسيفساء ذات اشكال هندسية وحيوانية بالإضافة ل نقشة لاتينية تحمل أسماء الأشخاص الذين ساهموا في بنائها² (صورة 9-10-11). وحسب مونسو وكريستن تؤرخ هذه البازيليكا ب نهاية القرن الرابع ميلادي، نسبة لأنسلوب بناء وزخرفة الفسيفساء³، ومنه نجد بعض المراجع تسمى ببازيليكا القرن الرابع.



صورة 5: مخطط البازيليكا الشمالية. عن: حاجي ياسين راجح، 2009: 439.

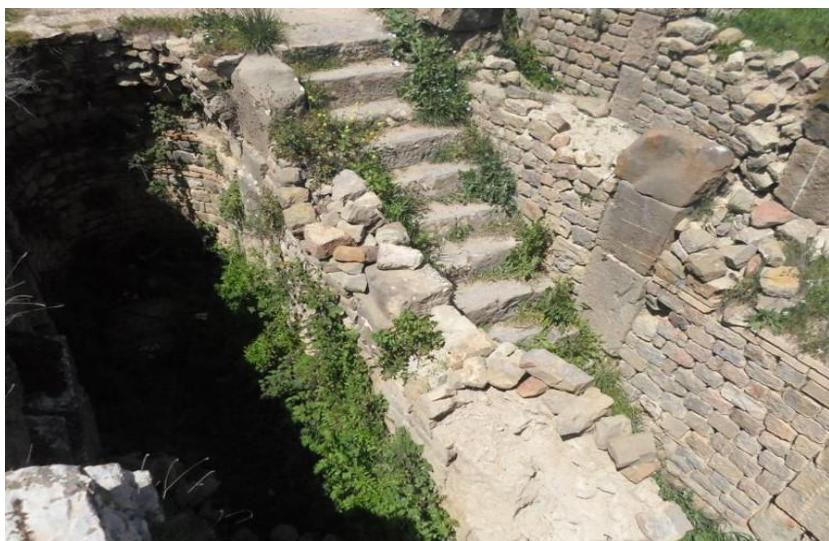
¹ - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 23.

² - Ravoisié, A., 1846 :PL 52.

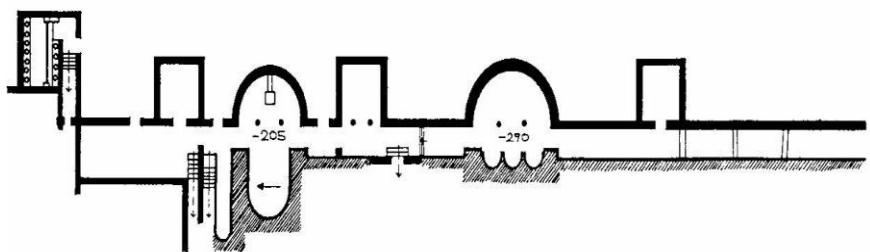
³ - حاجي ياسين راجح، (2009)، ص. 66.



صورة 6: اجنحة البزيليكا الشمالية والاعمدة الفاصلة بينها، عن: خاشية السعيد، 714: 2016



صورة 7: السلم المؤدي للسرداب. عن: عيد عبد الحق، 167: 2015



صورة 8: مخطط سرداي البازيليكا الأولى والبازيليكا الثانية، عن: Michel .77 : 2005



صورة 9: جزء 1 من فسيفساء أرضية البازيليكا الشمالية، معروضة بمتحف جميلة عن: الطالبة 2024



صورة 10: جزء 2 من فسيفساء أرضية البازيليكا الشمالية، معروضة

بمتحف جميلة عن: الطالبة 2024



صورة 11: جزء آخر فسيفساء أرضية البازيليكا الشمالية، معروضة
بمتحف جميلة، عن: الطالبة 2021

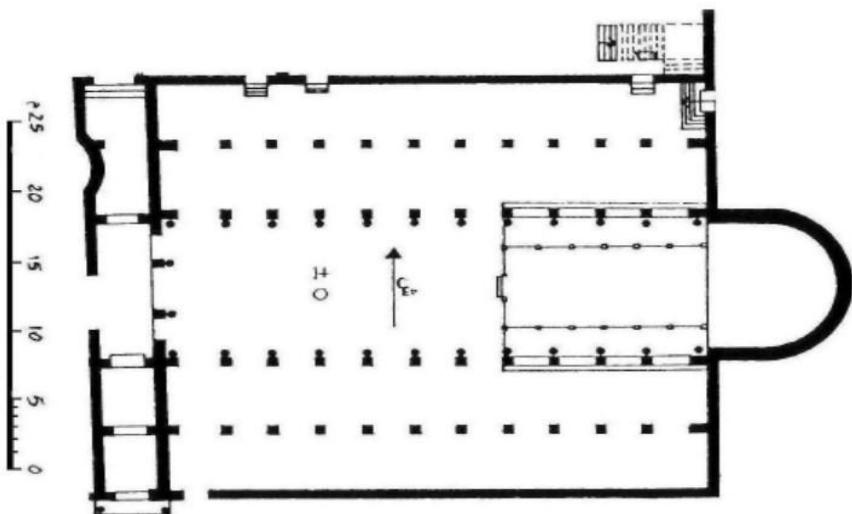
2. بازيليكا رقم 2: تدعى البازيليكا الجنوبية نسبة لموقعها جنوب المجمع الكنسي وكذلك تعرف باسم بازيليكا كريكونيوس¹، يبلغ طولها حوالي 44م وعرضها 29م، ويبدو انه يتقدمها مجاز مقبي (النارثكس) لوجود دعامات متناظرة على طول الجدران. لها ثلاثة مداخل رئيسية تفتح على الجناح الاوسط بالإضافة لثلاثة مداخل ثانوية تقع بالجدار الشمالي للبازيليكا (صورة 12). تتكون البازيليكا الجنوبية من خمسة اجنحة مفصولة عن بعضها بأربعة صفوف، وتتكون هذه الأخيرة من عشر دعامات ملاصقة للأعمدة (صورة 13). نجد اثار المذبح ما زالت قائمة، اما بالنسبة للخورس فهو مرتفع عن الأرضية بـ 0,40 م ومحدد من كل الجهات بواسطة حاجز، وهو يعتبر بناء متاخر عن فترة بناء البازيليكا لأنه عثر تحته على الفسيفساء

¹ - حاجي ياسين راجح، (2009)، ص. 67.

التي تحمل شعر يمدح الاسقف كريسكونيوس (صورة 14)، والتي كانت تشغل كل مساحة الخورس البدائي الذي كان مبني على نفس مستوى أرضية البازيليكا. اما بالنسبة للحنية فهي موجهة للشرق وقد اندثرت حيث كانت مرتفعة بحوالي 1م، ويمكننا تصوّرها من خلال ارتفاع الاعمدة الموجودة في السرداد والتي كانت تحمل ارضيتها، اما السرداد نصل اليه من خلال سلم يتكون من تسع درجات وهو موجود في الزاوية الشمالية الشرقية للبازيليكا، يأخذ السرداد نفس مخطط حنية البازيليكا من الجهة الشرقية وفي الجهة المقابلة يتكون من ثلاثة حنيات صغيرة مجاورة لبعضها البعض، وكما سبق الذكر يرتبط هذا السرداد مع سرداد البازيليكا الشمالية عبر ممر (صورة 8). وقد بنيت جدران البازيليكا بالتقنية الافريقية (صورة 13)، اما بالنسبة للأرضية فقد كانت مبلطة بالفسيسae (صورة 14-15)، كما ان كريستن افترض وجود طابق علوي للبازيليكا نظراً لوجود نوافذ مخرمة (صورة 16)، يتم الوصول اليه عن طريق سلم موجود في الممر الموجود بين البازيليكا الشمالية والبازيليكا الجنوبية (صورة 17)¹، وفيما يخص التاريخ فهي ترجع للقرن الخامس²، لذا نجد بعض المراجع تسمّها ببازيليكا القرن الخامس.

¹ - حاجي ياسين راجح، (2009)، ص. 68.

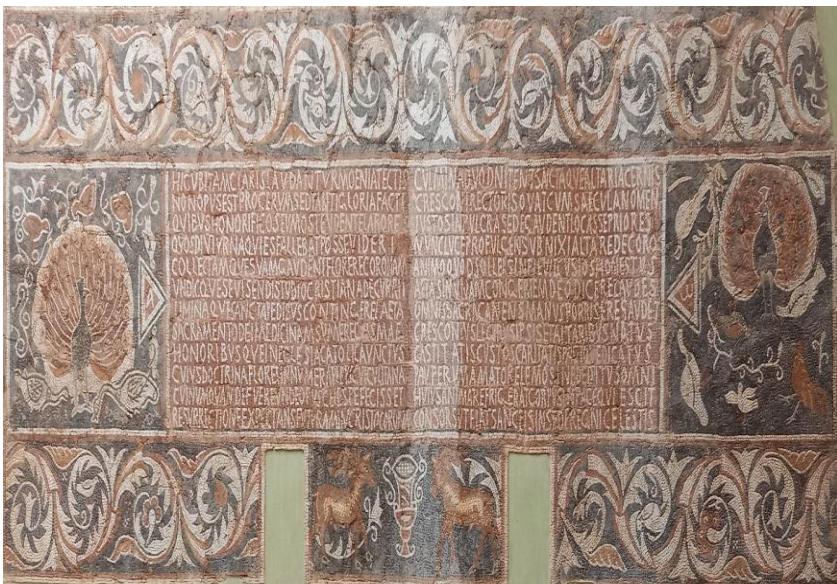
² - خاشية السعيد، (2016)، ص. 417.



صورة 12: مخطط البازيليكا الجنوبية. عن: حاجي ياسين راح، 439: 2009



صورة 13: بقايا البازيليكا الجنوبية. عن: عيد عبد الحق، 171: 2015



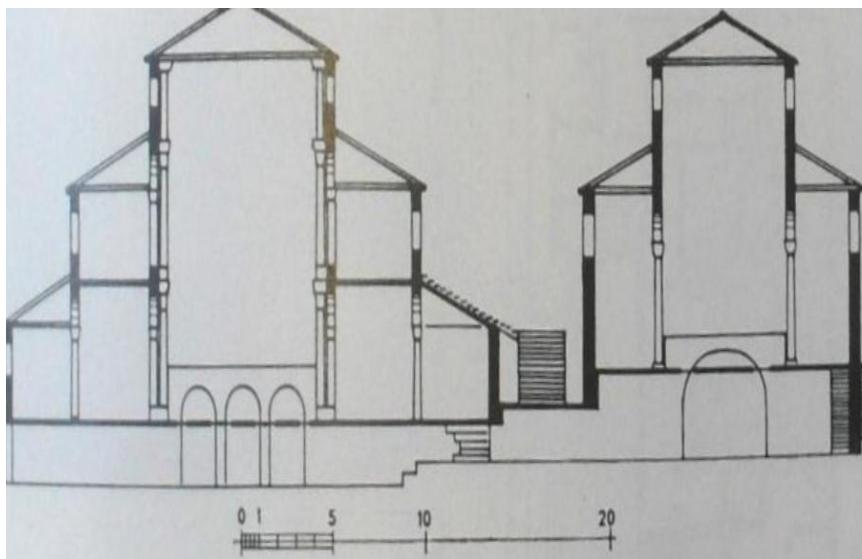
صورة 14: الفسيفساء التي تحمل شعر يمدح الاسقف كريسكونيوس ،
معروضة بمتحف جميلة، عن: الطالبة 2024



صورة 15: فسيفساء أرضية البزيليكا الجنوبية، معروضة بمتحف جميلة،
عن: الطالبة 2024



الصورة 16: بقايا نافذة من الباريليكا الجنوبية، معرضة بالمتحف، عن:
الطالبة 2021



صورة 17: مقطع عرضي للواجهة الشرقية للبازيليكا الأولى والثانية
لكريستن، عن: N, Duval, 1992 : 71

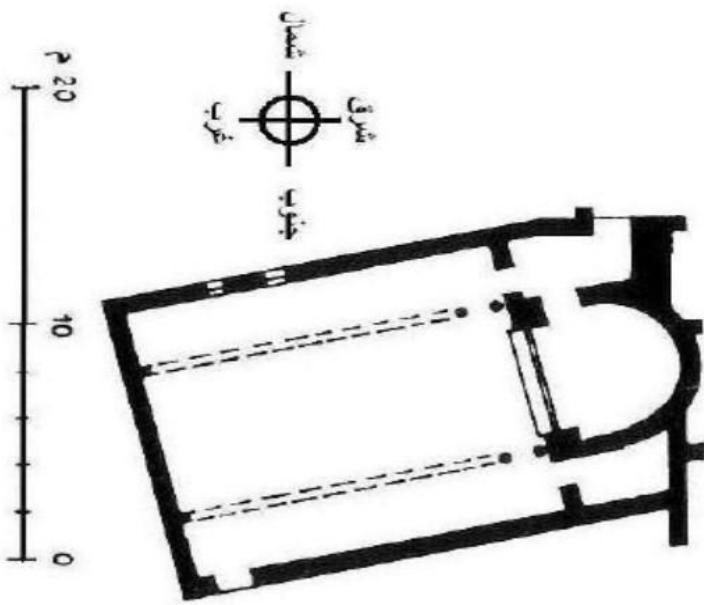
3. بازيليكا رقم 3: تدعى قاعة العبادة (مصلى) لأنها عبارة عن مبنى صغير¹، تقع في الجهة الجنوبية الغربية للمجمع الكنسي، طولها 19م وعرضها حوالي 12م، لها مدخل رئيسي يقع في واجهتها الغربية الجنوبية ولها ثلاثة أجنحة يفصل بينهما صفين من الأعمدة موضوعة على أربعة قواعد. طول الخورس 4م ثم تليه الحنية بشكلها الشبه دائري وهي بارزة نوعاً ما نحو الخارج، على جانبها غرفتين ذات مخطط غير منتظم تتصل بالأجنحة الجانبية عن طريق سلم يتكون من درجتين، والغرفة الشمالية تتصل كذلك مع الحنية والساحة التي تفصل بين البازيلكتين الأولى والثانية (صورة 18)، تقنية بناء الجدران عامة (لم يبق لها أثر) تمثل في التقنية الأفريقية نسبة للأبنية المحيطة بها²، أما الأرضية فكانت مبلطة بالفسيفساء³ لكنها اندثرت، وحسب مونسو يعود تاريخ بناء البازيليكا إلى القرن الخامس ميلادي.⁴

¹ - عيد عبد الحق، (2023)، ص. 135.

² - خاشية السعيد، (2016)، ص. 419.

³ - Ballu, A. (1926), p. 34.

⁴ - حاجي ياسين رابح، (2009)، ص. 70.



صورة 18: مخطط البازيليكا الثالثة. عن: حاجي ياسين راجح، 2009: 439

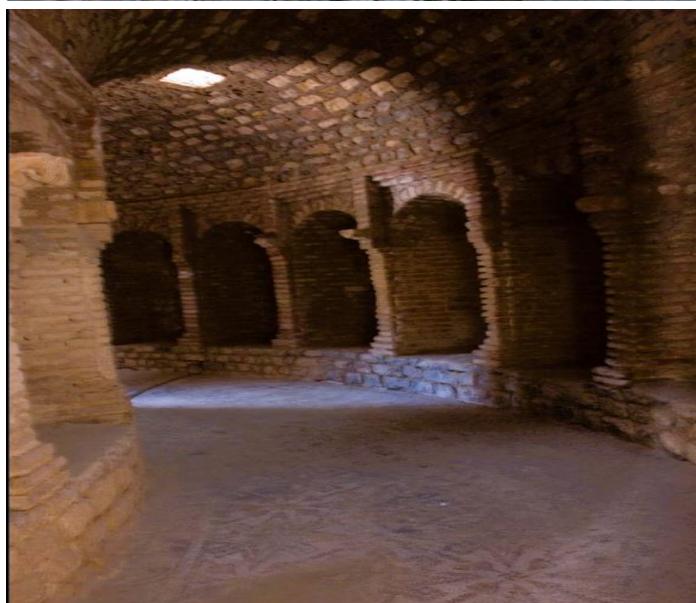
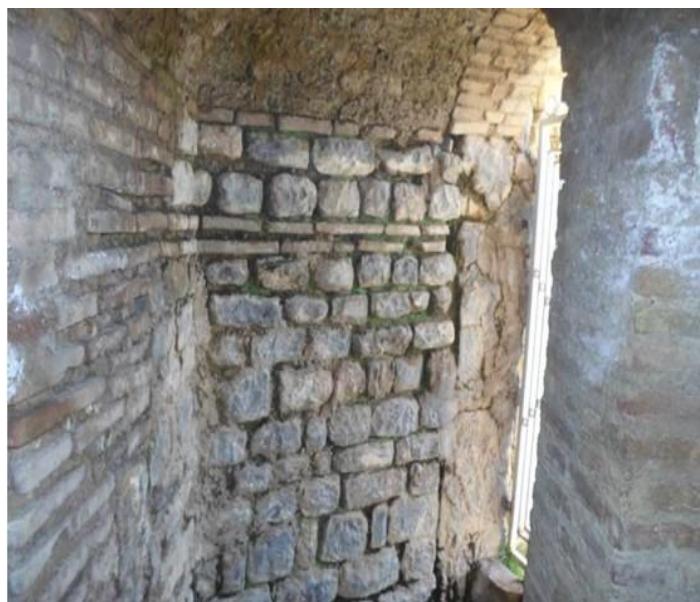
□ **بيت التعميد:** يقع في الزاوية الشمالية- الغربية للمجمع الكنسي، غرب البازيليكا الأولى وشمال الثالثة، وهو مبني دائري ذو جدران سميكة مبنية بالتقنية المختلطة Opus mixtum (حجارة الدبش والاجر) (صورة 19)، يتكون من رواق دائري مزين على طوله بقواف (فتحات ذات شكل نصف دائري) ويحتوي سقفه المقبب على فتحات للإضاءة¹ (صورة 20)، ويتوسط هذا الرواق حوض مربع الشكل مبلط بالفسيفساء يتم التزول إليه بدرجتين (صورة 21) وهو مغطى بقبة حجرية من كتلة واحدة يحملها

¹ - عيد عبد الحق، (2023)، ص. 36.

أربعة أعمدة تدعى الكيبوريوم¹ (صورة 22)، أرضية الرواق مزينة بפסيفسae ذات اشكال هندسية واسماك وحيوانات بحرية (صورة 23)، ما زالت في مكانها الى غاية اليوم. حسب فيفرى يُؤرخ بيت التعميد بنفس تاريخ البازيليكا المجاورة له (البازيليكا الأولى) أي انه يعود للقرن الرابع ميلادي.²

¹ - Fevrier, P.-A. (1968), DJEMILA, Alger, p. 79.

² - خاشية السعيد، (2016)، ص. 420.



صورة 19: التقنية المختلطة، عن: عبد الحق، 2015: 183
صورة 20: الكواكب والنوافذ، عن: خاشية السعيد، 2016: 718



صورة 22: الكيبيوريوم، عن:

الطالبة 2021

صورة 21: حوض التعمي

عن: عيد عبد الحق، 2015: 179



صورة 23: فسيفساء أرضية رواق بيت التعميد. عن: الطالبة 2021

4. بزيليكا رقم :

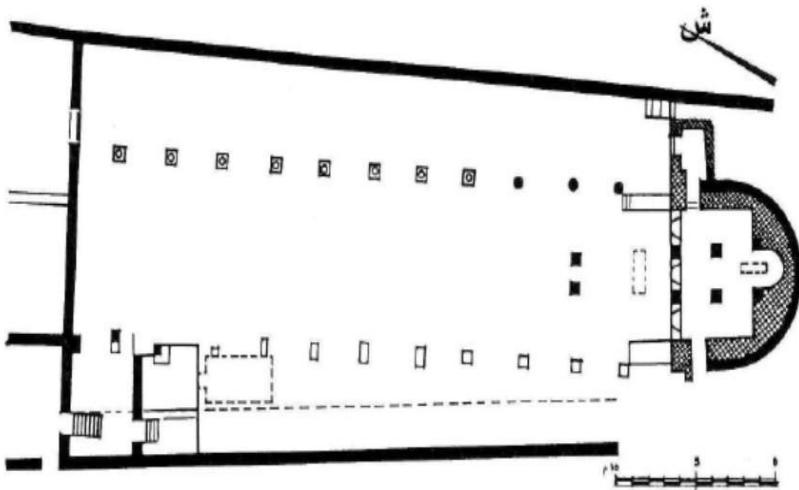
تدعى البازيليكا الغربية لأنها تقع في الحي الغربي للمدينة، بين الجدار الساند للكاردو الثانوي من الجهة الشرقية والسور التحصيني من الجهة الغربية حيث استعمل الجدارين في بناء البازيليكا¹، لهذا نجد مخططها غير منظم (صورة 24)، طولها حوالي 44م وعرضها 20م تقريباً، لها ثلاثة أجنحة مفصولة بصفين من احدى عشرة عمود، ومدخل رئيسي يوجد في الواجهة الشمالية (صورة 25). في نهاية الجناح الأوسط نجد الحنية اتجاهها جنوب-شرق-جنوب، على جهتها الشرقية نجد غرفة خدمية مفتوحة على الجناح الجانبي الشرقي²، الخورس كان مسيجاً ب حاجز وبه قبر بمحور عمودي على محور البازيليكا كان يمثل مكان المذبح. يتم الوصول للسرداب عبر مدخل من الجهة الجنوبية الغربية، وهو ذو مخطط مستطيل مزود بحنية صغيرة يوجد بها قبر مبني، حيث يقع السرداب تحت الحنية ومفصل عن الخورس بجدار، في هذا الجدار توجد ثلاثة نوافذ تفتح على الأجنحة لتسمح للمصلين برؤية ما بداخله³ (صورة 26). في الجهة الشمالية الغربية يوجد القبو وهو في حالة جيدة (صورة 27)، سقفه مقبب وجدرانة بنيت بالتقنية الكبيرة Opus quadratum، وارضيته مبلطة ب بلاطات حجرية (صورة 28). اما بالنسبة للبازيليكا فقد بنيت جدرانها

¹ - نوارة سارة، (2015)، ص. 40.

² - نوارة سارة، (2015)، ص. 55.

³ - حاجي ياسين راجح، (2009)، ص. 72.

بالتقنية الإفريقية (صورة 29) وأرضيتها من الخرسانة. تؤرخ الباحثة آلي البازيليكا بالقرن الرابع ميلادي وهذا بعد دراسة جدران السرداب.¹



صورة 24: مخطط البازيليكا الرابعة. عن: حاجي ياسين رابح، 2009: 440



صورة 25: منظر عام للبازيليكا الغربية. عن: نواره سارة، 2015: 38

¹ - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 41.



صورة 26: مدخل وحنية السرداًب. عن: نوارة سارة، 2015: 38



صورة 27: مدخل القبو. عن: نوارة سارة، 2015: 58

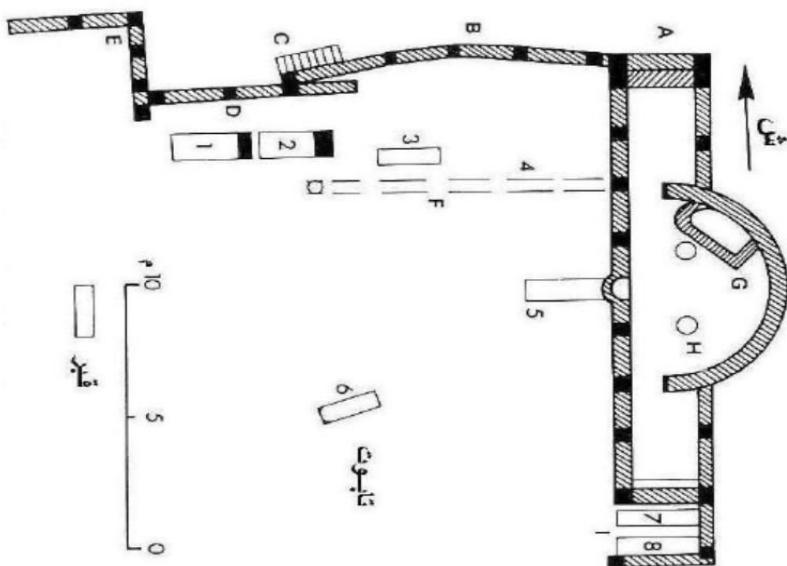


صورة 28: القبو من الداخل،
عن: نوارة سارة، 60:2015
صورة 29: بقايا الجدار الشرقي والجنوبي
عن: نوارة سارة، 65:2015

5. بزيليكا رقم 5: تقع على بعد 300م شرق المجمع الكنسي، طولها حوالي 25م وعرضها 20م تقريباً، حيث يجدر الإشارة إلى أن هذه القياسات لا تمثل كل مخطط البزيليكا لأن حالتها سيئة جداً بسبب انجراف التربة، فقد اندثرت زوايتها الجنوبية-الغربية ومعظم الواجهة¹ (صورة 30). يرجح أنها كانت تحتوي على مجاز (نارثكس) وهذا يعود لوجود جدارين متعامدين ومزدوجين في نهاية الجدار الشمالي، ومن خلال تطبيق نظرية التناظر في مخطط البزيليكا المسيحية يظهر أنها كانت تتكون من ثلاثة أجنحة، ومن خلال مخطط السرداد يظهر أن الحنية كانت بارزة نحو الخارج ووجهة

¹ - حاجي ياسين رابح، (2009)، ص. 73.

للشرق (صورة 31)، ولا يوجد أي إشارة حول مدخل السرداد ولا يوجد أثر للخورس، بل وجدت بعض القبور، اما المذبح فهو يتوسط البازيليكا ولكن حالته سيئة بقيت منه بعض الأجزاء فقط. وقد بنيت جدران البازيليكا بالتقنية الافريقية، اما الأرضية فلا يوجد لها أي أثر. اما فيما يخص التاريخ فقد رُجح ان تكون معاصرة للمجمع الكنسي، وهذا من خلال دراسة وتحليل النقاشة اللاتينية التي وجدت بها¹، أي انها تعود لنهاية القرن الرابع او بداية الخامس ميلادي.



صورة 30: مخطط البازيليكا الخامسة. عن: حاجي ياسين راجح، 2009: 440

¹ - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 44.



صورة 31: سور وصدر البازيليكا الشرقية، عن: عيد عبد الحق، 2015: 200
IV. خصائص البازيليكا المسيحية بمدينة كويكول:

سرى خصائص بزيليكات مدينة كويكول، من خلال عرضها في الجدول التالي:

البازيليكا 5	البازيليكا 4	البازيليكا 3	البازيليكا 2	البازيليكا 1	
على بعد 300 م شرق المجمع الكنسي	الحي الغربي بجوار السور التحصيني	جنوب-غرب المجمع الكنسي	جنوب المجمع الكنسي	شمال المجمع الكنسي	الموقع
م25 × م20 (تقريبا)	م44 × م20	م19 × م12	م44 × م29	م35 × م15	المساحة
الشرق	جنوب- شرق- جنوب	شمال-شرق	الشرق	الشرق	التوجيه
احتمال وجوده	/	/	يوجد	/	التارثكس
لا أثر	1 رئيسي	1 رئيسي	3 رئيسي+ ثانوي	3 رئيسي+ ثانوي	عدد المداخل
3 اجنحة	3 اجنحة	3 اجنحة	5 اجنحة	3 اجنحة	الاجنحة
/	غرفة واحدة	غرفتين	/	/	غرفة خدمية
التقنية الافريقية	التقنية الافريقية	التقنية الافريقية	التقنية الافريقية	التقنية الافريقية	بناء الجدران
لا أثر	خرسانة	فسيفساء(اذ دترت)	فسيفساء	فسيفساء	الارضية
القرن 4 م 5- م	القرن الرابع م	القرن الرابع م	القرن الخامس	القرن الرابع م	التاريخ

- نلاحظ ان بداية بناء البزيليكات المسيحية في مدينة كويكول كان خلال القرن الرابع ميلادي وتواصل الى غاية الخامس، وقد تركزت ثلاثة بزيليكات في مكان واحد بالقرب من بيت التعميد وهو الحي المسيحي او ما يسمى بالمجمع الكنسي وهو نواة مدينة كويكول المسيحية.
- تفاوتت ابعاد البزيليكات من واحدة لآخر، كذلك عدد المدخل، اما بالنسبة لعدد الاجنحة ففي المجمل تقسم البزيليكا الى ثلاثة اجنحة لا في حالة البزيليكا الثانية فقد كانت مساحتها كبيرة وقسمت الى خمسة اجنحة.
- بالنسبة للنارثكس والغرف الخدمية فهي من الملاحق، قد نجدها في بعض البزيليكات ولا نجدها في البعض الآخر.
- طبografية المنطقة قد ساهمت في اندثار الآثار خاصة البازيليكا الشرقية والبزيليكا الغربية لأنها بنيت على منحدر، وكذلك قد تحكمت بشكل واضح في توجيه البزيليكا لأنها في الأصل توجه للشرق.
- استعملت التقنية الافريقية في بناء جدران كل البزيليكات نظراً لتوفّر المادة الأولية المتمثلة في الحجارة والدبش، حيث اعتمد سكان مدينة كويكول على محجرة "كاف بني صالح" والتي تبعد حوالي 2 كلم عن المدينة. وقد لاحظنا في البازيليكا الغربية استعمال الجدار الداعم للكاردو الثانوي والسور التحصيني كجدران للبزيليكا لضيق المساحة وربما لنقص التمويل او لاختصار الجهد والوقت.

- الفسيفساء التي استعملت في تبليط أرضية البازيليكات الأولى والثانية ذات مواضع حيوانية واشكال

هندسية بالإضافة لكتابات اهدائية، ولا تحمل تمثيلات أدمية لأنها كانت
محرمة، كذلك الحال بالنسبة لفسيفساء بيت التعميد.

الخاتمة:

تعتبر البازيليكا المسيحية اهم مكان لجتماع المسيحيين وقد احتوت
مدينة كويكول على خمس بازيليكات، ثلاثة منها متجمعة في الحي المسيحي
وبجانبها بيت التعميد الذي يعتبر جوهر الديانة المسيحية، والرابعة في الحي
الغربي بجوار السور التحصيني، اما البازيليكا الخامسة فتقع خارج النسيج
العمرياني. وقد امتازت العمارة الدينية المسيحية في مدينة كويكول بتبني
المخطط الكلاسيكي للبازيليكا الذي يتكون من ثلاث اجنحة وفي بعض
الأحيان خمسة، وينتهي جناحها الاوسط بحنية نصف دائرة عادة موجهة
للشرق، يسبقها المذبح والخورس، اما السرداد عادة يكون تحت الحنية
والخورس مثل البازيليكا الأولى والثانية او تحت الحنية فقط مثل البازيليكا
الرابعة، ويعتبر بيت التعميد من اهم عناصر العمارة الدينية وعادة ما
يكون ملحق او داخل البازيليكا المسيحية، ولكن في مدينة كويكول نجد
مبني مستقل بجانب بازيليكات المجمع الكنسي.

ان العمارة الدينية تكيف حسب المعتقدات والطقوس التي تقام بها،
وفي البازيليكا المسيحية يجب ان نجد بيت التعميد الذي بداخله يقام اول

طقس للدخول الرسمي في الديانة المسيحية، ونجد الحنية وهي مكان الاسقف ورجال الدين، ونجد المذبح لتقديم لقرايين...الخ فكل عنصر بني من أجل وظيفة معينة، دون ان ننسى الإشارة للفن المعماري والزخرفة مثل أعمدة البازيليكا الأولى ذات التيجان الكورنثية، فقد اجتهد المعماري والفنان المسيحي في تقديم اجمل صورة للبازيليكا المسيحية التي تعبّر عن هويتهم وانتماهم العقائدي وكل ذلك بتمويل من المؤمنين المسيحيين الذين أرادوا اظهار سخائهم ووفائهم للشهداء الذين ضحوا في سبيل عقيدتهم، فقد خلدوا ذكراتهم من خلال الاحتفاظ برفاتهم وبناء البازيليكات على شرفهم، والمساهمة في تزيينها كما رأينا في فسيفساء البازيليكا الأولى أسماء الأشخاص الذين ساهموا في بنائها، وكذلك قاموا بتخليد أسماء الشهداء مثل ما رأينا في البازيليكا الثانية حيث وجدت فسيفساء كريكونيوس التي تحمل ابيات شعرية تمده، وبعدما ظهرت عبادة القديسين والشهداء أصبحت البازيليكا مكان للدفن تقربا من الشهداء كما رأينا القبور المنتشرة في البازيليكا الخامسة. وفي الأخير نقول ان العمارة هي مرآة للهوية، من خلالها نتعرف على معتقدات وعادات وتقالييد الأمم التي قامت بإنشائها، وتتعرف كذلك على مدى رقيهم واتقاهم للفن المعماري.

القائمة библиография المعتمدة:

- ايخريان محنـد اكلي (2008)، جرد التحف الـاثـرـية المعروضـة بمتحـف جـمـيـلة (كـويـكـولـ القـديـمة)، مـذـكـرة مـاجـسـتـير في الـاثـارـ القـديـمة، معـهـد الـاثـارـ، جـامـعـة الـجـزاـئـرـ .2
- حاجـي يـاسـين رـابـحـ، (2009)، الـبـازـيلـيكـاتـ المـسيـحـيـةـ فيـ مقـاطـعـةـ نـوـميـدـيـاـ درـاسـةـ اـثـرـيـةـ تـنـمـيـطـيـةـ، رسـالـةـ دـكـتوـرـاهـ، جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ .2
- حـارـشـ مـحمدـ الـهـادـيـ (1992)، التـارـيـخـ الـمـغـارـيـ الـقـدـيمـ السـيـاسـيـ وـالـحـضـارـيـ منـذـ فـجـرـ التـارـيـخـ إـلـىـ الفـتـحـ إـلـاسـلـامـيـ، الـجـزاـئـرـ .
- خـاشـيـةـ السـعـيدـ (2016)، كـويـكـولـ درـاسـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ وـاثـرـيـةـ، أـطـرـوـحةـ دـكـتوـرـاهـ فيـ الـاثـارـ الـقـدـيمـةـ، معـهـدـ الـاثـارـ، جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ .2
- عـمـرـانـ عـبـدـ الـحـمـيدـ (2011)، الـدـيـانـةـ мـسـيـحـيـةـ فيـ الـمـغـرـبـ الـقـدـيمـ - النـشـأـةـ وـالـتـطـوـرـ(430-180مـ)، أـطـرـوـحةـ دـكـتوـرـاهـ، جـامـعـةـ مـنـتـورـيـ قـسـنـطـيـنـيـةـ .
- عـيـدـ عـبـدـ الـحـقـ، (2015)، المـجـمـعـ الـكـنـسـيـ بـكـويـكـولـ - جـمـيـلةـ درـاسـةـ مـعـمـارـيـةـ وـفـنـيـةـ، مـذـكـرةـ مـاجـسـتـيرـ فيـ الـاثـارـ الـقـدـيمـةـ، معـهـدـ الـاثـارـ، جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ .2
- عـيـدـ عـبـدـ الـحـقـ، (2023)، المـجـمـعـ الـمـعـمـاريـ الـمـسـيـحـيـ بـكـويـكـولـ بيـنـ الـقـرـاءـةـ اـثـرـيـةـ وـالـتـصـمـيمـ الـهـنـدـسـيـ، المـجـلـةـ التـارـيـخـيـةـ الـجـزاـئـرـيـةـ، المـجـلـدـ 7ـ، الـعـدـدـ 2ـ، صـ-صـ.146ـ-127ـ .
- موـكـاحـ فـازـيـةـ (2012)، الـعـمـارـةـ الـدـينـيـةـ мـسـيـحـيـةـ فيـ مـدـيـنـةـ تـيـمـقـادـ اـثـرـيـةـ (المـجـمـعـ الـمـسـيـحـيـ المـسـمـىـ الـكـاثـولـيـكـيـ، وـالـمـجـمـعـ الـمـسـيـحـيـ المـسـمـىـ الـدـونـاتـيـ)ـ درـاسـةـ اـثـرـيـةـ، مـذـكـرةـ مـاجـسـتـيرـ، معـهـدـ الـاثـارـ، جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ .2
- نـوـرـةـ سـارـةـ (2015)، باـزـيلـيـكـاـ الـحـيـ الـغـرـبـيـ بـمـدـيـنـةـ جـمـيـلةـ (كـويـكـولـ)ـ درـاسـةـ اـثـرـيـةـ، مـذـكـرةـ مـاسـتـرـ فيـ الـاثـارـ الـقـدـيمـةـ، جـامـعـةـ قـسـنـطـيـنـيـةـ .2
- Ballu, A. (1921), *Ruines de DJEMILA (Antique Cuicul)*, Alger.
- Ballu, A. (1926), *DJEMILA (Antique Cuicul)*, Alger.
- Duval, N., Caillet J-P., Chvalier, P., Lorquin, A. (1992), *Basiliques Chrtiennes d'Afrique du nord*, V. I, Paris.
- Fevrier, P.-A. (1968), *DJEMILA*, Alger.

- Michel, A. (2005), Aspects du culte dans les églises de Numidie au temps D'Augustin : un état de la question. Serge Lancel. **Saint Augustin, la Numidie et la société de son temps**, 14, Ausonius, pp. 67-108.
- Ravoisié, A. (1846), **Exploration scientifique de l'Algérie**, V. I, Paris.
- Tertullianus, Q. S. F. (1822), **Apologétique de Tertullien**. Hubert, Paris.
- Toulotte, M. (1894), **Géographie de l'Afrique chrétienne**, V. 1, Paris.
- Zidane, M. (1998), **Djémila et Sétif : l'urbanisme comparé de deux villes Romaines d'Afrique du Nord**, Thèse de Doctorat, université de Sorbonne, France.

دور الوقف في تطور العمارة الجزائرية

د. صابر بن عائشة

ط/د. نور الإسلام بوراس

جامعة سطيف

دار القرآن - المدرسة الوطنية

العليا للعلوم الإسلامية-

مقدمة

يعتبر الوقف من أقدم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المعروفة في الجزائر، وقد لعب دوراً مهماً في تعزيز التعليم، والخدمات الاجتماعية، والتنمية الحضرية. قبل فترة الحكم العثماني، كانت الأوقاف تتجسد في المساجد والمدارس الدينية، مثل مدرسة ومسجد سيدي بومدين شعيب في تلمسان (1500م). ومع دخول العثمانيين، أصبح الوقف أكثر تنظيماً عبر هيئات إدارية خاصة، مما أدى إلى زيادة عدد المؤسسات الوقفية وزيادة تأثيرها على الحياة اليومية، وتشجيعها لخدمة الصالح العام. وسادت في المدن في تلك الفترة الوقف الاهلي والذي كان تتقاسم عوائده المؤسسات الدينية والزوايا التي تزايد عددها مع مجيء العثمانيين، كما في الارياف فقد كان يسودها الوقف الخيري والذي يعود مردودها ايضاً للمساجد والزوايا.

وقد تضاعف الوقف 12 مرة سنة 1750 مقارنة بسنة 1600 ميلادي حيث اصبحت الاوقاف تشكل ما مجموعه 66٪ من الممتلكات العقارية والزراعية. وهذا معناه تطور الوقف في فترة وجيزة خلال 150 سنة تقريباً، ويرجع هذا الى عدة عوامل مثل حب الخير، العلم، واصلاح المجتمع،

اضافة الى رغبة المحسنين في توفير مصدر رزق دائم لأفراد اسرهم حفظ حقوق اليتامي الارامل القصر وكونه صدقة جارية تبقى في ميزان حسنات الاشخاص. ومع بداية القرن الثامن عشر ومع وصول الحكم التعسفي للجزائر الذي كان يضع كل املاك التي لا ورثت لها تحت اشراف بيت المال أصبح الجزائريون يقدمون على حبس ممتلكاتهم وعقاراتهم حتى لا تؤول الى تلك الم هيئات فازداد انتشار الوقت في تلك الفترة ولكن كان من أبرز اسبابها هو عدم ثقة الشعب في حكامه.¹ ومن خلال ما سبق يمكن طرح التساؤل التالي كيف ساهم الوقف في تطور العمارة والعمران بالجزائر؟.

1- **تعريف الوقف:** لعب الوقت دورا رئيسيا في الحضارة الاسلامية من عدة نواح، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والانسانية اذ ان الملاحظة لكل تلك العقارات والاراضي التي كانت وقفا وما تدرسه من خيرات وربح كانت لها دور كبير في تمويل المشاريع الاقتصادية والخدماتية.²

والوقف لغة: هو الحبس وهو إيقاف الشيء اي انه لا يباع ولا يورث ويمنع صاحبه من التصرف فيه ويتم التصدق بمنافعه على الفقراء مع بقاء العين.³.

¹ عبد الكري姆 بو حميده، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غردية.

² اطروحة الدكتوراه بعنوان دور الحكومة في تطوير ادارة الاوقاف حالة الجزائر من اعداد مختن الثوم 2020. ص 17

³ مختن الثوم، اطروحة الدكتوراه بعنوان دور الحكومة في تطوير ادارة الاوقاف حالة الجزائر، 2020. ص 18

تعريفه اصطلاحا يرى الحنفية ان الوقف باقي على ملك الواقف ولم يخرج عنه وبهذا يستطيع ان يتصرف به من بيع وهبة ويراهن الى غيره من نقل الملكية وما يوقف منه هو التبرع بمنافسه فقط.¹ أما عند المالكية فهم يرون الوقف لا يخرج عن الواقف في ملكه ولا يجوز للواقف ان يتصرفوا فيه مادام ملكه ما يزال وقفا اذ يمكنه ان يشترط فيه زمن معينا اي ان يكون وقفه لمدة معينة فقط ثم يمكنه استرجاعه.² وبهذا يمكنه بيعه اوروه او تملكه لشخص اخر بعد انتهاء مدة الوقف كما يمكنه ان يشترط هذا ايضا ملن يوقفه له. وايضا يمكنه ان يبيعه وهو ما يزال وقفا إذا كان قد احتاج له وكان قد شرط ذلك قبل ان يوقفه.³ والشافعية يرون ان الوقف يقطع التصرف فيه ومنافع له تكون تقريرا الى الله داخله،⁴ حيث لا يكن للواقف الحق في التصرف فيه لبيعه ولا ره ولا اي شيء من هذا القبيل ويشرط في صحته ان تكون النية به التقرب الى الله.⁵ أما عند الحنابلة فهو كم مثل صدقة جارية يتم اجرها حتى بعد الوفاة بطريقة متكررة اذ لا يجوز التصرف فيها باي طريقة كانت من طرف المالك وتكون من فعلها

¹ مختلث الثوم المصدر السابق 2020. ص 19

² محمد الرءوف قاسمي الحسني، التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف : نموذج الاقتصاد التضامن

³ مختلث الثوم المصدر السابق 2020. ص 20

⁴ محمد الرءوف قاسمي الحسني، التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف : نموذج الاقتصاد التضامن

⁵ مختلث الثوم المصدر السابق 2020. ص 20

موجهة لغير المالك ولا تباع ولا تورث ولا توهب. ويمكن ان يعرف الوقف بشكل أشمل انه تحبس الاصل وتسبيل المنفعة.¹

4- اركان الوقف وشروطه ترتبط شروط الوقف بأركانها ف اركان هي 4 الوقف الموقوف والموقف عليه والصيغة.

1- اما شروطه

شروط الواقف: العقل، البلوغ، الحرية، الرشد.

شرط الموقوف:

- ان تكون العين الموقوف معينة اي ان تكون معلومة علما ينفي الجهالة عنها.

- يكون الموقوف ملكا تماما للواقف.

- ان يكون الموقوف مالا متقدما فلا يصح وقف ما ليس بمال او ما لا يحل الانتفاع به.

- ان لا يكون المال الموقوف شائعا في غيره.

شروط الموقوف عليه

- ان يكون من الجهات التي تنتفع بالوقف.

- ان يكون من الذين يجب البر بهم والاحسان عليه.

¹ مختلث الثوم نفس المصدر 2020. ص 21

-ان يكون معلوما ولا يكون مشغولا.

-ان يكون الوقف على جهة يصح ان تملك وتنتمل¹.

2-الأوقاف الجزائرية خلال العهد العثماني: لقد كانت الاوقاف قبل مجيء العثمانيين في الجزائر وقد ارتبطت بارتباط الجزائريين بالإسلام ومن بين الوثائق التي تؤكد ذلك هي الوثيقة التي تسجل وقفية مدرسة ومسجد سيدى ابى مدین بتلمسان تاريخ هذه الوقفية يرجع الى 906 هجري الموافق لـ 1500 ميلادي وايضاً أقدم وثيقة وقفية تابعة للجامع الاعظم بالعاصمة سند 947 هجري الموافق لـ 1540 ميلادي. وتکاثرت الاوقاف وارتبطت بزيادة نفوذ الطرق الصوفية في العهد العثماني في الجزائر وتنوعت من عقارات الى اراضي زراعية فنادق أسواق، حوانیت، سهاريج، افران، مزارع، بساتين، حدائق، فنادق، دكاكين، افران، وعيون، وسواقی. وقد تم إنفاق اموال هذه الاوقاف على عدة مجالات العلم والعلماء وطلبته الفقراء والمحاجين والمستضعفين واعطائهم حقوقهم، القصر والعجزة، حفظ حقوق الورثة وتعزيز تماسك العائلة الجزائرية، صيانة المرافق العامة ورعايتها.² وقد كان لهذه الاوقاف هيئة قضائية تفصل في القضايا المتعلقة بها كما كانت تسجل وتنظم الاملاك الوقفية في سجلات وصفات خاصة، وذلك من اجل تنظيم اداري محكم من اجل تسجيلها والحفظ عليها وعدم

¹ الوقف في الجزائر الواقع ومتطلبات تفعيل دوره التنموي، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية رقم المجلد احادي 10 العدد 1.

² مبررات الاهتمام بالاملاك الوقفية في الجزائر من الاحتلال الى الاستقلال، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.

ضياعها وهذا ما نستشفه من الوثائق الوقفية المحفوظة في الارشيف الوطني الجزائري الذي يضم أكثر 158313 وثيقة وقفية مقسمة على 3 مجموعات:

المجموعة الاولى تمثل الوثائق الشرعية المتعلقة بالأملاك الوقفية بالأحكام القضائية المرتبطة بها وعددتها 13 ألف وثيقة.

المجموعة الثانية والثالثة هي عبارة عن سجلات بيت المال وصفات البنك المتعلقة بشؤون الخير وداعع بيت المال وضبط حالات الاملاك العقارات الوقف في وعددتها كان حوالي 583 وثيقة.¹

3- المؤسسات التي سيرت الأوقاف في الوقت العثماني: ومن بين أهم المؤسسات التي كانت آنذاك تسير الأوقاف نذكر:

1-3 اوقاف الحرمين الشريفين: وهي مؤسسة تساعد الجزائريين على وقف ممتلكاتهم في الجزائر العاصمة وخارجها من أجل تقديم المساعدات الالهالي الحرمين الشريفين الفقراء والمدارين منهم بالجزائر،² كما ترسل تلك الأوقاف إلى الحرمين الشريفين من طرف الداي الجزائري ثم تختتم بختم الحرمين الشريفين عند وصولها كاملة، كان تنظيمها الاداري يتمثل في مجلس اداري يتكون من 4 اشخاص او أكثر رئاسه وكيل يعينه البشا، وكانت تشكل هذه

¹ عبد الكري姆 بو حميده، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

² عبد الهادي لهزيل، آليات حماية الأملاك الوقفية في التشريع الجزائري، مذكرة ماجистير، تخصص الأحوال الشخصية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الوادي، 2014-2015، ص.22.

الاوقاف $\frac{3}{4}$ من الاوقاف الكاملة بعدد يتراوح ما بين 1230 الى 1558 ملكية عقارية.¹

3- اوقات مؤسسة سبل الخير: يرجع تأسيسها الى شعبان خوجا خلال سنوات 1590 ميلادي كانت تشرف على ادارة جميع الاوقاف والمساجد الحنفية بالجزائر العاصمة،² واهرفت على ادارة 8 مساجد حنفية منها الجامع الجديد جامع دار القاضي، جامع كتشاوي، جامع شعبان باشا، جامع حسين داي، مسجد علي خوجة، جامع الشبارليه. وكان عدد اوقفها آنذاك 331 ووقفا تقريبا ثم تقلص تدريجيا مع وصول المستعمر الى غاية عام 1841 اين تم الغاءها كلها. وقد كان لهذه المؤسسة 11 عضوا من بينهم مستشارين منتخبين وناظر او وكيل اوقاف المؤسسة وكاتب ينظم عقود المؤسسة ويعين الوكيل والكاتب وجميعهم من بين اهل العين ويضاف إليهم شاكوش وهو مستخدم مكلف بضمان الراحة لأفراد المؤسسة. كما كانت تشرف على عدة مشاريع خيرية عامة اصلاح الطرقات اجراء القنوات الري اعانت المنكوبين ذوي العاهات تشييد المعاهد العلمية شراء الكتب ولوازم طلبة العلم.³

¹ نادية براهيمي المولودة اركام، الوقف وعلاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري، بحث ماجистري في العقود والمسؤولية، معهد الحقوق و العلوم الادارية، بن عكنون (الجزائر)، ص 10.

² محمد الرءوف قاسي الحسني، التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف: نموذج الاقتصاد التضامن

³ عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غردية.

3- اوقاف المسجد الكبير وقد احتلت هذه المؤسسة المرتبة الثانية

بعد مؤسسة الحرمين من حيث عدد الاوقاف.¹ وكانت تبلغ ايقافه حوالي 55 وقف وقد انتهت في سنة الف وثمانمائة وواحد واربعون مع الاستعمار الفرنسي كانت عائدات اوقات فيه تعود على دوره الثقافي والتعليمي في تعليم الناس والتعليم الناس الكتابة القراءة والعلوم الاسلامية وعلى مكتبته الكبيرة التي تحتوي على كم هائل من الكتب والمخطوطات والعلوم وفي اعانة القراء والمحاجين ولطلبة العلم، الحق اوقافه سنة 1843 بمصلحة املاك الدولة وهو ما اصبح معمولا به بتحديد ادارة اوقاف المسماة بوزارة الاوقاف.²

3- اوقاف مؤسسة بيت المال كانت تدير الغنائم، وشراء العتاد، واعانة السبيل واليتامى والقراء والاسرى، واقامة المراقب والاهتمام بالبنية التحتية، ووضع الاملاك الشاغرة التي لا ورث لها تحت تصرف الخزينة العامة، وحماية الاوقاف، يشرف عليها بيت المالجي، يعين لها البasha احد القضاة لي ساعده في مهامه وما يقابلها الان هو وكيل اوقاف،³ واشرفت ايضا اوقاف التي توفي اصحابها بدون عقب حرصا على انها تعمل بوصيته صاحبها وكانت هذه المؤسسة تتمتع بالاستقلالية عن الادارة العامة

¹ عقيل نمير، اوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، ماي 2001، ص 119.

² دراسات تاريخية ناصر الدين سعيدوني: ص: 268.

³ د. سمير جاب الله، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الوقف الاسلامي وتاريخه في الجزائر.

البailك، كما كانت تدفع مساهمة شهرية تقدر بحوالي 700 فرنكا لخزينة الدولة.¹

3-5- اوقاف الاولياء المرابطين والاشراف كانت لا تتجاوز الحادي عشر وقفا بداية القرن الثاني عشر وكانت تأتي هذه الاوقاف من داخل الجزائر ومن خارجها وكان يتطلب الامر لتسيرها عدة شخصيات منشيخ الحضرة، الوكيل، الشاو، ثلاث ائمة وثلاثة حزابين واربعة قراء.² وارتبطت هذه الاوقاف بوجود الطرق الصوفية التي وجدت قبل مجئ العثمانيين من بدايات القرن التاسع هجري اي الخامس عشر ميلادي، ولكنها زادت بعد مجئهم. وقد حكم من خلالهم العثمانيين المدن الجزائرية وأوقف السكان الجزائريون لأصرحة المرابطين الذين كانوا يحظون باحترام كبير لدى السكان والتي بلغ عددها 19 ضريحا 18 منهم بالعاصمة. وتأتي في مقدمة اوقاف الاولياء اوقاف سيدى عبد الرحمن سالم بي التي قدرت بحوالي 80 الى 82 وقفا بمدخل السنوي حوالي 6000 فرانك،³

3-6- وقف الاشراف: وقد كان من الفئة المرموقة لدى الدولة والذين كانوا يتكونون من حوالي 200 الى 300 اسرة كان لهم علاقات خاصة بالعثمانيين

¹ عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

² عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

³ د. سمير جابر الله، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الوقف الاسلامي وتاريخه في الجزائر.

وحيثيت هذ الاسر باحترام لدى العامة وخصصت لهم زاوية يئم فيها الى أحد الاشراف، ووقف لصالح هذه الزاوية عدة اوقاف.^١

7-3 اوقاف اهل الاندلس: كانت هذه الاوقاف تعتمد بدرجة كبيرة على زاوية الاندلسيين وانطلقت منها حيث بلغت مشاريعهم الخيرية حوالي 408072 فرنكا في عام 1837، وقد كانت هذه الاوقاف مخصصة الاهلي الاندلس النازحين من العدوان الاسباني في حربه وذلك حسب المؤرخ الفرنسي دي فوكس، وتعود هذه الاوقاف خاصة الى اغنياء الاندلس لحماية الضعفاء من اخواهم الفارين من اسبانيا وشكل الاندلسيين جمعية مكونة من 6 اشخاص جعلوا وكيلها وهو الشيخ محمد الابلي وقد كانوا يتمتعون بدرجة خاصة العثمانيين اذ كانوا يوكلونهم على بعض الاوقاف، وقد ضمت هذه الاوقاف الخاصة بهم في سنة 1809 الى الف 1810 حسم ورد في سجل بالك 35 حانوتا وثمانية عشر دار وسبعين بستين. أما النوع الثاني لأوقاف الاندلسيين وهي الاوقات التي يشتراك فيها اوقاف الاندلسيين الخاصة بفقرائهم مع باقي الاوقاف مثل اوقاف الحرميين الشريفين ومع عامة الناس وكان فيها 3535 حنونة 26 دولارا اضافة لعدد من الاحواش والمخازن وبلغ مردودها حوالي عام 1733، 844 رجالا، وهو مخصص للإنفاق على التعليم مشاعر الدينية الفقراء والمحاجين. الأوقاف الثكنات والمرافق العامة، وهي الاوقاف التي كانت تصرف على الثكنات التابعة للجيش والتي كانت تضم حوالي 400 الى 600 في الغرفة الكبيرة

^١ صالح محمد، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر اواخر العهد العثماني، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية، م 03، ع 02، سبتمبر 2020، 247.

و 200 الى 300 جندي في الغرف الصغيرة كانت اجورهم تصرف من الباشا ولكن الاوقاف كانت تصرف على الاشياء الترفيهية التي لا يمكنهم الحصول عليها وهو ما ساهم في تعزيز الجيش وكما ساهم ايضا في توفير المصارييف للإنفاق على باقي المرافق.¹

4- أنواع الأوقاف في الجزائر في العصر العثماني من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر (حقل حضروات)، بَحْيَر (جمع بحيرة)، هاوشن (مزرعة)، بلاد (أرض)، عَقَار (أرض زراعية)، فُرْد، فيصان (مساحة من الأرض لزراعة الحبوب)، مصطلحات مختلفة لجزء من مزرعة أو حقل حيازة أو وقف: مقسم، طرف، نصيب، شطر من...، حد من...، كيسمة، جوز (جمع: عجزة).

5- التعايش بين المذهبين الحنفي والمالكي: لقد كان في هذا الزمن يعد المجلس العلي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر والذي يعد بمثابة محكمة عليا، نظراً للمصداقية التي كان يتمتع بها بين أفراد المجتمع الجزائري، لكون الدين الإسلامي يمثل المرجعية الثابتة التي يستمد منها مفتي هذا المجلس أثناء دراسة الصراعات، والخصومات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع. هذا المجلس الذي كان يتكون من المفتين الحنفي والمالكي، والقاضيان الحنفي والمالكي، يحضره الباياتاشي ممثلاً عن حاكم الجزائر،

¹ عبد الكري姆 بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غردية.

يعقد اجتماعه كل يوم خميس لدراسة القضايا المطروحة عليه.¹ فالاعتماد على الثنائية المذهبية بين الحنفية والمالكية دليل واضح على التعايش المذهبي الذي كان سائداً بينهما، وقد نلاحظ ذلك من خلال العقد الذي يخص إحدى قضايا إثبات الملكية الذي جاء على الشكل التالي: "الولية ديمومة بنت الحاج عمر كانت في السالف عن التاريخ ابتعت من زوجة والدها جميع الدار التي كانت تحت يدها.... الكائن بحومة سيدي رمضان سند الجبل داخل محروسة الجزائر بثمن معلوم بينهما وتقابضاً في الثمن المثمن ... وبقي رسم الدار المذكورة تحت يدها إلى أن ضاع وأرادت تجديده فرفعت أمرها في ذلك إلى المجلس العلمي المنعقد بالجامع الأعظم حضره الشيوخان الفقيحان... محمد بن إسماعيل ومحمد بن الشاهد وأبي العباس محمد أفندي قاضي الحنفية في التاريخ ... وعبد الرحمن بن مسعود قاضي المالكية ... بشهادة الكرام.... نصاً شهادة الجميع أنهم يعرفون الولية ديمومة بنت الحاج عمر معرفة تام معتبرة شرعاً يشهدون مجتمع ذلك وأن لها مالها ملكاً صحيحاً من حملة أملاكه ... وبعد ثبوت ما ذكر كما ذكر ضمن العلماء أيدهم الله تعالى أن الدار المذكورة هي ملك للولية ديمومة"، ثم أشاروا على القاضي بالحكم لها بذلك فحكم ما بذلك حكماً تاماً -المجرة وأمضاه وسوعة وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه.²

¹ د. رابح، أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث المحاكم الشرعية أنموذجاً، جامعة الجزائر²، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة.

² وذاك في الوثيقة 47، من العلبة 105-106 من عقود المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائري.

6- الاوقاف الجزائرية اثناء الاستعمار الفرنسي¹ لقد حاول الاستعمار الفرنسي تفكيك كل اوقاف الجزائرية واعطائها للمستثمرين الجدد وذلك بقيتا ايقاف التمويل الشعبي لبعضهم البعض وتفكيك اواصره وقد قام بعدة خطط ومراحل لتفكيك الاوقاف الجزائرية وذكر منها قانون 8 سبتمبر 1830 وكان اول خطوة نحو تفكيك الاوقاف وفيه بنود تنص على ان السلطات الفرنسية يحق لها ان تستولي على كل ما يخص الادارة العثمانية من املاك بالإضافة الى الاستيلاء على بعض الاوقاف التابعة لمؤسسة الاوقاف الحرمين. ومرسوم 8 ديسمبر 1830 وضع هذا المرسوم كل الاوقات تحت مراقبة المدير العام المصلحة الاملاك العامة ما اعطى للمحتل الحق في امتلاك الاوقاف مع ابقاء المشرفين عليها جزائريين واعطاء المحتلة كل ما يتعلق بهذه الاوقاف من المبالغ التي تدرسها من ايجارات وقائمة المشترين لها والقائمين عليها وعقودها ومستنداتها وذلك حسب المادة الرابعة من هذا المرسوم. وفي 25 اكتوبر 1832 تم تطبيق مخطط يسيطر على كل الممتلكات الوقفية ووضعها تحت اشراف الادارة الفرنسية. وكان صاحب هذا المخطط هو جيرارдан المدير العام لأملاك الدولة لتنظيم الاوقاف. وفي 1838 اخذ هذا القانون شكل تقرير مفصل حول المؤسسات الوقفية. وأشرف فرنسا في عام 1835 على حوالي 2000 وقف. وفي عام 1844 اكتوبر الأول اصبحت الاوقاف خاضعة لحكم المعاملات المتعلقة بالعقارات وهذا ما سمح لي مؤتمر بالسيطرة على الاراضي والعقارات التي كانت في ضواحي العاصمة وبهذا تقلصت الاوقاف من 550 قبل الاحتلال الى

¹ الوقف في الجزائر: الواقع ومتطلبات تفعيل دوره التنموي، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، رقم المجلد 11، العدد 1.

293. وبمرسوم 30 اكتوبر 1858 توسيع صلاحية القرار السابق وبالتالي أصبحت كل الاوقاف قابلة للامتلاك. وفي عام 1873 بموجب قانون في هذا العام تم تصفية كل الاوقاف الجزائرية وتم القضاء على مؤسسة الاوقاف في الجزائر.

7- تعامل الجزائر مع نظام الأوقاف بعد الاستقلال: بعد تحقيق الاستقلال، واجهت الجزائر تحديات كبيرة تتعلق باستعادة وإدارة الأوقاف، حيث كانت القوانين الفرنسية لا تزال سارية المفعول، مما أدى إلى تهميش نظام الوقف وإدماجه ضمن ممتلكات الدولة أو العقارات غير المستغلة. بالإضافة إلى ذلك، تم تهريب بعض الوثائق الوقفية إلى فرنسا، مما زاد من تعقيد عملية استرجاعها. الإصلاحات القانونية والإدارية في البداية، عانت الجزائر من نقص قانوني في إدارة الأوقاف مما أدى إلى تأخر فعاليتها في الاسترجاع والإدارة. وفي التسعينيات، تم إصدار قانون الأوقاف لعام 1991، الذي منح الوقف إطاراً قانونياً مستقلاً، مما ساهم في حمايته وإدارته بشكل أكثر تنظيماً. كما قامت الدولة بتأسيس الصندوق المركزي للأوقاف لضمان إدارة مالية متكاملة للأصول الوقفية.¹.

¹<https://marw.dz/index.php/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%82%D8%A7%D9%81-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%84>

8- الإجراءات والقوانين التي اتخذتها الجزائر لحماية وتعزيز الوقف

1-8- الإطار القانوني لحماية الأوقاف قانون رقم 10-91 لسنة 1991: يعتبر هذا القانون أول تنظيم حديث للأوقاف، حيث وضع قواعد لاستثمارها وضمان استقلالها الإداري والمالي.

2-8- مرسوم 1993 المتعلق بتنظيم وزارة الشؤون الدينية: تم من خلاله إنشاء مديرية خاصة بالأوقاف داخل الوزارة، مما يساعد في إدارتها بكفاءة أعلى.

3-8- قانون 2001 حول إدارة الأموال الوقفية: منح هذا القانون الدولة صلاحيات أكبر في حماية واستثمار الأوقاف.

4-8- إنشاء مؤسسات إدارية متخصصة مديرية الأوقاف داخل وزارة الشؤون الدينية، حيث تُعنى بالإشراف على الوقف واستعادة الممتلكات الوقفية المفقودة.

5-8- الصندوق المركزي للأوقاف: تم إنشاؤه لضمان تمويل المشاريع الوقفية ودعم تنميتها.

6-8- لجنة الأوقاف الوطنية: تم تأسيسها لوضع القوانين والتشريعات المتعلقة بالأوقاف ومراقبة إدارتها.

7-8- خطوات استعادة الأموال الوقفية البحث في الأرشيف الوطني: يهدف إلى استرجاع الوثائق المتعلقة بالأوقاف التي تم تهريبها خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

8-9- التعاون مع وزارات أخرى: مثل وزارة الفلاحة لاستعادة الأراضي الزراعية الوقفية، ووزارة الثقافة للحفاظ على المعالم التاريخية المتعلقة بالوقف.

8-10- تحديث سجلات الأوقاف: يهدف إلى إعادة توثيق الممتلكات الوقفية وحمايتها بشكل قانوني.

8-11- تشجيع الوقف وتنميته إدماج الوقف في التنمية الاقتصادية: عبر الاستثمار في العقارات والأسواق والمشاريع الزراعية.

8-12- إطلاق مشاريع وقفية جديدة: مثل مشروع المركب الوقفى بوفاريك، ومشروع المؤسسة الوقفية للنقل.

8-13- استراتيجية إعلامية لرفع الوعي: من خلال وزارة الشؤون الدينية، لتشجيع المواطنين على إحياء ثقافة الوقف.

9- أمثلة وتطبيقات حديثة للوقف في الجزائر هناك العديد من الأوقاف التي احصيت حتى منذ الاستقلال الى غاية 1998، وتمثل في: السكنات 1971 مسكن، المكتبات 01، المحلات التجارية 787، الاسواق 01 ، المرشات (حمامات الوضوء) 269، المدارس 02، الحمامات 26، المستودعات 18، النوادي 11، المخابز 08، النخيل المستأجرة 7850، أشجار مستثمرة 1630.

9-1- مشروع المركب الوقفى في بوفاريك: يُعتبر مثالاً للاستثمار الوقفى الحديث، حيث يجمع بين الخدمات التجارية والاجتماعية.

9- مشروع المؤسسة الوقفية للنقل: يهدف إلى توفير وسائل نقل مدعومة من الأوقاف للمواطنين بأسعار مناسبة. كما تستثمر الجزائر حالياً في الأراضي الزراعية الوقفية لتدعم الأمن الغذائي الوطني. وهناك توجه جديد لاستغلال المباني الوقفية في ترميم المعالم التاريخية، حيث يتم تحويل بعض العقارات الوقفية إلى متاحف ومراكز ثقافية للحفاظ على التراث.¹

لقد اتخذت الجزائر بعد الاستقلال خطوات هامة للحفاظ على الوقف من خلال إصلاحات قانونية، إنشاء مؤسسات متخصصة، واسترجاع الأوقاف المفقودة، بالإضافة إلى تطوير استثمار الأوقاف في مشاريع اقتصادية واجتماعية حديثة. ومع ذلك، لا تزال هناك تحديات تتطلب المزيد من الجهود لتحديث نظام الوقف وضمان استدامته كمصدر للتنمية.

10- تأثير الوقف على العمارة والعمaran الجزائريين:

10- المساعدة في الحفاظ على الموروث المعماري: بحيث لم يكن يسمح بالحيازة عليه او التصرف فيه اي الاستحواذ عليه من أي جهة كانت ذات سلطة او غيرها مما ساهم في إبقاء العمارات والاحتفاظ بها.

10- اتساع عمران المدينة: إن الوقف يمثل في المدينة حقيقة حضرية غير مستقرة تعكس الديناميكيات الاجتماعية وتحدد التخطيط الحضري،

¹ د. فارس مسدور، كمال منصوري، التجربة الجزائرية في ادارة الاوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل.

و خاصة في المدن العثمانية التي شهدت قرارات إعادة تطوير حضرية جذرية.¹ فقد شهدت مدينة الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر توسيعاً عمرانياً داخل أسوارها. في البداية، تم استغلال الفراغات داخل النسيج الحضري، سواء كانت أراضٍ خالية أو مناطق مهدمة، بالإضافة إلى إعادة استخدام البناءات القديمة، إما بتوسيعها أو هدمها وإعادة بنائها. بُرِزَ هذا التوسيع من خلال إنشاء المنشآت الدينية، مثل المساجد، التي اختيرت مواقعها بعناية. غالباً ما كانت المساجد تُبنى في المنطقة السفلية من المدينة "اللوطي"، بجانب الأبواب الرئيسية، أو في وسط المدينة (المركز). وارتبطت المساجد كمبانٍ وقفية بعده من المبني الوقفية الأخرى التي كانت تشكل نواة عمرانية اقتصادية، مثل الحوانين والفنادق. يمكن تصنيف المنشآت الوقفية إلى نوعين: المنشآت الخيرية، التي تحتاج إلى دخل دائم لتغطية نفقات خدماتها مثل الجامع والمدارس، والمنشآت المساعدة، التي تولد الدخل اللازم لدعم المنشآت الخيرية، مثل الخانات والقيصاريّات والدكاكين والمقاهي والحمامات.

سعت مؤسسات الوقف إلى تحقيق توازن بين النوعين لضمان استمرارية عمل الوقف. أي اختلال في هذا التوازن كان يؤدي إلى تراجع دور الوقف، مما قد ينتهي به إلى الخراب. هذا التوازن لم يقتصر على تغطية نفقات الخدمات المجانية التي تقدمها المنشآت العمرانية، بل شمل

¹ Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, Nacereddine Saidouni 2014 ; p24

أيضاً نفقات الترميم والصيانة.¹ وبهذا الشكل، أصبح الوقف عنصراً أساسياً في تطوير العمران والتعمير الحضري. من الأمثلة على ذلك المنشآت العمرانية التي أنشأها باشوات الجزائر، خاصةً الدينية والدفاعية، بالإضافة إلى المرافق العامة مثل القنوات والعيون. وفي هذه الدراسة، سيتم التركيز على نموذج لبعض المساجد، حيث لعبت مؤسسة الوقف دوراً بارزاً في نمو المدينة وتوسيعها من خلال بناء المساجد والزوايا والمدارس والعيون وغيرها من المنشآت.²

10-3-المشاركة في العدالة والتوزيع الخدماتي لجميع فئات المجتمع أصبح الوقف محدداً للحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر في ظل غياب التنمية من الحكام، وعجز الادارة الحكومية عن تلبية جميع متطلبات وخدمات المجتمع باختلاف اوضاعهم واعراقهم³ ، فوفر الوقف الخدمات والمرافق التي أسست لإنشاء المدن في شتى انحاءها.

¹ محمد موفق الأرناؤوط، «دور الوقف في نشوء وتطور المدن خلال العصر العثماني نموذجان للمقارنة من بلاد البلقان وببلاد الشام»، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات العثمانية حول: المدن العربية والديمغرافيا التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية وال Moriakissie والتوثيق والمعلومات زغوان، تونس، سبتمبر، 1994 ص. 47.

² وافية، نفطي، فتيحة، شلوق، دور وثائق الأوقاف في دراسة عمران المدن والتنظيم الحضري: مدينة الجزائر خلال العهد العثماني نموذجا. المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد. 08. العدد 02 (عدد خاص)- نوفمبر- 2022

³ Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, Nacereddine Saidouni 2014 ; p09

٤-التضامن الاجتماعي: من خلال العناية بالفقراء من خلال تقديم عوائد الأوقاف المالية لهم، وتعليمهم، وتشغيلهم، كالأوقاف الاندلسية السابق ذكرها وغيرها.

٥- توفير المراافق العامة وتسييرها: ساهمت الأوقاف في تمويل المراافق العامة مثل العيون (الينابيع) والسوق والطرقات، المساجد، المكتبات، الزوايا.... الخ، مما ساهم في تحسين البنية التحتية للمدينة. كما تم تخصيص أوقاف لتنظيف الشوارع وتصريف المياه، مما أدى إلى تحسين الظروف الصحية في المدينة. ومثال ذلك: أوقاف جامع حسين باشا ميزومورتو(1684-1689م) والتي نذكر منها:

مسجد حسين باشا ميزومورتو (1684-1689م) الذي يقع في باب عزون بجانب رحبة الزرع. تشير الوثائق إلى أن حسين باشا هو من قام بتشييد هذا المسجد عام 1097هـ/1685-1686م. وقد أوقف عليه مجموعة من العقارات التي كانت في معظمها قريبة أو مجاورة للمسجد، وبعضها كان تابعاً له أو جزءاً منه. تم بناء المسجد فوق مجموعة من الحوانين وفرن، ووفقاً لما ذكره دوفو، كان المسجد يتصل بشارع شاتر عبر عقد جميل (ساباط) يأخذ شكل جسر.^١ وهو ما يوضح أيضاً كيفية تأثيره على تغيير المنظر العماني والمعماري، حيث يمكنه تشكيل القناطير، أو الساباط فوق الشوارع كتوسيع، كما يمكنه أيضاً إعادة بعث مبني ما واعادة احياءه عن

^١ مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص 88.

طريق المقاista، او عن طريق العناء، وهو ما يسمح باستدامة المباني وصيانتها والمحافظة عليها.

10-6- توفير مناصب شغل للقائمين على الأوقاف، والمساهمة في الحد من البطالة.

10-7- صيانة البنية التحتية من خلال عوائده كالطرق، الابار، العيون، السوافي، الجسور، الحصون... كانت الأوقاف توفر التمويل اللازم لبناء وصيانة المنشآت الدينية والمدنية. على سبيل المثال، تم تمويل بناء مساجد الباشوات من خلال أوقاف عقارية تشمل الحوانيت والفنادق والعقارات الأخرى التي كانت تدر دخلاً لصيانة هذه المنشآت. كما تم تخصيص أوقاف لتغطية نفقات الصيانة والإصلاحات، مما ساهم في الحفاظ على هذه المنشآت لفترات طويلة. فقد كان لأوقاف في العيون دور كبير في خدمة العيون والمجاري والسوافي وقنوات المياه وتصريفاتها بالإضافة إلى مصلحة الطرقات التي كانت تحت قائد الشوارع ومصلحة النظافة التي كانت تحت قائد الزبل.¹ وتدخلت عدة مصالح مع عدة أوقاف، كأوقاف العيون ومصلحة الشوارع ومصلحة تصريف المياه وذلك الارتباط الراهن إلى صيانة المجاري والتصريف إذا ما حدث هناك انسداد أو سقوط أمطار غزيرة، مما

¹ وافية، نفطي، فتيحة، شلوق، دور وثائق الأوقاف في دراسة عمران المدن والتنظيم الحضري: مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنموذجا. المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 08. العدد 02 (عدد خاص) - نوفمبر- 2022

قد يؤدي الى اكواخ اترية قد تسد الطرق او تحفرها، لذا ارتبطت ايضا ارتباطا وثيقا بالمحافظة عليها.¹

10-8- المساعدة في الحفاظ على العقارات من الناحية الإدارية، من خلال تسجيله في سجلات العقارية وغيرها:

في ظل غياب أو ندرة الأرشيفات الرسمية في العديد من الدول العربية والإسلامية، أصبحت وثائق الوقف المصدر الأساسي والمرجع الأساسي لمعرفة الحياة اليومية، وخاصة قضايا ملكية الأراضي واستغلالها، وдинاميكيات المجتمعات المحلية، وحالة الخدمات الاجتماعية والتعليمية والثقافية.² اذ تتضمن وثيقة الوقف معلومات كافية عن العقار المسجل: تكوينه، إدارته، الانتفاع به، الحفاظ عليه، الإجراءات المتبعة والتعديلات التي طرأ على هذا الوقف من حيث النقل والتبادل (التعاونية أو الاستبدال)، وذلك لضمان استدامته واستمراره كما تقتضيه طبيعة الوقف نفسه.³ فوثائق الوقف الموجودة بالمحاكم الشرعية مثلا نقلت أسماء الأسواق وتحدد بعض موقع البناءات أو العقارات، كما ورد عن موقع القهوة الصغيرة: "الحمد لله لما تقرر الاشتراك بين المرحوم السيد مصطفى بن حسن السباسي وصهره محمد في جميع الربع الواحد من

¹ مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1420 هـ / 1999 ص 146.

² Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, Nacereddine Saidouni 2014 ; p10

³ نفس المصدر السابق، ص 11.

جميع القهوة الصغيرة الملائقة بحانوت الكاهية بسوق الترك".¹ كما حملت الوثائق أسماء و مواقع الزنق، مثل زنقة الحليب، "تملك جميع الدار الكاينة بالحلفاوين قرب سوقت عمور داخل الجزائر بسكة هناك غير نافذة تعرف بزنقة الحليب".² وتبين موقع العقارات المحبسة مثلما جاء برسم حبس مشترك بين زوجين: "لدار بحومة تiberghoutin بسكة غير نافذة المجاورة لدار الحاج محمد بن علي خوجة مسامه لدار بن الاحرش أواسط شعبان (36) 1107هـ/1695م".³

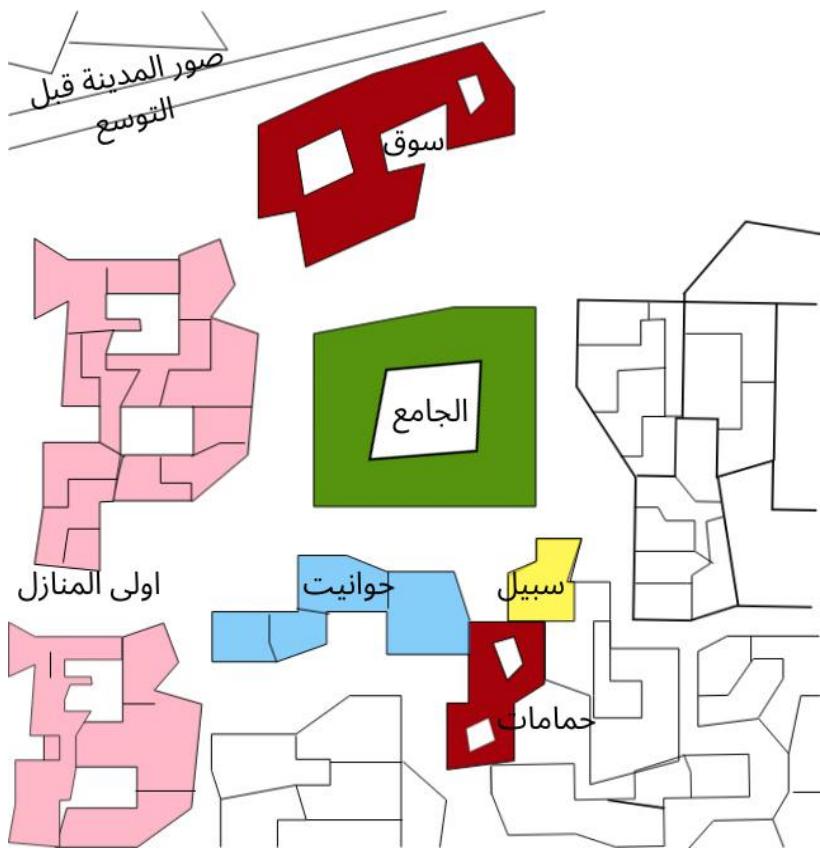
10-9- كما أن وثائق الوقف تحدد طبيعة العقار المحبس وما عرفه من تغيرات والحالة التي كان عليها ووضعيته في تاريخ التحبيس مثلما جاء في المثال التالي: "بعد أن استقر على ملك معظم ابراهيم خوجة ابن محمود جميع البناء الفوقي المشتمل على غرفتين اثنتين الصايرة الآن علوى قرب المحكمة المالكية".⁴

¹ الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة ،16/2، وثيقة رقم .(244)34

² الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة ،62، وثيقة رقم .1

³ المصدر نفسه، وثيقة رقم .16

⁴ المصدر السابق، علبة ،124، وثيقة رقم .17



صورة توضح كيفية تأثير الوقف

على توسيع المدينة، وتحديد شكلها

ومرافقتها، حيث تبدأ من الجامع إلى

مرافق المحيطة به، ثم المنازل

11- المقارنة بين دور الوقف في الماضي وإمكاناته المستقبلية في الجزائر

1-1- دور الوقف في الماضي في المجال الاجتماعي: كان الوقف في العهد العثماني والاستعمار الفرنسي يُستخدم بشكل رئيسي لدعم المساجد والمدارس والمستشفيات، مما ساهم في تعزيز التكافل الاجتماعي. أما في الحاضر فهو شبه غائب في المجال الاجتماعي.

2- في الجانب الاقتصادي: امتلكت الأوقاف أصولاً اقتصادية كبيرة مثل الأسواق والأراضي الزراعية والفنادق، وهو ما ساهم في دعم النشاط الاقتصادي بشكل فعال، عكس الحاضر

3- في التخطيط الحضري: لعب الوقف دوراً رئيسياً في تنظيم المدن الجزائرية، حيث كانت المؤسسات الوقفية تساهم في إنشاء مراكز حضرية متكاملة تضم المساجد والمدارس والأسواق، وهو ما لا يحدث الان، اذ لا تأثير له على المدينة.

4- إمكانيات الوقف المستقبلية في الجزائر كمصدر تمويل مستدام: يمكن استثمار الأوقاف في تمويل مشاريع تنمية جديدة بدلاً من الاعتماد على الميزانية العامة للدولة.

5- دوره في الاقتصاد الحديث: من الممكن دمج الأوقاف في المشاريع الاستثمارية مثل المجمعات التجارية والمراكم التعليمية والمستشفيات الوقفية.

11- التخطيط العمراني الذكي: يمكن إدماج الوقف في التخطيط الحضري الحديث، من خلال استغلال العقارات الوقفية لإنشاء مدن مستدامة تأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية.

الخاتمة

من خلال يظهر بوضوح أن الوقف لعب دوراً أساسياً في تشكيل البنية العمرانية للمدن الجزائرية عبر العصور، حيث لم يكن مجرد مؤسسة خيرية، بل كان عنصراً مهماً في التخطيط الحضري والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. فقد ساهم في تمويل بناء المساجد والمدارس والمرافق العامة، كما كان له دور بارز في الحفاظ على التراث المعماري وتنظيم الاستخدام العمراني. ومع محاولات الاستعمار الفرنسي لإزالة الهوية الوقفية، شهد تأثيرها على النسيج الحضري والاجتماعي والاقتصادي تراجعاً كبيراً، مما يستدعي اليوم إعادة تقييم دورها واستثمارها بشكل حديث يعزز التنمية المستدامة. لذلك، فإن تطوير سياسات إدارية وتشريعية فعالة، وإدماج التكنولوجيا في إدارة الأوقاف، يمكن أن يساهم في إحياء هذا النظام وزيادة تأثيره في المجتمع الجزائري المعاصر.

التوصيات:

- 1- تعزيز الشفافية وتحسين الإدارة عن طريق إنشاء نظام رقمي لتوثيق كافة الأموال الوقفية وتحديث سجلاتها بشكل دوري وفرض رقابة أكثر صرامة على إدارة الأوقاف لمنع سوء الإدارة وضمان توجيه العائدات الوقفية نحو خدمة المجتمع وذلك لإعادة كسب ثقة المجتمع في أن الأوقاف ستؤدي الغرض منها.**
- 2- إعادة تفعيل الأوقاف المهملة إطلاق مشاريع استثمارية لاستغلال العقارات الوقفية غير المستخدمة، مثل تحويلها إلى فنادق، مراكز تجارية، أو مؤسسات تعليمية.**
- 3- تشجيع القطاع الخاص على المشاركة في تطوير الأوقاف من خلال الشراكات بين القطاعين العام والخاص**
- 4- دمج الوقف في استراتيجيات التخطيط العمراني الحديث من خلال تخصيص مساحات وقفية في المدن الجديدة لإنشاء مشاريع تنمية مستدامة مثل الأسواق الوقفية والمناطق الخضراء، أو المرافق العامة التي تحتاجها الأحياء.**
- 5- استغلال الأوقاف في تطوير شبكات النقل الحضري عبر مشاريع وقفية لوسائل النقل الجماعي.**
- 6- تحفيز المشاريع الوقفية من خلال تقديم حوافز ضريبية للمستثمرين المهتمين بإحياء الأوقاف.**
- 7- إنشاء منصة إلكترونية مخصصة للأوقاف لتسهيل عملية تسجيلها وإدارتها بشكل شفاف.**

القائمة библиографية المعتمدة

- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة ، 16/2، وثيقة رقم .(244)34
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة ، 62، وثيقة رقم .1
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة ، 62، وثيقة رقم .16
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 105-106، وثيقة 47
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة ، 124، وثيقة رقم .17
- د. رابح، أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث المحاكم الشرعية أنموذجا، جامعة الجزائر 2، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة.
- د. سمير جاب الله، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الوقف الإسلامي وتاريخه في الجزائر.
- د. فارس مسدور، كمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل.
- عبد الهادي لهزيل، آليات حماية الأموال الوقفية في التشريع الجزائري، مذكرة ماجستير، تخصص الأحوال الشخصية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الوادي، 2014-2015.
- عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام إدارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.
- عقيل نمير، أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، ماي 2001.
- صالح محمد، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، م 03، ع 02، سبتمبر 2020.
- مبررات الاهتمام بالأموال الوقفية في الجزائر من الاحتلال إلى الاستقلال، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- محمد الرءوف قاسي الحسني، التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف: نموذج الاقتصاد التضامني.
- محمد موفق الأرناؤوط، «دور الوقف في نشوء وتطور المدن خلال العصر العثماني: نموذجان للمقارنة من بلاد البلقان وببلاد الشام»، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس

للدراسات العثمانية حول: المدن العربية والديمغرافيا التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريكسية والتوثيق والمعلومات زغوان، تونس، سبتمبر 1994.

- مختث الثوم، أطروحة الدكتوراه بعنوان دور الحكومة في تطوير إدارة الأوقاف: حالة الجزائر، 2020.

- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام: نموذج الجزائري في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1420هـ / 1999.

- مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010.

- نادية براهيمي المولودة أركام، الوقف وعلاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري، بحث ماجستير في العقود والمسؤولية، معهد الحقوق والعلوم الإدارية، بن عكنون (الجزائر).

- وافية نفطي، فتاحة شلوق، دور وثائق الأوقاف في دراسة عمران المدن والتنظيم الحضري: مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنموذجًا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 08، العدد 02 (عدد خاص)، نوفمبر 2022.

- الوقف في الجزائر: الواقع ومتطلبات تفعيل دوره التنموي، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، رقم المجلد 11، العدد 1.

ـ مقاالت- دراسات/الأوقاف-في-الجزائر-بعد-الاستقلال.
Nassereddine Saidouni, Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, 2014.

الوقف ومسألة التنظيم العمراني للجزائر في الفترة العثمانية

(مدينة الجزائر نموذجاً)

د صليحة بوزيد

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة

مقدمة:

عدّ الوقف من أهم المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في تنظيم الحياة الحضرية في المدن الإسلامية. وقد لعب دوراً محورياً في تشكيل النسيج العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، حيث ارتبط الوقف بتوفير الخدمات العامة وتنظيم الفضاءات العمرانية، بما يعكس رؤية حضرية متكاملة تجمع بين البعد الديني والاجتماعي والاقتصادي، حيث شكل نظام الوقف العمود الفقري للتنمية الحضرية في الجزائر خلال الفترة العثمانية (1519-1830م)، تحول من مجرد عمل خيري إلى آلية إدارية واقتصادية منظمة للبناء والصيانة.

تهدف هذه الدراسة إلى كشف كيفية تحول الوقف إلى نظام حضري متقدم، يجمع بين الدين والإدارة ليخلق مدينة متراقبة ومزدهرة.

تنطلق إشكالية هذه الدراسة من التساؤل حول طبيعة العلاقة بين نظام الوقف والتنظيم العمراني في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، ومدى إسهام الأموال والمنشآت الوقفية في توجيهه النمو العمراني وضبط استعمال المجال الحضري. كما تسعى الدراسة إلى إبراز دور الوقف في

تحقيق التوازن بين الوظائف الدينية والاجتماعية والاقتصادية داخل المدينة.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تبع تطور نظام الوقف في الجزائر العثمانية، وتحليل أثره في تشكيل البنية العمرانية لمدينة الجزائر. كما تم توظيف المنهج الوصفي لدراسة خصائص النسيج العمراني.

تفرض الظاهرة العمرانية مكانتها في التفكير الإنساني الآن أكثر من ذي قبل، نظرا للتغيرات التي طرأت على المدن الحديثة والتحولات العميقة التي نعيشها وذلك من جراء التقدم الذي وصل اليه العالم.

إن ظهور الوثائق الأرشيفية^١ القديمة مرتبط أشد الارتباط بمعرفة الإنسان للكتابة وأدواتها، ففي مصر القديمة نجد أن كتاب الموتى هو أقدم المدونات البردية، ويرى بعض العلماء أن هذا الكتاب وغيره من البرديات يتحتم علينا اعتباره بداعيات للوثائق الأرشيفية.

^١ اشتقت كلمة أرشيف من الإغريقية أرخيون ARCHEION كانت تطلق في الأصل على سجلات الحكومة ووثائقها أي الأرشيف العمومي واستعمال كلمة أرشيف باعتبارها من الكلمات الحديثة شانها في ذلك المئات من الألفاظ التي فرضتها الحضارة المعاصرة فأخذت طريقها إلى اللغة العربية مثل الفلسفة والجغرافيا والتلفزيون وغيرها. والأرشيف هو المكان الذي تحفظ فيه الوثائق العامة أو غيرها من الوثائق التاريخية الهمامة.

وعليه فتطور الكتابة وحياة الإنسان دفعه لتدوين سير حياته لجمع شتات الماضي ليكون صورة للمجتمع الذي عاش فيه، فجمع رصيداً معتبراً عن حياته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وحتى اليومية منها.¹

يتعلق الأمر في هذه المداخلة لرصد عينة أرشيفية تخص وثائق المحاكم الشرعية في الفترة العثمانية والمحفوظة بمركز الأرشيف الوطني² – بئر خادم- قصد تحليلها واستطلاعها للخروج بجملة من الاستنتاجات والحقائق التاريخية.

من أهم الوثائق المسجلة في الأرشيف الوطني وثائق سلسلة المحاكم الشرعية ذات الأهمية البالغة نظراً لما تحويه من معلومات ذات قيمة معرفية هامة، حيث مكنتنا من استقاء معلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للفترة التي تعود إليها، وبالتالي باستطاعتنا اليوم استخدام هذه المعلومات لمقاصد ومطالب تخدم البحث العلمي لأنها تجيب على العديد من الأسئلة المطروحة اليوم، خاصةً أنها تغطي فترة زمنية معتبرة تمتد من النصف الأول من القرن السادس عشر إلى النصف الثاني

¹ خليل الساحلي، «سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي»، المجلة التاريخية المغربية، عدد 1، تونس، جانفي 1974. ص 27.

² لقد عرف القانون 09/88 المؤرخ في 7 جمادى الثانية عام 1408هـ الموافق في 26 يناير سنة 1988م يتعلق بالأرشيف الوطني في المادة 2 أن الوثائق الأرشيفية بمقتضى القانون هي عبارة عن وثائق تتضمن أخباراً مهماً يكن تاريخها أو شكلها أو سندها المادي، أنتجها أو سلمها شخص طبيعياً كان أو معنوياً أو أي مصلحة أو هيئة عمومية كانت أو خاصةً أثناء ممارسة نشاطها. انظر: الجريدة الرسمية، العدد 4، القانون 09/88 المؤرخ في 7 جمادى الثانية عام 1408هـ الموافق في 26 يناير سنة 1988، ص

من القرن التاسع عشر منها ما يعود إلى 1001هـ-1592م و بعضها ينتهي 1272هـ-1856م.

لقد كانت هذه المعلومات تسجل كوثيقة إدارية من طرف القاضي الذي كان يقوم بمهام مختلفة، منها قاضي الأحوال الشخصية والجنائيات بالإضافة إلى كون محكمته بمثابة ديوان للمظالم، ولهذا تنوّعت طبيعة الوثائق المدونة في السجلات، إضافة إلى التنوع الكبير للقضايا المطروحة كي يفصل فيها، (معاملات عقارية -إيجارات-إقرارات بالدين-دعوى-أوقاف-تعيينات في وظائف رسمية-مهر ونفقات-مخالفات ومحاسبات...الخ) و بتعبير آخر فإن جميع خيوط المجتمع المدني كانت مرتبطة بيده^١، تدون في هذه السجلات نسخ من أنواع مختلفة من الوثائق^٢. حيث جعل العثمانيون منها أساس كل معاملاتهم الإدارية فحدّدوا أنواعها والمواصفات الشكلية الخاصة بكل منها، فنجد بذلك مادة غزيرة تتعلق بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية من عقود الزواج والطلاق والنفقة والبيع والشراء.

يحتفظ الأرشيف الوطني الجزائري من تلك الوثائق والتي هي بمثابة تراث وطني لا يقدر بثمن ومصدر تاريخي لا يمكن الاستغناء عنه من طرف

^١ خالد زيادة ، « السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية »، المحللة التاريخية المغربية، أعمال المؤتمر الحياة الاقتصادية للولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني، عدد 39-40، 1985، ص 510.

^٢ بريجيت مارينو-توموكى أوكاوارا، دليل سجلات المحاكم الشرعية العثمانية، المعهد الفرنسي لدراسات العربية بدمشق، مركز الوثائق التاريخية بدمشق، إشراف دعد الحكيم، دمشق، 1999، ص 31.

الباحث، ومن ضمن أهم الوثائق التي تحتل الصدارة في عقود المحاكم الشرعية وثائق الأوقاف¹. تتوزع المحاكم الشرعية على ثلاث وخمسين ومائة علبة بعضها يحمل ترقيماً مزدوجاً². ويحتوي معظمها على أزيد من مئة وثيقة، بل إن بعضها يضم ضعف ذلك، وهي تخص في معظمها مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها وبعض المدن الأخرى كالبليدة والقليعة وشرشال والمدية وغيرها. وهي وثائق مودعة بخزائن أرشيف الحكومة العامة للجزائر مع القسم الخاص بالسجلات العربية التركية، وقد كان ترتيبها من طرف المؤذق «غبريال اسكير» Gabriel Esquer في آخر القائمة فصنفت في حرف زاد.

وكانت المحاكم الشرعية تسجل معلومات بدقة متناهية في جميع التعاملات لدرجة يستطيع الباحث أن يعد خارطة برسم البيوت والحرارات والأزقة، بحيث نلاحظ في تلك السجلات ذكر لجيران البيت من الجوانب الأربع فعلى سبيل المثال للحصر تحبس أحمد بن المرحوم المبارك مفتى

¹ شهاب الدين يلس الوثائق الوطنية-الفهرس التحليلي للوثائق الجزائرية للرصيد العثماني، الجزائر، 1987 ص 3-1.

² الوقف والتحبس والتسبيل بمعنى واحد، وهو لغة: الحبس عن التصرف، وعرفه الفقهاء بأنه إعطاء عين من يستوفي منافعها والانتفاع بها أو الانتفاع فقط على وجه التأبيد أو على وجه التوقيت. انظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مجلد الثالث، دار الفكر، بيروت، 1983، ص 205.

الملكية جميع الدار الكainة بحومة كوشة على سند الجبل المجاورة من بعض جهاتها الدار شيخ البلد ومن أخرى لدار الخوجة بالابتیاع الصحيح.^١

بالإضافة إلى سجلات المحاكم الشرعية توجد مجموعتان هامتان و هما سجلات بيت المال و دفاتر «البايلك»^٢ و التي تحوي هي الأخرى معلومات قيمة حول الوقف و عليه يستطيع الباحث اليوم أن يقف على هذه السجلات الذي قدر عدده ب 13583 وثيقة وقف، أما اللغة المتداولة في سجلات المحاكم الشرعية هي اللغة العربية محفوظة في بطاقات خاصة تدعى الميكروفيش(Microfiche) (المصغرات الفيلمية).

ونستنتج مما ذكر أن المجموعة الأولى وهي الوثائق الشرعية ذات أهمية بالغة لأنها تعكس لنا الطابع الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والتطور التاريخي للأمة الجزائرية وبخاصة في القرن الثامن عشر.^٣ وهي مادة ما تزال خام لكونها لم تحظ بالاهتمام إلا في السنوات الأخيرة.

^١ عائشة غطاس، «سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع مدينة الجزائر العهد العثماني»، مجلة إنسانيات، عدد 3 شتاء 1997، ص .70.

^٢ سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 3، رقم 41.

^٣ تحتوي سجلات بيت المال على 11 علبة و 64 سجلا تخص القرن الثامن عشر و النصف الأول من القرن التاسع عشر و تتناول مواضيع متعلقة بالتراث والوفيات و عائدات الأوقاف و نفقات الفقراء و الغرباء و المفقودين.

أما دفاتر البايلك تحوي على 386 سجلا موزعة على 36 علبة تغطي الفترة من منتصف القرن السابع عشر ميلادي إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي و تتعلق في مجلتها بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والإدارية. أنظر:

- أهمية عقود الأوقاف -

تحتل عقود الوقف أو التحبيس¹ الصدارة من حيث عدد الوثائق في المحاكم الشرعية ثم تليها عقود الملكية والبيع والشراء وعقود التزاعات والخصومات وعقود الزواج والطلاق والهبة وغيرها.

تفيدنا وثائق الوقف في استخراج العديد من المعطيات في جميع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية والعسكرية نذكر منها ما يلي:

- ذكر الشرائح الاجتماعية الواقفة:

والواقف هو صاحب المال أو مالك العقار المراد إيقافه، بعد أن تتوفر فيه شروط عقد الوقف من أهلية التبع والبلوغ والعقل وحرية التصرف، ويلزم بعبارات صريحة فيكون مؤاخذا بها ويطالبه بمقتضى هذا الالتزام أن ينشئ مع عقد الوقف الذي يكتسب بها حقوقاً يطالب بها بناء على هذا

ناصر الدين سعيدوني» وثائق الأوقاف بالأرشيف الجزائري وإمكانية استغلالها في التاريخ الاجتماعي للجزائر«، المجلة التاريخية المغربية، عدد 93/94، ص ص 257-258.

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 2000، ص 74.

التعاقد، وقد تضمنت هذه الوثائق صيغة التعريف بالواقف وأهليته لأداء

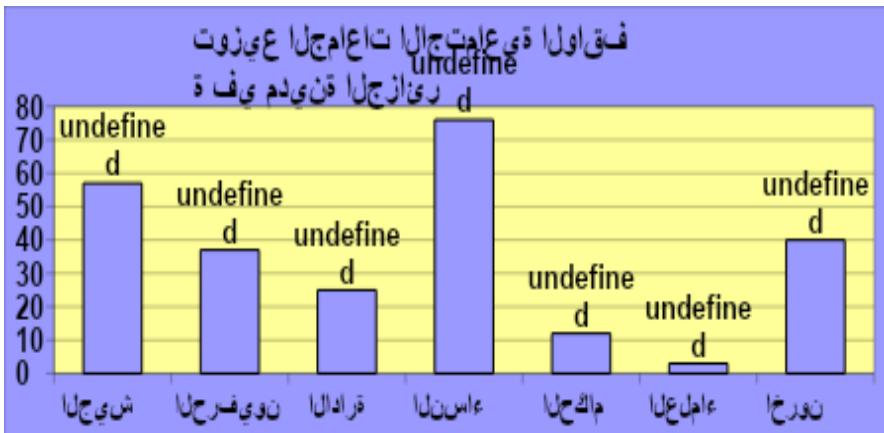
^١ التصرف بعبارة «أشهد على نفسي».

ومع هذا نستطيع التعرف من خلال هذه العقود على الشرائح الاجتماعية المختلفة التي قامت بتحبيس أملاكها من حكام و جيش و غيرهم، إذ نقرأ في أحد العقود على سبيل المثال تحبيس علي باشا^٢ جميع الجنة الكائنة بتلاروملي بتاريخ 1172هـ^٣. ومن هنا يتضح لنا المكانة الاجتماعية للواقف ونستطيع معرفة أن الواقف كان ينتمي إلى الفئة الحاكمة «الباشا» أي داي الجزائر وأيضا تحبيس محمد الحصار جميع الجنة الكائنة باجنان «بابالوادي» بتاريخ 1142هـ. والملاحظ أن صاحب العقد أن الواقف ينتمي إلى جماعة حرفة مهنتها صناعة الحصirs.

^١ محمود عباس محمد، وثيقة، إنشاء وقف من العصر العثماني الصادرة من محكمة الباب العالي 12 شوال 1204هـ بدار الوثائق القومية، مكتبة هبطة الشرق، القاهرة، 1984م، ص 9

^٢ فضيلة تكور، «رصيد الفترة العثمانية من وثائق الأوقاف بالأرشيف الوطني»، مجلة دراسات إنسانية، أعمال الندوة 30/29 ماي 2001، ص 73-74

^٣ علي باشا: يدعى بعلي باشا نقسيس حكم بين الفترة المتدة {1754-1766} من أهم أعماله محاولة إخضاع تونس، وفي عهده وقعت بمدينة الجزائر زلزال متواتلة عام 1755م دامت شهرين، كما أعاد احتلال تلمسان عنوةً و اعدم القائد رجم البحاوي الذي ثار فيها و حكمها. انظر كتاب أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986..، ص 51



- ذكر طبيعة العقار: تكتسي عقود الأوقاف أهمية كبيرة في الكشف عن جوانب هامة وفي ميادين مختلفة إذ تسمح لنا هذه العقود بالتعرف على الملكية العقارية وكيفية انتقال الملكية في الأسرة الواحدة، فقد تعددت الملكيات الموقوفة من أراضي ودكاكين وبيوت وغيرها من جهة، كما تمدنا بمعلومات عن الأسواق التجارية والحمامات والمخابز ودور الانكشارية والفنادق والأفران والمقاهي في مدينة الجزائر من جهة أخرى.

وغالباً ما يذكر مصدر ملك ذلك من بيع أو شراء أو إرث فعلى سبيل المثال تحبس محمد الانشجاري ابن حسين جميع العلوى الكاين بحومة بير الجراح سند الجبل **بالابتياع الصحيح¹**. ويقصد بذلك أن المالك تحصل على العلوى عن طريق عملية الشراء.

¹ . سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 2/48، بدون رقم

-معرفة مكان تمركز العقار: كما تساعدنا هذه العقود على معرفة كثافة الأحياء السكنية و معرفة تواجد العقارات، خاصة أن مدينة الجزائر تحتوي على أبواب و أسواق و حارات عديدة في ظل انعدام الخرائط المفصلة التي تخص مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، إذ أصبحت هذه الأبواب والأأسواق بمثابة الوسيلة المادية التي تعطي لنا صورة واضحة على مدينة الجزائر و نسيجها العمراني و نشاطها الاقتصادي والاجتماعي، وقد أعطت لنا عدة وثائق وقفية صورة جغرافية حية على أهم الأسواق مثل: سوق السمن، سوق الشبارلية و الطرقات و الأرقة مثل: حومة الخضارين - كوشة علي -زنقت المليس- القصبة...، إننا هذه المعلومات تساعدنا اليوم على وضع رسم تقريري لطبوغرافية المدينة، خاصة و أننا لا نملك طبوغرافية صحيحة يمكن الاعتماد عليها لمدينة الجزائر خلال الحقبة الحديثة.

-معرفة الأحياء السكنية في وثائق الوقف:

يمكن اعتبار الأحياء السكنية الصورة النموذجية السكانية للمدينة، فقد كانت تعتبر في الغالب نموذجا للنظام الطائفي السائد وهذا ما أشار إليه أندري ريمون في دراسته للمدن العربية الكبرى واعتبارها إدارة مصغرة تتم بواسطة أعيان الطوائف الذين يدعون بالشيخ وهم يمارسون دور الوساطة بين السكان والسلطة المركزية¹.

¹ . سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 1/42، رقم 44.

لقد أثار العديد من الرحالة والمؤرخين عن أحياط مختلفة في مدينة الجزائر كان أولها حسن الوزان، هايدو Haedo، لوجي دي تاسي De tassy، كما تذكرها أيضا الوثائق سوي كانت المحاكم الشرعية أو سجلات بيت المال و البایلک، والتي لها قيمة جوهرية من المعلومات التي تساعدنا على تركيب صوره ولو أنها غير كاملة إلا أنها تعطينا فكرة عن توزيع الأحياء السكنية في أرجاء المدينة. ويبلغ عدد أحياط في مدينة الجزائر ثلاثة وعشرين حيا أو حومة¹ ولقد صدرنا اغلبها من خلال وثائق التحبيس نذكر منها:

سباط الحوت	قاع الصور	سبايات الربع
كهف النسور	تبير غوتين	حومة الكبابطية
البطحا	كجاوة	المروستان
زنقت ابن فارس	حارة السلاوي	كوشة علي
عبد الله العلچ	القصبة الجديد و القديمة	حومة العزارة
حوانيت سيدى بد الله	سيدي الاكحل	حومة القايد موسى
عين الزنبوجة	بير الزنق	حمام الملاح

¹ . سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 32، رقم 1/2.

نحو أيضاً بأن الحارات سميت بأفراد و حمامات وعيون... لأنها كانت تكتفي بالإشارة إلى بعض المعالم الموجودة بها فعلى سبيل المثال:

- العيون: عين السماء. عين الأزرق
- الأفران "الكوشة": كوشت إبليس- كوشت المليسر- كوشة علي- كوشة وريدة.
- الأضرحة و الزوايا: ضريح سيدى علي الفاسى- سيدى هلال- زاوية أبي شعيب.
- السبات¹: سبات القايد قاسم.

و من الجدير بالذكر أن وثائق الأوقاف قد ساعدتنا في تحديد معالم الحي الواحد وهذا بذكر الجهات الأربع لموقع العقار وهو ما جعلنا نتعرف على نطاق الأحياء و حدودها بالتقريب. لكن غياب خريطة مفصلة عن الموقع والتوزيع العقاري للملكيات حصر جهودنا في التعرف النظري لموقع الأحياء.

كما لاحظنا أن التركيب الاجتماعي للأحياء عادة ما ارتبط لرغبة كل طائفة في المجتمع في تشكيل خلية اجتماعية متجانسة ولكن في نفس الوقت منعزلة عن باقي الطوائف الأخرى، وقد أكد ريمون Raymond هذه القاعدة عند دراسته للمدن العربية مثل حالة دمشق- حلب- القاهرة- ومدينة الجزائر الشيء الذي لاحظناه في وثائق الوقف حيث لمسنا

¹. سلسلة المحاكم الشرعية : العلبة 1/13 رقم 45.

هذه الظاهرة فعل سبيل المثال كانت فئة الجيش تتمركز في أسفل القصبة مثل حومة عقبة الشرشالي وحارة اجنان. أما الفئة الريفية فقد استقرت في حومة بن فارس والفحوص¹ وهكذا. ولقد أدى هذا الانعزال إلى انتشار المدينة إلى وحدات متمايزة.²

معرفة المدينة وأسوارها:

لقد نمت مدينة الجزائر خاصة بالتوارد العثماني لحماية المدينة من الاعتداءات والهجوم الخارجي، ومن هنا يعتقد أن المدينة لم يكن لها أسوار منيعة تحميها إلا عند الوجود العثماني الذي عمد إلى تحصين المدينة وتمكنـت بذلك من الدفاع عن نفسها ولقد وصف مدينة الجزائر كل من زارها انطلاقا من حسن وزان في القرن السادس عشر، ونكتفي بوصف هايدو للمدينة حيث قال عنها "شوارع المدينة ضيقة ومنازلها متلاصقة بعضها ببعض، منازلها أقيمت على شكل مدرجات أعطتها منظرا جميلا".³

ومن خلال وثائق الوقف التي تمكنا من وضع تصور للمدينة وأسوارها وصلنا إلى رصد ثلاث مناطق هامة وهي:

¹ الفحوص: هي الريف المحيط بالمدينة مباشرة وقد أسندت مواقيـتها لموظـف يدعـى "قائد الفحـص"

² Raymond : Op-cit, p 133.

³ تضم مدينة الجزائر عدة أبواب اختلف في عددها فقد ذكر هايدو Haedo أن أبواب مدينة الجزائر كانت تسعـة أبواب، بينما يرى مورقان Morgan ودو كاسي وغيرـهم بأن عدد أبواب مدينة الجزائر هي خمسـة أبواب فقط، يتم فتح هذه الأبواب عند مطلع النهـار ويتم إغلاقـها عند غروب الشـمس وبعـض يقول بعد صلاة العـشاء.

١- منطقة القصبة:

تأتي ترتيب هذه المنطقة في وثائق الوقف في المرتبة الأولى مقارنة بالمناطق الأخرى هذا راجع لموقعها الممتاز باعتبارها مركز المدينة وفيها يوجد المباني الهمامة مثل تكنة اوسطا موسى ولهذا فهي أكثر المناطق من حيث الكثافة السكانية ونلمح هنا الشيء في الوثائق حيث ضمت المنطقة فئات من العنصر التركي وفئة الجيش، كما تضم المنطقة مركزا ثقافيا خاص بالجالية الأندلسية وهي زاوية الأندلسيين التي تأسست في 1639م ولهذا قطن المنطقة العديد من الفئات الأندلسية بالإضافة إلى الفئات الحاكمة مثل: مصطفى الشريف القرمانلي البايلك وعائلات غنية ودينية مثل: مصطفى نجل الشيخ البركة سي سليمان ابن راضي.

سويقة باب الوادي:

تعتبر هذه الأخيرة حيا سكنيا نشيطا من الجانب البشري والتجاري، حيث تأتي في المرتبة الثانية من حيث الكثافة السكانية وكان أبرز فئة سكنت هذا الحي هي فئة الحرفيه وربما هو شيء بدائي حيث تعتبر المنطقة منطقة تجارية وجدت فيها حرف متميزة مثل: العطاره -الحرير- والخياطة.

حومة كوشة علي:

تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الكثافة السكانية وتبدو أنها كانت حومة عرفت فئة الأغنياء والفئة الدينية فمن أبرز التي قمنا برصدتها مفتى المالكية أحمد بن مبارك الفقيه¹ عدد معتبر من فئة الجيش.

أبواب مدينة الجزائر

تنقسم مناطق مدينة الجزائر حسب موقعها الجغرافي ونشاطها الاقتصادي إلى ثلاثة مناطق رئيسية تسمى "الفحوص" وذلك اعتمادا على وثائق الوقف واستنادا إلى الطرق الرئيسية المؤدية إليها أبواب المدينة والتي تضم النواحي التالية:

فحص باب الوادي:

وهي تضم الأحياء التالية حسب ما هو وارد في الوثائق (عين الحمراء - حمام الملاح - اجنان - عيون السخاخنة - بوزريعة - سكة الشهويدي - سويقة باب الواد - بير الزنق)

يقع فحص باب الوادي في المنطقة الشمالية وكانت منطقة اتصال المدينة مع الجهة الغربية كان يوجد بها مقبرة اليهود والمسيحيين وأين يتم إقصاء هذا العنصر من العناصر عند ارتكابهم لأي جريمة.

¹ Mustapha ben Hamouche, « Les quartiers résidentiels et les organisations de la population à Alger à l'époque ottomane », R.H.M année 23.83/84 juillet – août 1996.p 518.

أما المنطقة الثانية الواقعة في المنطقة الوسطى والتي تعرف بفحص الباب الجديد وضم المناطق التالية: (عين الزنوجة^¹ - بني موسوس- فحص عين القديم- الابار- حيدرة) اشتهرت المنطقة بوجود بها حصن الإمبراطور، كما تميزت عن المناطق الأخرى بأنها كانت تضم كوسومبولية اثنية متنوعة من: أندلسيين- أترالك- يهود- أسرى وحتى عبيد.

أما المنطقة الثالثة الواقعة في الجهة الشرقية والتي تعتبر أهم أبواب مدينة الجزائر وفحصها ونقصد بها فحص باب عزون. حيث تمثل هذه الأخيرة مركزاً لكل العمليات التجارية، في المدينة وبها تقع أهم أسواق المدينة ونقصد بذلك السوق الكبيرة التي تذكرها الوثائق والواقعة بين باب عزون وباب الوادي، ويضم الفحص المناطق التالية (عين السلطان- عين عبد الله العلح^² - بئر مراد راييس- حمام حمزة خوجة- بير الجراح- خنيس- تلولي- حومة الخضارين- الجرادين).

والملاحظ أيضاً أن هذا الفحص لم يكن فقط مركزاً للعمليات التجارية فحسب وإنما كان مركزاً بشرياً نشيطاً في كل الأوقات حيث كان يقصده الناس من مختلف مناطق البلاد من البربر وجماعة البرانية التي كانت

^¹ عين الزنوجة: يقول الأندلسيون هم من قاموا بإنشائها عند وصولهم للمدينة بطريقة جديدة في بناء العيون (olivier sauvage) وهي أكبر عيون مدينة الجزائر

^² عين عبد الله العلح: وهو الأسير المسيحي إلى دخل الإسلام وعاش في الجزائر.

تقطن في الجهة الغربية لباب عزون في منازل فقيرة حسب ما ذكره أندربي ريمون خاصة سيدي الأكحل^١.

بالإضافة إلى أبواب أخرى لم نجد لها أثر في وثائق الوقف ولكن تذكرها الكتب المعاصرة مثل باب الجزيرة الذي يقع في الجنوب وبطل على الميناء حيث كان يسهل عملية الاتصال بين البر والبحر.

الأسواق:

لقد تميزت الأسواق في المدن الإسلامية بتقاليد عريقة أشاد بها العديد من الرحالة والمؤرخين وكان أولهم حسن الوزان الذي قال: "بان المدينة تملك مساكن جميلة: وأسواق منظمة، حيث يوجد لكل حرفة موضعها الخاص بها".

فعند النظر بالتفصيل في أسواق المدينة نلاحظ تمركزها واضحا للحرف الراقية في وسط المدينة أهمها: سوق الصاغة- العطارون وغيرها أما الحرف البسيطة مثل: الخضارين- الحدادين- الدباغين فهي تقع سواء عند البوابات أو خارج الأسوار ولهذا فإن اغلب الأسواق في العهد العثماني كانت تقع أسفل المدينة وبشكل خاص في باب عزون وباب الوادي وهذا الجدول لأهم الأسواق التي قمنا برصدتها من خلال وثائق الوقف:

سوق العطارين	سوق الكتان	سوق الشماعين	سوق القرازين	سوق الحاشية	سوق الخراطين	سوق الكبيرة	سوق السراجين
--------------	------------	--------------	--------------	-------------	--------------	-------------	--------------

^١ سيدي الأكحل: سيدي الأكحل: نسبة إلى زاوية بنيت في 1669 و في 1750-1751 عوضت بمسجد.

والشيء الملاحظ في أسواق المدينة من خلال عقود الوقف تبدأ عادة بوصف موقع العقار المحبس والذي يرشدنا إلى محل لصناعة معينة وبشكل من الدقة فعلى سبيل المثال تحبس محمد الانجشاري جميع الدار في سوق الكتان وتحبس المكرم محمد الصمار صناعة ابن علي الشريف جميع الدار في حارت السلاوي^١.

كما تذكر بعض المتخصصية احتكار عدة حرف من طائفة اجتماعية واحدة مثلما هو الحال لبني ميزاب الذين اشتغلوا: جزارين ولحامين كما احتكر اليهود صناعة الصاغة.

السوقيات :

ذُكرت الوثائق كلمة السوقيات وهي تصغير لكلمة السوق في المدينة مثل ما ورد في الوثائق سويقة باب الوادي - سويقة عمور ويبدو من خلال طبيعتها شبيهة بالحوانيت تباع فيها في الغالب الخضر والفواكه واللحوم حسب ما ذكره ريمون وقد تستبدل الكلمة السويقة أحياناً في العقود باسم "حوانيت" كما هو الحال بالنسبة لحوانيت سيدى عبد الله.

- ذكر الأشخاص المنتفعين: ونستطيع من خلال هذه العقود أيضاً معرفة كيفية انتقال الملكية في الأسرة الواحدة، لأن أحكام الوقف النزري خاصة يقر لصاحب الحبس الانتفاع ومن بعده أولاده وأهله حسب ما أورده في العقد.

^١ سلسلة المحاكم الشرعية: الوثيقة رقم 70 العلبة 1/48

هذا ما ساعد الأسر على المحافظة على تمسكها و حال دون اقتسام الأملاك الموقوفة أو بيعها أو رهنها من طرف الورثة، وقد لاحظنا أن أغلب عقود الأوقاف التي تم تسجيلها في سلسلة المحاكم الشرعية كانت أوقاف خاصة أو أهلية، و سجلنا أيضاً أن معظم هذه الأوقاف كانت موجهة أساساً نحو التحبيس على الأولاد وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على حرص الواقفين على المحافظة على الإرث و الترابط الأسري ، وقد جاء في هذا الإطار في العقد التالي: تحبيس قاسم بن موسى المداحي على نفسه ثم على ولده الموجود الآن وهو محمد وعلى ذريتهم و ذرية ذريتهم و أعقاب أعقابهم ما تناسلا و امتدت فروعهم في الإسلام.

- معرفة القضاة الذين تولوا منصب القضاء في مدينة الجزائر:

وباعتبار عقود الأوقاف هي عقود إدارية يشرف عليها القاضي، فعادةً ما يذكر القاضي الموكل له مراقبة عقود الأوقاف ومدى التزام الواقف بشروط الوقف والتزامه برفع يد الحيازة على الملك، فنجد في إحدى العقود على سبيل المثال للحصر تحبيس الولية حسني جميع الدويرة الكاينة بكوشة علي، رفعت المحبسة المذكورة يد الملك ووضعت يد الحيازة لها ولمن عداتها وللمرجع المذكور وطبع في ذلك الشيخ القاضي حفظه الله وهو الطاهر ابن محمد بن علي بتاريخ 1179هـ.

كما يقر القاضي صحة الوقف وهذا بذكره في الوثيقة وبعبارات صريحة في آخر العقد [وفقه الله بمنه ونص خطاب القاضي صح ما فيه]. بالإضافة إلى ورود أسماء الشهود مسبوقة بألقابهم وعبارات التعظيم في بعض الأحيان.

-صيغة العقود :

إن توثيق العقود وكتابتها تعتبر من الأمور المشروعة حفاظا على الأموال من الضياع والجحيلولة دون أكل أموال الناس بغير حق، كما تمنع حدوث الخصومات والنزاعات بين الأفراد.

تميزت كتابة عقود الأوقاف بالدقة المتناهية وهي وثائق متكاملة الأركان متشابهة الأجزاء والصياغة يغلب عليها أسلوب العامية والالتزام بالسجع وتكرار العبارات للتأكيد، وتنقسم إلى عدة أقسام يمكن تجزئتها على النحو التالي:

*-افتتاحية:

وتشمل في الغالب الجهة الصادرة منها الوثائق وهذا بذكر المحكمة مسبوقة بعبارات التعظيم والتفحيم «بالمحكمة الشرعية بالجزائر المحمية».

*- ذكر القضاة:

بعد ذكر المحكمة يذكر اسم القاضي مشار إليه في بعض الأحيان أعلى الوثيقة، حيث تورده الوثائق بـ«لدى سيدنا و مولانا» أو بعبارة قاضي القضاة مسبوقةً ببعض الألقاب الدالة عليه «شيخ مشايخ الإسلام - قاموس البلاغة و نبراس الإفهام» ثم ذكر الدعاء للقاضي «دام فضله و زيد في علاه أمين» أو «دام مجده و علاه» كما يذكر مذهبـه (ماليـي أو حنـفي).

*- ذكر أسماء الشهود:

وردت أسماء الشهود بعد الصيغ الخاصة بذكر القضاة مع التعريف بهم بعد عبارة «بمحضر كل من» ثم ذكر أسماء الشهود مسبوقة بألقابهم مثل بمحضر الم Heidi الانشجاري، ثم ذكر الوظيفة أو الحرفة مثل الم Heidi الانشجاري الخياط.

*- ذكر الواقف (المؤسس):

وهو صاحب العقار ومن أهل التبرعات حيث يشترط فيه بان يكون عاقلاً حراً بالغاً كامل الأهلية ويراد بهذه الكلمة بان يكون صالحًا لأن يلتزم بعبارة فيكون مؤاخذ بها وثبوت أهلية الأداء.

وقد وردت في عقود التحبيس عدة صيغ متباينة في المعنى للتعريف بالواقف بعبارة «أشهد على نفسه» ويرد معه الفعل الدال على التصرف بالفعل الماضي بان يقول وقفت-حبست- سبل- أبد- أكد- خلد- تصدق لله تعالى، وبهذا يكون الواقف قد أدى العمل القانوني وبتصريح العبارة.

ويذكر أيضاً في العقد المال المتقوم القابل للوقف وبهذا يجب أن يكون الأصل في الوقف عقاراً أو تابعاً للعقارات، كما يجب أن تكون العين الموقوفة صالحة للبقاء ليتمكن تنفيذ حكم التأييد فيها، ومما يتثير الانتباه في عقود الأوقاف الدقة المتناهية في تحديد مكان العقار حيث ترد في بعض العقود المشتملات والحدود الأربعية له.

ويصح في عقود الوقف أيضاً بإثبات ملكية الواقف للعين التي تجعل له حق التصرف عيناً ومنفعةً وتدل الصيغة الواردة في الوثائق على ذلك ومنها «على ملك أحمد العطار».

وبعد إثبات ملكية الواقف ترد إثباتات صحة التصرف بالعبارة التالية: «وقفاً صحيحاً شرعاً وحسباً صريحاً وتأييداً وتخليداً دائماً وصدقه جارية فلا يباع ولا يرهن ولا يورث إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين».

*إنشاء الوقف

اشتملت على ثلاثة طبقات:

- الواقف والانتفاع

- أسرته وذريته وأشخاص آخرون من غير الأسرة إذا أراد صاحب الوقف إدراجهم في الوثيقة.

- الوجهة النهائية

* الفقرات الختامية:

تشمل الفقرات الختامية الفقرات التنفيذية والتوثيق، وبعد إتمام الإجراءات الوقف ترد الفقرة الدالة على إثباتات صحة التصرف وتنفيذها لدى القاضي الحنفي بعبارة: «شهد عليه بذلك و هو بالحالة الجائزة شرعاً». ثم ذكر التاريخ العقد.

وفي الأخير يدون التاريخ الذي إنشاء فيه العقد، ويرد في الوثائق بالصيغة التالية عرفهما بتاريخ شهر ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين و مائة

وألف، يتم توقيع العقد من طرف الشهود ويصبح بذلك عقداً صحيحاً واجب تطبيقه من الناحيتين الفقهية والقانونية.

الخاتمة

يتضح أن الوقف لم يكن مجرد مؤسسة دينية، بل آلية فعالة في التنظيم العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية. فقد ساهم في تخطيط الأحياء، توفير الخدمات، وضمان الاستدامة العمرانية، مما يعكسوعياً حضريًّا متقدماً سبق النظم الحديثة في إدارة المدن.

ورثت الجزائر في الفترة العثمانية نسيجاً عمرانياً متميزاً، حيث بقيت معالم الوقف (المساجد، أسواق، أسوار) شاهدة على عبقرية التنظيم حتى القرن 19.

لم يكن الوقف مجرد صدقة، بل نظام حضاري، حيث مثل نموذجاً فريداً للتنمية الحضرية المستدامة، حيث جمع بين الدين والاقتصاد والإدارة ليبني مدينة الجزائر المتراقبة ومنظمة. كما نجح الوقف في خلق مدينة الجزائر كنموذج حضري إسلامي متقدم، يجمع الجمال المعماري بالكفاءة الإدارية.

اعتمد التنظيم العمراني على نظام وقفي متكملاً، يجمع بين الجانب الديني، الاقتصادي، والإداري لضمان تماسك المدينة يمنع الوقف التوسع العشوائي ويحافظ على الهوية الاجتماعية.

ساهم الوقف في تعميق الفهم التاريخي للعلاقة بين الوقف والعمارة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وإبراز أهمية هذا النظام في تحقيق الاستدامة الحضرية، بما يفتح آفاقاً للاستفادة من التجربة الوقفية في معالجة بعض إشكالات التخطيط العمراني المعاصر.

ـ وهذا نموذج من عقود الأوقاف: العلبة 10 رقم: 36

ـ الحمد لله هذه نسخة رسم تحبس ينقل هنا للحاجة لها نصها الحمد لله حضر لأن بمحضر شهديه وبالمحكمة الحنفية من ملك الجزائر المحروسة بالله تعالى أمام القاضي في التاريخ الواضع طابعه الرفيع بمنه المالك معظم الأجل الذي الأفضل التقى السيد يوسف بن السيد احمد وشهاد على نفسه انه حبس ووقف لله تعالى جميع السدسي الأثنين من الدار الكائنة بسوق الخراطين ابتداء على نفسه ينتفع به مدة < حياته ثم بعد وفاته على أولاده الموجودين الآن وهم الشاب العربي والشاب محمد وعمر و اسيا و حسني و نفيضة و على ما يتزايد له بعد إن قدر الله بذلك الذكر والأنثى سواء بل للذكر مثل حظ الأثنين ولا يدخل الأبناء مع وجود الآباء في الذكور و أما الإناث مدة حياتهن فان انفرض بنا الصلب فلا مدخل للأولادهن بل ينقل منهاهن للذكور ثم أولادهم وأولاد أولادهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام فان انفرضوا عن آخرهم فيرجع الحبس إلى فقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة بعد التبديل بما تستدعا به منفعة الحبس المذكور ورفع المحبس المذكور يد الملك وضع يد الحياة له و ملن عداه وللمرجع المذكور و شهد عليه بذلك و هو بالحالة الجايزه شرعاً و عرف بتاريخ اواسط جمادى الأولى عام ثلاثة و خمسين و مائة وألف و فقه الله بمنه انتهت قابلها بأصلها المنقوله منه بما ثلته و شاكلته وبصحة ذلك لفظاً في شهادته هنا بتاريخ أعلاه.

اسم الشهود

اسم الشهود

التوقيع

التوقيع

بیوں ملکہ نعمتہ ملکہ بیرجیس

مکانیزم این میکروگیرجی را در
آنکارا پیش از آغاز عملیات

تم . وَلَمْ يَعْرُفْ فِي مَسْكِنِهِ إِلَّا هُمْ كُلُّهُمْ يَدِيدُونَ إِنْهُمْ الظَّاهِرُونَ إِنَّهُمْ
أَعْلَمُ مَمْلَكَةً يَسْتَعْبِطُونَ إِلَوْمَهُ إِلَيْهِ الْمُنْبَشِّرُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُ بِمَا
يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَعْلَمِ إِنَّمَا يَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ

جدول يبرز أهمية وثائق الوقف

الجهة النهائية	المكانة الاجتماعية	مكان الوقف	مصدر الوقف	طبيعة الوقف	الواقف	التاريخ		العلبة
فقراء الحرمين	النساء	حارة اجنان		نصف الدار	قائمة بنت الحاج	1154 1741	79	50
فقراء الحرمين	الجيش	بوزريعة	ملك	نصف الجنة	مصطفى أوديashi ابن محمد التركي	1174 1760	104	54
فقراء الحرمين	النساء	بوزريعة	ملك	+الجنة الجينينة	عاشرة بنت علي	1149 1736	203	54
فقراء الحرمين		بوزريعة	ملك	الجنة	الحاج احمد بن هنية	1199 1784	102	54
فقراء الحرمين	الجيش	بوزريعة	ملك	الجنة	محمود بلودياشي	1126 1714	97	54
فقراء الحرمين	الجيش	بوزريعة	ملك	الجانان	المعظم مصطفى رایس قبطان	1175 1761	70	54
فقراء الحرمين	الادارة	بوزريعة		الجنة	ابي العباس السيد احمد الترجمان بدار الحارة	1125 1713	71	54
فقراء الحرمين	الحرفه	بوزريعة		الجنة	الحاج محمد الفخار ابن قاسم المتيجي	1146 1733	41	54
فقراء الحرمين	النساء		دار ملك	3/6 دار	فاطمة بنت احمد	1174 1760	10	32
فقراء الحرمين		حومة بابا احمد	ملك	دار	سعید الچاوی ابن موسى	1143 1730	37	32
فقراء الحرمين	الجيش			العلوي	محمد الانجشاري ابن حسين	1152 1739	1	32
فقراء الحرمين	الجيش			الغرفة	عال الانجشاري ابن محمود	1146 1733	39	32

تأسيس المساجد الجامعية لمدينة الجزائر على ضوء المعطيات التاريخية والشواهد الأثرية.

محاولة تأريخية

د. أمين محرز

جامعة خميس مليانة

مقدمة

لقد ارتبط نمو النسيج العمراني للمدينة الإسلامية بشكل وثيق بسرعة وعدد المساجد التي تعمّرها، والتي في مقدمتها المساجد الجامعة أو "الجوامع"، باعتبارها أكبر دور عبادة من حيث الأهمية الدينية والمعمارية؛ وهذا ما جعل العديد من الباحثين في مجالات التاريخ والآثار والمعمار يولون اهتمامهم على دراسة ذات الصنف من المساجد. ومدينة الجزائر، كغيرها من مدن بلاد المغرب والعالم الإسلامي ككل، تضمنّت بين عمارتها منذ القرون الأولى مساجد عتيقة شكلّت شواهد بارزة عن مراحل تاريخها الآلفي، منها ما أصبح أطلالاً، ومنها ما بقي قائماً مستغلاً إلى يومنا هذا. والغرض من دراستنا يتراوح بين كشف الظروف التي أحاطت تأسيس بعضٍ من أهم جوامع مدينة الجزائر إلى إماتة اللثام عن مؤسّسيها الحقيقيين، كون هوياتهم ظلت مجهولة يكتنفهم الغموض، إما بسبب صمت المصادر التاريخية بشأنهم أو فقدان الكتابات التأسيسية أو نظراً إلى أن تلك المساجد نسبت - لسبب أو لآخر - خطأً لغيرهم. وتنحصر محاولتنا

التاريخية هذه على ثلاثة جوامع بشكل أساسي، وهي على التوالي: الجامع الكبير، وجامع السيدة، والجامع الجديد؛ ولأجل بلوغ تلك الغاية، سنعتمد على بعض الشواهد الأثرية وكذا الوثائق الأرشيفية التي لم يسبق توظيفها، بالموازاة مع معطيات تاريخية من取قة من مصادر مختلفة.

وفي اللهجة العاصمية، يستخدم لفظ "جامع" دون تمييز لتعيين المسجد الجامع والمسجد؛ وهذا التداخل لا يأخذ بعين الاعتبار حجم تلك المؤسسات ووظيفتها، فالجامع اصطلاحاً أكبر حجماً من المسجد، حيث تؤدي فيه الصلوات الجامعة، ومن ضمنها صلاة الجمعة والعيدان؛ ولأجل ذلك، جرت العادة في أغلب المدن الجزائرية أن يطلق عليه اسم الجامع الكبير، وكذلك - لكن بدرجة أقلّ بكثير - الجامع الأعظم.

وكانت الجوامع تحتوي على عناصر معمارية وفنية قلماً نجدها جمیعاً في المساجد الأصغر الأخرى، على غرار المحراب والمنبر والصومعة والمئذنة والقناديل والشمعدانات؛ وإضافةً إلى ذلك، كانت الجوامع أكثر جمالاً وتأنّقاً من باقي المساجد، إذ كانت الأولى تفرش عادةً بالزرابي القيمة، فيما يغلب على الثانية الحصير والسجاد المتواضع؛ كما كانت تضاء الأولى بالثريات والتحاسيات الرفيعة، فيما كانت الثانية عادةً لا يوجد فيها أكثر من شمعدانات بسيطة ومصابيح زيتية عادية.

ولعلّ أهمّ عامل يميّز الجوامع هو أنّ مساحتها الكبيرة سمحت بأن تصاف لها مراافق متنوعة مثل المكتبات والمدارس والكتاتيب والمواضي ونحوها؛ وهذه الملحقات استلزمت عدداً معتبراً من الموظفين كالوكيل والخطيب والإمام (وكانت الخطابة والإمامية تجمع أحياناً لشخصٍ واحد)

والمدرّس والمؤذن) والحزابين) وبعض القراء، وهذا ما جعلها تتفوق بلا ريب في دورها الديني والتعليمي والاجتماعي عن غيرها من المساجد. وفي مدينة الجزائر، كان تأسيس الجامع عملاً فردياً بالدرجة الأولى، فالغني المحسن، الذي كان في كثير من الأحيان من طبقة الحكام والقادة - وفي حالات قليلة من فئة كبار التجار -، هو الذي كان يسهر على عملية البناء وما يتبعها من أوقاف لصيانتها. ولقد كان يدفعه لذلك بالمقام الأول إحسانه وحبه للخير وواجبه الديني، كونه يبنيه من ماله الخاص ويوقف عليه من ريعه وأملاكه؛ وذلك دون أن نغفل أنَّ البعض من أولئك المؤسسين كان له مقصد سياسي مبطن، ليس المجال هنا لبساطه.

● الجامع الكبير

رغم تضارب الآراء حول تاريخ إنشائه، لا يختلف اثنان على أنَّ الجامع الكبير هو أقدم مساجد مدينة الجزائر، إذ وردت أول إشارة تاريخية عنه في كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب" لأبي عبيد عبد الله البكري (1094-1014م). وعلى اعتبار أنَّ البكري لم يبح الأندلس قط، واقتبس معلوماته عن بلاد المغرب من مصدر أقدم - لكنه مفقود -، "مسالك إفريقيا وممالكها" لجغرافي أندلسي آخر : محمد بن يوسف الوراق القيرواني (973-904م)، فإنَّ الوصف الذي قدَّمه عن المدينة المذكورة يعود بالأحرى إلى أواسط القرن العاشر للميلاد¹. ومما جاء في وصف

¹ حميدة عبد الرحمن، *أعلام الجغرافيين العرب ومقتضيات من آثارهم*، ط. 3، دار الفكر، دمشق، 1995، ص. 357؛ الصادق زيانى، "نصوص جغرافية وتاريخية من كتاب 'المسالك والممالك' المفقود لمحمد بن يوسف الوراق (ت. 363هـ/974م)"

البكري المنقول عن الوراق لمدينة "جزاير بني مزغنى" بأنّ "لها أسواق ومسجد جامع؛ وكانت بمدينة بني مزغنى كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب، وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مخصوص كثير النقوش والصور¹". ويفهم من ذلك أنّ البناء الأول للمسجد الجامع الذي كان قائماً أواخر الفترة العلوية² كانت أبعاده متواضعة، حيث احتلّ جزئياً موقع كنيسة رومانية؛ وأنّه بجانبه كان جدار من أطلال تلك الكنيسة يتّخذ مصلى للعيدين³. ويبقى الأمر المؤكّد أنّ المسجد الجامع شهد

مجموعة من كتابي "المغرب للبكري و'البيان' لابن عذاري المراكشي"، في: المجلة التاريخية الجزائرية، مج. 7، ع. 2، 2023، ص ص. 159-178.

¹ أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.، ص. 66.

² تأسّست مطلع القرن التاسع للميلاد إمارة علوية بسهل متيبة على يد محمد بن جعفر العلوى؛ وكانت عاصمتها الأولى خزرونة، قبل أن تحل محلّها جزائر بني مزغنة. وبعد أن وقعت الإمارة تحت النفوذ الفاطمي، دخل آخر أمرائها حمزة بن إبراهيم في جويلية 948 م في حلف أمويي الأندلس، مما أفضى إلى سقوط المدينة - عقب صراعمير آخرها - بيد زيري بن مناد الصنهاجي، بعد قرابة العقد من الزمن :

- Ibn Idhârî al-murrâkuchî. *Histoire de l'Afrique du Nord et de l'Espagne musulmane intitulée Kitâb Al-bayân al-mughrib fî akhbâr al-Andalus wa al-Maghrib*, publ. par G. S. Colin & É. Levi-Provençal, T. I, 3^e éd., Dar Assakafa, Beyrouth, 1983, pp. 343-344.

- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط. 2، ج. 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص ص. 248-249.

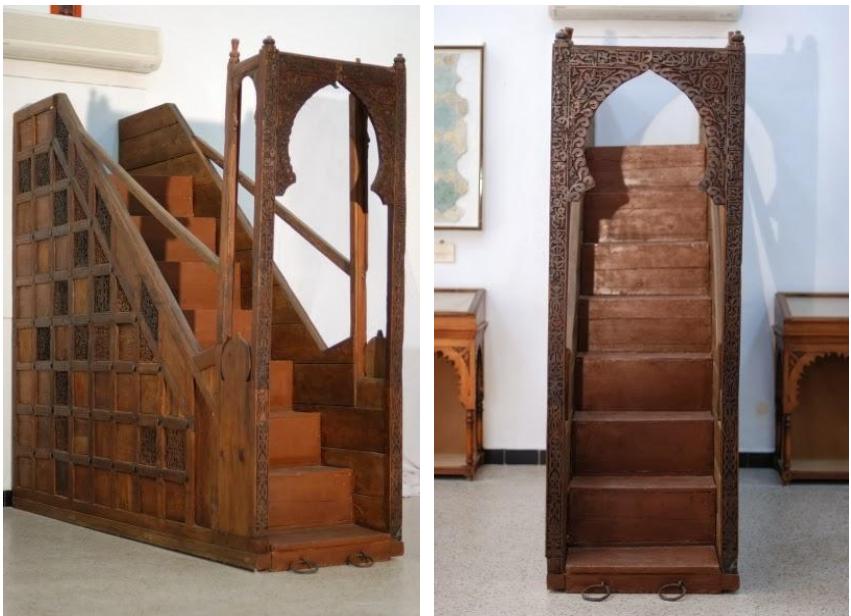
³ Samia Chergui, « Al-Djama' al-A'dham ou le processus conservatoire d'un patrimoine religieux islamique », in : Vies des villes, n° 5, mai 2006, p. 76 ; Sakina Missoum, *Alger à l'époque ottomane. La médina et la maison traditionnelle*, INAS, Alger, 2003, p. 18.

إعادة بناء وتوسيعة خلال القرن الحادى عشر ميلادى، مثلما يثبته الشاهد الأثري الأهم الذى يؤرخ للجامع الكبير، ألا وهو المنبر الخشبي الذى نقش بأعلى بابه بالخط الكوفي المشتبك : "بسم الله الرحمن الرحيم اتم هذا المنبر في أول شهر رجب من سنة تسع وأربعين". عمل محمد.¹

إنّ التاريخ الوارد على الكتابة النقشية للمنبر يوافق بالتقويم الشمسي الثالث عشر نوفمبر 1018م ؛ وهذا ما يجعل تأسيس الجامع في شكله الحالى - ونعني بذلك هندسته المعمارية في خطوطها العريضة - على عهد الدولة الحمادية الصنهاجية. ورغم أنّ كتابة المنبر تنصّ على اسم صانعه، بينما تسكت عن اسم المؤسس، إلا أنّ التاريخ يتبع لنا التوصل إلى معرفة هويته : إذ أنّ في غضون شهر يناير من السنة المذكورة أبرم الصلح بين الحماديين وأبناء عمومتهم الزirيين، وهو ما اعتبره المؤرّخون التاريخ الرسمي لتأسيس الدولة الحمادية على يد حمّاد

- بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حمّوش، تاريخ وعمان قصبة الجزائر من خلال مخطوط أليير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص ص. 38-39.

¹ Gabriel Colin, *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie*. I. – Département d'Alger, Ernest Leroux, Paris, 1901, pp. 1-2; Abbé J. L. Bargès, « *Inscription arabe de la mosquée maléki à Alger* », in : *Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies*, T. 5, 1857, pp. 269-270.



**المنبر الخشبي للجامع الكبير (ق. 11م) - المتحف الوطني للآثار القديمة
والفنون الإسلامية بالجزائر**

بن بلکین^١. وبما أنّ هذا الأئمّر كان قد أسنّد حكم زواوة وسوق حمزة (البويرة حالياً) ومتيجة - التي أصبحت مدينة الجزائر عاصمة لها في محل مرسى الدجاج (زموري البحري حالياً) - لابنه وولي عهده القايد بن حمّاد^٢،

^١ مبارك بن محمد الميلي، *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.، ص ص. 234-231 ؛ عبد الحليم عويس، *دولة بنی حمّاد. صفحة رائعة من التاريخ الجزائري*، ط. 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص ص. 70-62.

^٢ عبد الرحمن بن خلدون، *تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبّر*، ضبط المتن ووضع الحواشى

فبوعسنا أن نرجح بأنّ القايد هذا هو مؤسس الجامع الكبير، لا سيما أن أباه كان منشغلاً طيلة الثلاث سنوات السابقة بقتالبني عمومته أصحاب إفريقية.

- الجامع الكبير ويوف بن تاشفين : تقاد جميع الدراسات التاريخية التي تطرقت للجامع الكبير تتّفق على نسبة بنائه للمراطين وأميرهم الشهير يوسف بن تاشفين ؛ وبناءً على ما سبق التوصل إليه، سنجاول فيما يلي أن ندحض هذه الفكرة الثابتة، التي تعتبر أنه لا أساس لها من الصحة، من الزاوية التاريخية :

- تذكر المصادر التاريخية أنّ المراطين باشروا غزو المغرب الأوسط في غضون النصف الثاني من سنة 1081م، حيث زحف يوسف بن تاشفين بقواته "إلى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بني يزناسن وما والاها ؛ ثم سار إلى تلمسان ففتحها ...، وأنزل بها عامله محمد بن تينغمر المسوفي في عساكر المراطين، فصارت ثغرًا لملكته، واحتُطَّ بها مدينة تاڭرارت بمكان محلّته - وهو اسم المحلّة بلسان البربر - ثم افتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس وجميع أعمال شلف إلى الجزائر. وانكفاء راجعاً إلى المغرب، فدخل مراكش في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين

والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج. 6، دار الفكر، بيروت، 2000، ص. 210

وأربعينات^١، الموافق لمطلع خريف 1082م، وهو ما يتيح لنا تحديد زمن السيطرة المرابطية على الجزائر في ربيع ذات السنة.

- بيد أنّ الدولة الحمادية لم تبق مكتوفة الأيدي أمام الاختراق المرابطي لأراضيها، حيث كلف أميرها الناصر بن علناس (1088-1062م) ابنه وواليه على الجزائر ومرسى الدجاج عبد الله^٢ باستعادة ثغور الدولة الغربية، على الأرجح خلال النصف الثاني من سنة 1083م؛ وتزامن استرداد الحماديين للجزائر مع ثورة تنس على الحكم المرابطي، مما حمل والي تلمسان محمد بن تينغمر على الخروج بالقوات التي تركها له يوسف بن تاشفين، والتوجه إلى المدينة الأولى، حيث أقام معسكره بالفحص الذي سمي منذئذ بـ تاجرات (وعرف خطأً بـ Tagarins "الثغريين" في الكتابات الفرنسية). كان المعسكر المرابطي يشرف على المنفذ الرئيسي، باب عزون، حيث كان يعتزم بن تينغمر من خلاله إحكام الحصار على الجزائر؛ غير أنّ الحماديين الذين استعدوا مسبقاً لتحرك المرابطين باغتتهم ثاني أيام الحصار، واضطربوهم إلى التقهقر بغير نظام باتجاه تلمسان عندما قتلوا قائدتهم^٣. ويتبّع مما سبق أنّ مدينة الجزائر بقيت مرابطية سنةً واحدة وبضعة أشهر لا غير، أي

^١ أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر بن أحمد الناصري ومحمد الناصري، ج. 1، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954، ص. 110.

^٢ ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 6، ص. 230.

^٣ نفسه، ص. 233-234. انظر أيضاً: الجيلالي، المرجع السابق، ص. 412.

من ربيع 1082م إلى غاية خريف 1083م كحد أقصى¹؛ وهي فترة قصيرة لا نعتقد تخميناً بأنّها كانت كافية لتغطي مراحل بناء المسجد الجامع.

- الجدير بالذكر أنّ يوسف بن تاشفين أحجم عن الدخول في صراع مفتوح مع الناصر بن علناس الحمادي، إذ كان يخطّط لفتح سبتة وتجييش قوّاته استعداداً للجواز إلى الأندلس برسم الجهاد²؛ وعليه، فإنّه اكتفى بتعيين تاشفين بن تينغمر واليّاً على تلمسان، خلفاً لأخيه القتيل، وأوصاه بأن لا يتجاوز تلمسان والأراضي التابعة لها.³

- في سنة 1103م، نقض تاشفين بن تينغمر الوضع القائم بين دولتي المنصور بن الناصر ويوسف بن تاشفين، بعد أن تمرّدت قبيلة ومانوا، التي كانت لها الرياسة على القبائل الزناتية بحوض الشلف، على الحماديين، وانضمت إلى الصف المرابطي : فقام المذكور بالتّوغل في الأراضي الحمادية، واستولى على أشير وأخرّها بعد أن عرج على الجزائر وفتحها لفترةٍ وجيزة عقب قتال عنيف؛ وعندها خرج المنصور في ركابه واستنفر معه جموع صفّاجة والعرب، وهزم تاشفين بن تينغمر قرب تسالا، ثم وجه عساكره

¹ انظر في هذا الصدد : مرزاق بومداح، "العلاقات الحمادية المرابطية (539-1144هـ/1053-1144م)"، في : الباحث، مج. 12، ع. 1، يناير 2020، ص. 161؛ محمد موشموش، "أثر عمارة مسجد قرطبة على عمارة المساجد المرابطية بالغرب الأوسط القرنين الخامس والسادس للهجرة"، في : مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 3، ع. 1، جوان 2019، ص. 274.

² علي بن أبي زرع الفامي، الأنبياء المطروب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقه، الرباط، 1972، ص. 144.

³ موشموش، المرجع السابق، ص. 274.

لتعيّث فساداً في تلمسان وأحوازها، قبل أن يقفل راجعاً. ولم يرق لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين تصرف واليه "الطائش"، فعزله عن منصبه وولى مكانه القائد مزدي، وصالح الحماديين على غرار المرة الأولى.¹

وهكذا، يتبيّن لنا مما سبق ذكره أنَّ الطرح الذي ينسب بناء جامع مدينة الجزائر ليوسف بن تاشفين غير مؤسِّس تاريخياً. وتتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنَّ بعض الباحثين من أمثال جورج مارسيه (Georges Marçais) حاولوا بشكل عبئي أنْ يغيّروا تاريخ الكتابة الواردة في منبره لسنة 490هـ الموافقة لـ 1096م²، بدل سنة 409هـ الظاهرة جلياً على النّقش، ليجعلوها توافق الفترة المفترضة للهيمنة المغربية على المدينة.

- كان مما عزَّز مارسيه في رأيه التماضلات المعمارية والزخرفية التي لمسها بين الجامع الكبير وجامعي تلمسان وندرومة المرابطين، وذكر من بينها على سبيل المثال العقود المفصّصة والحدوية المنكسرة، والجملالونات التي تغطي السقف، والصحن المكسوف الصغير³؛ ومع أنَّ مقارنته في هذا المجال صائبة، إلاَّ أنَّه غفل عن السياق التاريخي الذي أفضى إلى تلك التماضلات:

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 6، ص. 234. انظر أيضًا : الجيلالي، المرجع السابق، ص. 412.

² Georges Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident: Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile. Arts et métiers graphiques*, Paris, 1954, p. 172.

³ فطوم موباري وليليا شنتوح، "الموروث العماني المراطي بالجزائري"، في : مجلة التعمير والبناء، مج. 3، ع. 2، جوان 2019، ص. 12؛ محمد منصوري، "العمارة الدينية المراطية : مسجدي مدینتي الجزائر وندرومة"، في : حلويات التاريخ والجغرافيا، مج. 5، ع. 9، ديسمبر 2015، ص. 177.

وفي عام 1151م، غزا مؤسس الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي الجزائر دون إراقة دماء¹، قبل أن يوجه الضربة القاضية إلى الحمداديين في بجایة والقلعة. وبعد أن أخضع جل بلاد المغرب الإسلامي، "... سنة خمسين وخمسماة - التي تואق 1155م - أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه²؛ وبهذه المناسبة، تم على الأرجح تحويل العقود الجانبية للجامع الكبير على شكل حدوة حصان إلى عقود متعددة الفصوص، وهي إحدى سمات العمارة الموحدية في أول عهدها.

- لا يمكننا أن نختتم هذا الاستطراد التاريخي دون أن ننوه إلى نقطة أخيرة، وهي لوحة الرخام التذكارية لمئذنة الجامع الكبير التي بنيت خلال الفترة الزيانية. فبالاستناد إلى الكتابة المنقوشة عليها، أمر ببناء تلك المئذنة سلطان تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمّو موسى من بني عبد الواد، خلال الفترة المتقدّمة من 17 نوفمبر 1322م إلى 6 جويلية 1323م³؛ وبفعل التقارب بين اسمي ابن تاشفين وأبو تاشفين، فإنّنا نعتقد أنّ ورود

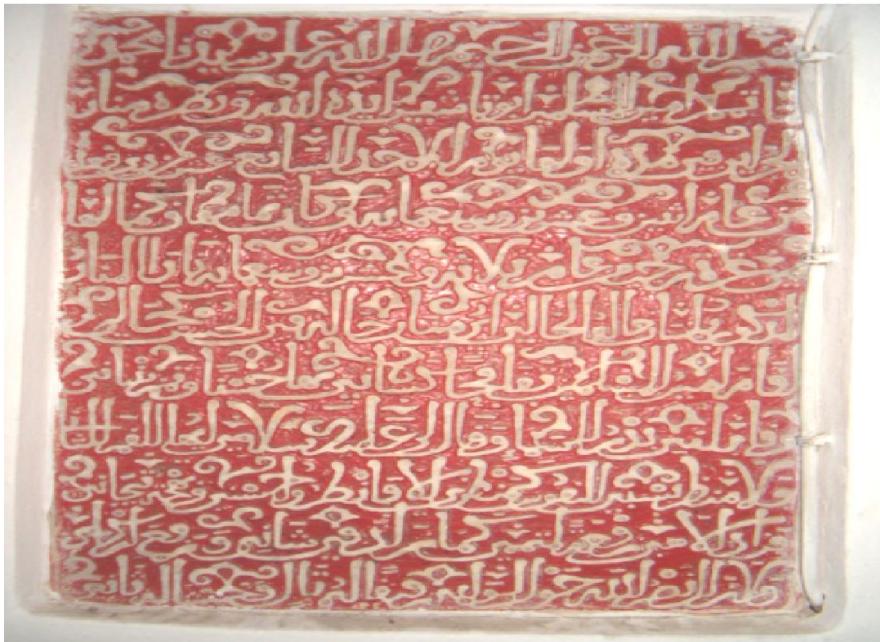
¹ الناصري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 193.

² نفسه، ص. 195.

³ Albert Devoulx, *Les édifices religieux de l'ancien Alger* (Extrait de la Revue Africaine), Typographie Bastide, Alger, 1870, pp. 94-95.

- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص. 158؛ منصوري، المرجع السابق، ص. 185.

العبارة "أمير المسلمين أبو تاشفين" في تلك الكتابة قد تكون هي السبب الرئيس في وقوع الالتباس بخصوص مؤسس الجامع المذكور.



الكتاب النقشية بالخط المغربي لمئذنة الجامع الكبير (ق. 14 م)

- جامع السيدة يبقى جامع السيدة أحد أبرز جوامع مدينة الجزائر صمنت المصادر التاريخية بشأن هوية مؤسسه، أو بالأحرى مؤسسته كما نستدلّ من تسميتها ؛ وهذا إذا ما استثنينا ما انفرد به شريف الزهار في مذكراته، حيث ذكر بأنّ "جامع السيدة" وقد تسمى على اسم التي بنته، وهي بنت مولاي الناصري ملك بجاية ؛ لعلّه كانت هناك قرية، ولم يكن بها مسجد، فبنيته للخطبة ؛ وكان مالكيّاً، فلما بنيت البلاد وضعت دار

الإمارة بإزائه، وجعلوا له إماماً حنفيّاً^١. إنَّ ما ذهب إليه الزهار بنسبة جامع السيدة لأميرة حماديَّة لا يمكن اعتباره سوى اجتهاد غير مستندٍ على أي أساس تاريخي، فكما هو معلوم لم ترد أية إشارة في كتب التاريخ والرحلة وغيرها عن وجود مسجد جامع ثانٍ بمدينة الجزائر، إلى جانب الجامع الكبير، قبل العهد العثماني^٢، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، لم يُعهد عن الحكام العثمانيين الأحناف قطٌّ أَنْهُم قاموا بالاستحواذ على مساجد مالكية قائمة وتحويلها عن مذهبها، إذ عرفت الجزائر وقتئذٍ مستوى راقي من التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية^٣. كان جامع السيدة

^١ أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، نشر وتعليق أحمد توفيق المدنى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص. 32-31.

^٢ على سبيل المثال، لم ينوه حسن الوزان لدى وصفه لمدينة الجزائر، التي زارها في غضون سنة 1516، سوى بالجامع الكبير: "... ويشاهد من جملة بناءاتها، جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر، أمامه ساحة جميلة جداً اتخذت على سور المدينة ذاته الذي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر" : الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط. 2، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص. 37. وعلى اعتبار أنَّ جامع السيدة عدَّ من بين أجمل مساجد الجزائر من قبل جلّ عائينوه، فإننا نجزم أنه لو كان قائماً زمن زيارة الوزان، لكان قد أشار إليه دونما شكٍ في مؤلفه.

^٣ انظر في هذا الصدد : عبد الحفيظ موسم، "التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني"، في : مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج. 10، ع. 1، جوان 2019، ص ص. 117-149؛ صليحة بوزيـد، "مظاهر التعايش المذهبي بين المالكية والحنفية من خلال وثائق المحاكم الشرعية في الفترة العثمانية في مدينة الجزائر"، في : مجلة دراسات تاريخية، مج. 9، ع. 1، 2024، ص ص. 112-121.

يقع بإزاء دار الإمارة (قصر الجنينة)، مقر الحكم العثماني بعاصمة الإيالة، كما يبيّنه مقطع من تصويرة (أنظر أدناه) مستللة من أطلس ألماني عائد إلى سبعينات القرن السادس عشر¹؛ ولأجل قريه، فقد كان حكام الجزائر يرتادونه لأداء صلاة الجمعة والعيدان طوال العهد العثماني، دون غيره من الجواamus.²

¹ « *Algeri saracenorum urbis fortissimae imago* », gravure vénitienne (1570 ou 1571), in : Georg Braun & Frans Hogenberg, **De praecipuis, Totius universi urbibus, liber secundus**, Gottfried von Kempen, Cologne, 1575.

نقاً عن :

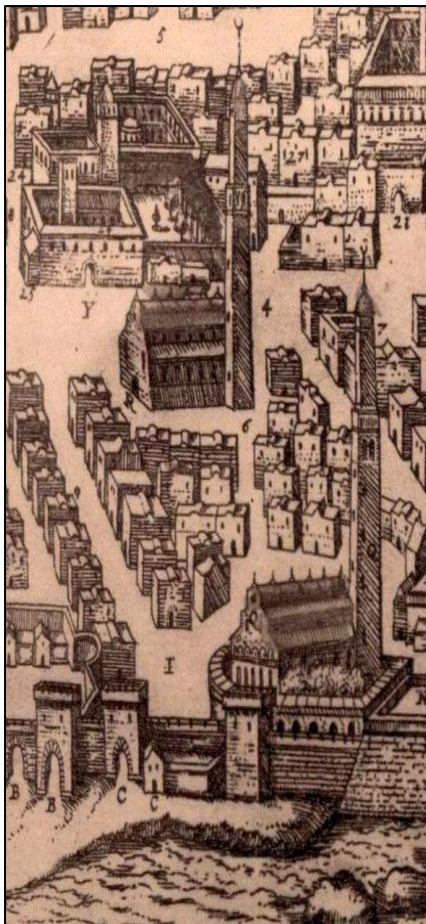
- Gabriel Esquer, **Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI^e siècle jusqu'à 1871**, vol. 1, Librairie Plon, Paris, 1929, pl. 1.

أنظر أيضًا :

- Federico Cresti, « **Description et iconographie de la ville d'Alger au XVI^e siècle** », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 34, 1982, pp. 8-9 & 21.

² Fray Diego de Haedo, **Topographia e Historia general de Argel**, Diego Fernandez de Cordova y Oniedo, Valladolid, 1612, fol. 41v°.

- جيمس لياندر كاثكارت، مذكرات أسيير الدياي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. 97؛ هاينريش فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ج. 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008، ص. 25.



- الخضر سوق 4
عربضة سكة 5
الصاغة زنقة 6
القيسارية 7
الجنبة قصر 14
السكة دار 25
الدين خير ترسانة بوابي B
مخزن بجنب البحر، باب C
البحر باب سوق 1
الأندلس بطارية N
الكبير الجامع Q
تسمية تحت ورد الذي السيدة، جامع R
"والأترال الملك مسجد"
بين الفاصلة الديوان أو "الملك ساحة" 7
السيدة وجامع الجنينة قصر

مقطع من مخطط مدينة الجزائر (رسم بندقي) يوضح موقع جامع السيدة (1570 أو 1571)¹

¹ على الرغم من أن الشكل الخارجي للمساجد في مخطط الجزائر يظهرها أشبه بالكاتدرائيات، إلا أن الرسام البندقي اجتهد في استنساخ التوزيع الجغرافي لمباني وأزقة المدينة بدقة غير معهودة بالنسبة لذلك الوقت.

وتعود أقدم إشارة لجامع السيدة إلى وثيقة من رصيد المحاكم الشرعية بتاريخ 972هـ الموافق لسنة 1564م؛ ونورد فيما يلي مقتطفات من نص هذه الوثيقة :

"الحمد لله الذي أشهد به من يتسمى عقب تاريخه شاهداً بمضمنه أنه يعرف المرحوم بكرم الله تعالى الشيخ أحمد بن سالم سلمون الأندلسي معرفة كافية معتبرة شرعاً يشهد بها، ويشهد مع ذلك أنه كان قايم حياته وصحته سابقاً عن تاريخه بنحو ستة وثلاثين عاماً غرس الموضع المعروف بالرقلاء من أحباس جامع السيدة الكائن خارج باب الوادي أحد أبواب الجزائر المحرورة... بإذن من ناظر أحباس إذ ذاك، وهو الشيخ المكرم المرحوم سعيد بن أحمد الشريفي الحمزى على سنة المعاوضة وحكمها، وعلى أن يكون له نصفها بعد تمام غراستها وإطعامها(كذا) وللحبس نصفها الآخر يغرسها كرماً وأشجاراً مختلفة... ويعطي واجب الحبس لناظره في كلّ عام مدة أعوام إلى أن توفي إلى عفو الله، وورث ورثته وصار في الوراثة المذكورين يقومون بجميع مؤنها كمورثهم المذكور ويعطى مناب الحبس لناظره حتى الآن... وعلى ذلك كله بمضمنه قيد شهادته هنا مسولة(كذا) منه بتاريخ أواخر جمادى الآخرى عام إثنين وسبعين وتسعمائة. وفقه الله تعالى، وشهادته به الشيخ محمد بن سعيد الجوهرة والشيخ المسن خطاب بن عاشوري؟!(الأندلسي...¹). وهكذا، تفينا هذه الوثيقة البالغة الأهمية أنّ أحباس جامع السيدة

¹ رصيد المحاكم الشرعية، مركز الأرشيف الوطني، بئر الخادم، العلبة 194، الوثيقة رقم .67

اتّخذت في حدود سنة 936هـ الموافقة لـ 1529م ؛ وهو ما يستلزم منطقياً اعتباره تاريخ تأسيس الجامع المذكور. فهل يمكن أن تقودنا سنة بناء ذاك الجامع إلى معرفة هوية مؤسّسته؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار المعطيات الأساسية الأربع التي بحوزتنا في هذا الصدد، ألا وهي أنه:

- ① كان يتولّ سدة الحكم وقتئِن الخضر بن يعقوب التركي الشهير بخير الدين ببربروس، مؤسس إيالة جزائر الغرب ؛ وكان قد جرى تعينه برتبة بايلرباي عليها سنة 1520م، من قبل السلطان العثماني سليم الأول.¹
- ② كان موقع الجامع - كما أسلفنا - قريباً جدّاً من دار الإمارة، حيث كانت المسافة الفاصلة بين الممر المقيبي الذي يشكّل مدخل قصر الجنينة وببوابة الجامع الرئيسية التي تقابلها بانحراف لا تتجاوز خمسة عشر متراً.²
- ③ بني الجامع وفقاً للمذهب الحنفي، الذي كان ينحصر أتباعه حينئذٍ على الأتراك العثمانيين والأعلاج، مما يعني أنّ مؤسّسته كانت تنتمي على الأرجح إلى تلك الفئات ؛ وما يدعم ذلك أيضاً أنّ اغفال ذكر اسمها ينمّ عن صفة التزّمت التي كانت شائعة لدى الأتراك، حيث كانوا يتحاشون ذكر أسماء نسائهم أمام الغير.

¹ أمين محرز، أوجاقي جزائر الغرب (1830-1819م). مقاربة جديدة لدوره التاريخي وتنظيمه العسكري، ج. 1، كوكب العلوم، الجزائر، 2022، ص. 103-104.

² André Raymond, « Le centre d'Alger en 1830 », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 31, 1981, pp. 82-84.

④ كان بناء مسجِّدٍ جامعًّا مشروعًا معتبرًا يتطلَّب موارد مالية كبيرة، مما يستلزم أنَّ تلك السيدة الْخَيْرَة كانت على جانبٍ من الثراء؛ وهذا ما يعزز تخميننا بأنَّها انتُم إلى الطبقة الحاكمة في الإيالة الحديثة النشأة.

وبناءً على حوصلة ما سبق بسطه من قرائن ودلائل، يتَّضح لنا بما لا يدع مجالاً للشكَّ أنَّ السيدة المجهولة كانت في الواقع قرينة خير الدين باشا؛ وليسعنا إماتة اللثام قليلاً عن هذه الشخصية الغامضة، التي استعصى علينا - رغم بحثنا الحثيث - معرفة اسمها، يجب علينا الرجوع إلى الوراء قليلاً. وقد نوَّه خير الدين في مذكَّراته أنَّ أخاه عروج عمل تحت إمرة القبطان العثماني كمال رئيس¹؛ وكان هذا الأخير قد قاد بأمر من السلطان بايزيد ما لا يقلَّ عن ستَّ حملات بحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط. وخلال حملته سنة 1506، قام كمال رئيس بمهاجمة مينائي أليكانط وألش الإسبانيين، ثمَّ انتقل إلى نقطة ساحلية جنوب إمارة غرناطة ال Bairada، حيث قام بنقل المئات من الأندلسيين على متن سفن عمارته إلى "برَّ الترك"²؛ ومن ضمنهم، كانت توجد فتاة - حسب ما ذكرته المصادر الأوروبيَّة - يعود أصلها إلى بلدة مَرْجانة أو مَرْنيانة (Marchena) الواقعة

¹ خير الدين ببروس، مذكَّرات خير الدين ببروس، ترجمة محمد دراج، الأصالة، الجزائر، 2010، ص. 177.

² Charles-André Julien, **Les Africains**, vol. 3, Éditions Jeune Afrique, Paris, 1977, p. 79; Tufan Turan, « Çatışmadan Ateşkese Osmanlı-İspanyol İlişkileri (1301-1581) », in : History Studies, vol. 4, n° 3, October 2012, p. 198 ; Qiyas Şükürov, « Endülüs istidanamesi ve Kemal Reis'in İspanya seferi », in : ISTEM, n° 14, 2009, p. 332.

نحو أربعين كيلومتراً إلى الشرق من مدينة إشبيلية^١. وفيما تذكر تلك المصادر أن الفتاة الأندلسية هي والدة ببروس، إلا أنها تخلط بين الأب خير الدين وابنه حسن، اللذان حملان نفس اللقب لأنف الذكر؛ وبما أن خير الدين أوضح في مذكراته أنه "عندما فتح السلطان محمد الفاتح جزيرة ميديلي أمر الأتراك بالاستيطان في الجزيرة. فكان أبي أحد المستوطنين الأوائل، و... تزوج إحدى بنات أهالي الجزيرة"^٢، أي أن أمّه كانت يونانية مدللية، ونكون بذلك قد أقمنا البينة بأن الأندلسية المرجانية هي والدة حسن بن خير الدين، الذي يكون ميلاده حوالي سنة 1508م، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن والده أسند له سفينة تجذيف كبيرة في أواخر العشرينيات أحسن قيادتها^٣. ولم تكن زوجة خير الدين امرأة عادية من العامة، فلقد

^١ Loys de Mayerne Turquet, *L'histoire générale d'Espagne*, Vol. II, Samuel Thiboust, Paris, 1635, p. 1295 ; M. Corneille, *Dictionnaire Universel Géographique et Historique*, T. II, Jean-Baptiste Coignard, Paris, 1708, p. 600.

انظر أيضًا :

- Edouard Lapène, *Tableau historique de l'Algérie*, Imprimerie de S. Lamort, Metz, 1845, p. 186 ; Rodrigo de Zayas, *Les Morisques et le racisme d'état*, Éditions de la Différence, Paris, 1992, p. 157.

^٢ ببروس، نفس المصدر السابق، ص. 21.

^٣ مجهول، *غزوات عرّوج وخير الدين*، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الشعالية والمكتبة الأدبية، الجزائر، 1934، ص ص. 75-76. انظر أيضًا :

- Sander Rang & Ferdinand Denis, *Fondation de la Régence d'Alger. Histoire des Barberousse, chronique arabe du XVI^e siècle*, T. 1, Éditions Bouslama, Tunis, 1984, pp. 257-260.

كانت "كريمة المحتد، ولها شرف الانتساب إلى أحد أحفاد الرسول ﷺ"^١؛ ولعل هذا ما يفسّر لقب "السيّدة" الذي عرفت به، فالسيّد كان يطلق تشيريغاً على الأشراف من نسل نبى الإسلام.

بالعودة إلى جامع السيّدة، يجدر بنا التنويه إلى السياق التاريخي الذي أحاط بناءه : ففي سنة 1522م، اضطرّ خير الدين إلى ترك عاصمة إيالته وأن ينسحب إلى جيجل، بعد أن اشتَدَّ أوار ثورة أحمد بن أحمد بلقاضي وتمرّد عليه أحد كبار قادته، قارة حسن الأنطالي ؛ وبعد ثلاث سنوات ونصف، سيعود البايلرياي بقوّة إلى مدينة الجزائر، ويعيد بسط سلطته مجدداً على ربوع الإيالة. وسيختتم تلك العشرية المضطربة سنة 1529م بفتح قلعة البنيون، التي شيدها الإسبان على الجزرات الواقعة قبالة الجزائر. ويتيح لنا هنا الاستطراد أن نحدّد فترة بناء الجامع بالفترة المتقدّة من سنة 1526 إلى 1530م، أي ما ينchez أربع سنوات، إذا افترضنا أنه بوشرت أعمال البناء بعُيُّد عودة عائلة البايلرياي إلى العاصمة^٢. أمّا فيما يخصّ وصف الجامع، فقد كانت مئذنته قائمة في زاويته الشرقية، وهي مئذنة مغربية أندلسية الطراز مربّعة القاعدة، قد زينت بحاشية من الزليج الملون بالأخضر والأصفر والأبيض. وكان بيت الصلاة سقفه من خشب الأرز، وتتوسّطه قبة مركبة مزخرفة بكتابات مذهبة ومؤطّرة ؛ وكانت هذه الأخيرة تحملها أعمدة بيضاء كبيرة نسبياً تعدادها عشرين عموداً. وفي إحدى الأروقة الجانبية، كانت توجد المقصورة المخصصة للدّاي ومقرّبه:

^١ Id., p. 257.

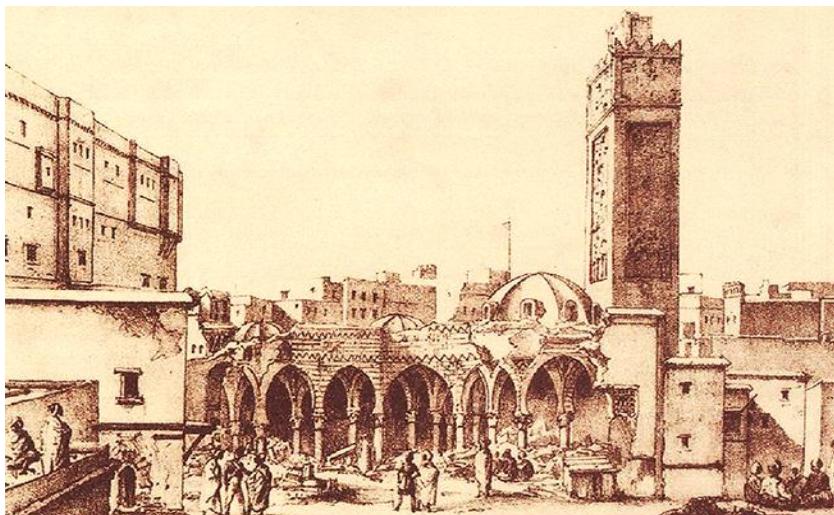
^٢ مجهول، نفس المصدر السابق، ص ص. 64-50 وما بعده. انظر أيضاً : محرز، أوجاق...، المرجع السابق، ص ص. 107-112.

وكان تعلو تلك الأروقة قبب صغيرة تزدان بزخارف راقية^١. وبقي هذا المسجد الجامع حتى سنة 1783م على هيئته الأولى تقريباً؛ لكن إبان الحملة الإسبانية بقيادة دون أنطونيو بارسيلو (don Antonio Barceló) على مدينة الجزائر تهدمت أجزاءً منه جراء القصف، فقام محمد عثمان باشا (1766-1791) بإعادة "بناء ذلك المسجد العتيق وجده أحسن تجديد، وكسمه (زنه) بأعراض (أعمدة) الرخام الأبيض وكسا حيطانه بالزليج، حتى لا يرى البياض بداخله إلا المنبر وأعراض الرخام"^٢. والجدير بالذكر أن المنبر الذي نقل إلى الجامع الجديد والأعمدة الرخامية الجميلة التي استخدمت في إنشاء رواق خارجي بالجانب الشمالي الغربي للجامع الكبير هي كل ما تبقى من ذاك الجامع الجميل، بعد أن باشر المحتلون الفرنسيون هدمه في أبريل 1831م^٣؛ فكان أول ما اندثر من المعالم الرئيسية للعاصمة.

^١ بن بلة خيرة، "خصائص ومضامين الكتابات التأسيسية بمساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني"، في: المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط، مج. 3، ع. 2، ديسمبر 2023، ص. 17؛ لطيفة بورابة، "جامع السيدة المتداشر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية وأثرية)", في: مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، مج. 30، ع. 3، 2016، ص. 527.

^٢ شريف الزهار، المصدر السابق، ص. 24.

^٣ انظر قصة هدم جامع السيدة في: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص. 279-280.



جامع السيدة عند بدء عمليات هدمه سنة 1831م، وتظهر من الجهة
اليسرى واجهة قصر الجنينة



أعمدة جامع السيدة الرخامية التي نقلت إلى الجامع الكبير



**المنبر الرخامي الأبيض، تحفة فنية في الجامع الجديد تشهد على جمال
جامع السيدة المنذر**

● الجامع الجديد من المعلوم أنّ الجامع الجديد تقرر بناؤه "بأمر عسکر البلد"، يعني أوجاق إنكشارية الجزائر، الصادر يوم 11 ذو القعدة 1066هـ الموافق لـ 31 أغسطس 1656م¹؛ وقد اعتبرت هذه المبادرة من قبل

¹ رصید البایلک، مرکز الأرشيف الوطني، بئر الخادم، السجل رقم 325، 423 ورقة.
انظر أيضًا :

- Zakia Zahra, D'Istanbul à Alger : la fondation de waqf des Subul al-Khayrât et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du

المؤرّخين الّذين تطّرقوا للموضوع إجراءً قلّ نظيره، كون إنشاء هذا المسجد الجامع الحنفي جاء بقرار جماعي من أعضاء ديوان الإنكشارية. بيد أنّ هناك بعض التساؤلات بخصوص هذا الجامع لفتت انتباها، ولعلّ أبرزها : لماذا تم إغفال الإشارة في اللوحة التأسيسية¹ إلى "الباشا"، حيث جرت العادة بالنسبة للمباني المدنية أو العسكرية على حِدّ سواء إدراج عبارة "في ولاية أو زمان فلان باشا" يتبعها أو يسبقها التنويه بالسلطان العثماني الحاكم²؟ وهذا ما حملنا على طرح تساؤل آخر يتعلّق بالدافع الذي حذّر بالإنكشارية إلى تقرير تأسيس مسجد جامع وإسناد بنائه في اليوم ذاته مؤسّسة سبل الخيرات.³

- السياق التاريخي : دخلت إيالة الجزائر خلال النصف الأول من القرن السادس عشر مرحلة ضعف ملحوظ انعكست سلباً على أوضاعها

XVIII^e siècle à la colonisation française), Doctorat en Histoire, spécialité Espaces, Cultures, Sociétés, Aix-Marseille Université, 2012, p. 67 ; Samia Chergui, « La "Nouvelle Mosquée" d'Alger. Le déroulement d'une procédure constructive au XVII^e siècle », in : Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée, N° 125, p. 235.

¹ Colin, op. cit., pp. 46-47.

تجدر الإشارة إلى أن اللوحة التأسيسية يعود تاريخها على الأرجح إلى سنة 1665م، أي في منتصف فترة الآغوات.

² Id., pp. 35-36 & 42-43.

³ سبل الخيرات هي مؤسّسة وقفية أنشأها الأتراك العثمانيون بالجزائر أواخر القرن السادس عشر، وكانت تعنى بإدارة المساجد الحنفية وصيانتها بفضل عوائد الأملك الموقوفة عليها :

- Zahra, op. cit., pp. 52-57.- 161.

السياسي، وأدّت إلى تقهقر تدريجي لقدراتها العسكرية والاقتصادية. وإنّ السنوات القليلة التي سبقت قرار بناء الجامع الجديد، أفضى التعاقب السريع لعدة "أحداث صعبة" - سنائي على ذكرها فيما يلي - إلى وقوع البلاد في أزمة حقيقية، أسميناها في دراسةٍ سابقةٍ لنا بـ"أزمة 1655-1659م"¹؛ ومن أهمّ تلك الأحداث :

(1) اجتياز أمير البيت العلوي مولاي محمد وادي ملوية لجتياح الغرب الجزائري في حملة سلب ونهب امتدّت من أحواز تلمسان إلى الأغواط وعين ماضي (1653-1654)؛ وانجرّ عن هذه الحملة فقدان الجزائر لمنطقة وجدة الحدوذية، بحيث أصبح وادي التافنة متذئّنٌ هو الحدّ الفاصل بين البلدين.²

(2) وباء قونية (1654-1657)، الذي عمّ أنحاء الإيالة، ومن شدّة فتكه تذكر المصادر المسيحية أنه حصد أرواح ثلث سكان مدينة الجزائر لوحدها؛ وترتبّ عنه، علاوة على العدد الكبير من الضحايا، تراجع حادّ في الأنشطة الاقتصادية.³

¹ أمين محرز، *الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)*، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص ص. 76-67.

² نفسه، ص ص. 70-68.

³ Jean Marchika, *La peste en Afrique septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830*, Jules Carbonel, Alger, 1927, pp. 49-50.

انظر أيضًا : محرز، المرجع السابق، ص ص. 70-71.

(3) الخسائر التي تكبدها الأسطول الجزائري في حرب كريت الطويلة (1645-1669) أو من جراء القرصنة المضادة الأوروبية : ففي خريف سنة 1655م، تمكّن الأмирال الهولندي الشهير دي رويتير (de Ruyter) من تحييد اثني عشر سفينة جزائرية، حيث استولى على بعضها واضطرب البقية على الجنوح إلى الساحل المغربي¹؛ وفي الطرف الآخر من البحر المتوسط، كان الجزائريون قبل أشهر قد خسروا سبعة سفن في معارك بحرية جمعتهم مع البنادقة.²

(4) بعد فشل حصار الجزائريين لوهaran في غضون سنة 1655م، كثّف الإسبان من حملات الإغارة داخل أراضي الإيالة القريبة من مواقعهم ؛ وفي إحدى خرجاتهم، يوم 25 جوان 1656م، باغتوا محلّة صغيرة تحمل أموال الضرائب والهدايا المرسلة من قبل قايد تلمسان، فغنموا كلّ ما احتوته كما أسرموا ستة وأربعين إنكشارياً.³

لقد كانت محصلة كلّ تلك الخسائر حدوث أزمة مالية ترتب عنها عجز الباشوات وقتئـٰ عن دفع مخصصات الإنكشارية من علوفات (رواتب)

¹ Gerard van Krieken, **Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et les Pays-Bas, 1604-1830**, Éditions Bouchène, Paris, 2002, pp. 52-55.

² Ernest Mercier, **Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, T. 3, Ernest Leroux, Paris, 1891, p. 248.

³ C.X. de Sandoval, « **Les inscriptions d'Oran et de Mers-El-Kebir. Notice historique sur ces deux places depuis la conquête jusqu'à leur abandon en 1792** », trad. par Dr. Monnereau, in : Revue Africaine, N° 15, 1871, p. 445.

ومؤن ؛ ولم يبق ديوان الإنكشارية مكتوف اليد إزاء ذاك الوضع المتردي، إذ كانت هيئة من ستين من أقدم البلوكاباشية - وهم ضباط سامون كانت تسند إليهم قيادة مفارز الإنكشارية في الحالات والحاميات عادةً - مكلفة بمراقبة أعمال حكومة البasha¹؛ وإذا ثبت لهذه الهيئة - التي عرفت بديوان البلوكاباشية - تقصيره في مهامه، فإنها ترفع تقريراً لديوان الإنكشارية؛ ويكون مصير البasha المقصّر حتماً السجن : وهذا ما حدث بالفعل للحاج أحمد باشا الذي انتهى به المطاف في السجن في 8 فبراير 1656م، بعد قربة سبعة أشهر من الحكم ؛ ولم يكن خلفه إبراهيم باشا البشناقي بأحسن حظاً، حيث سجن هو الآخر في 18 مايو من نفس السنة، وتولى مكانه أحمد باشا الذي أخرج من الحبس.²

كان ارتقاء ديوان البلوكاباشية في هذه الآونة من المتوقع أن يؤدي بدوره إلى تصاعد نفوذ رئيسه، البаш بلوكاباشي ؛ غير أنّ قصر مدة شغله للمنصب، التي لم تكن بأيّ حالٍ من الأحوال تتعدّى الشهرين³، قطعت عليه الطريق إلى هرم السلطة. بالمقابل، لا نرتاب في أنّ الصدارة آلت لأحد أعضاء الديوان المذكور المتنفذين، الذي أصبحت له الكلمة العليا. وقد حفظ لنا التاريخ اسمي شخصيتين لا ثالث لهما، وهما : عبد الله بلبكباشي (1654-1655م)، "أول من انفرد بالملك والرياسة في الجزائر...، ثم تبعه

¹ محرز، أوجاق.... المرجع السابق، ج. 2، ص. 77-78. انظر أيضاً : حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 121.

² ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقبيادات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكم، العلمة، 2009، ص ص. 53-54.

³ محرز، نفس المرجع السابق، ص. 78.

في ذلك كال محمود بلک باشی^١ (1655-1656م) ؛ وما يهمنا هنا هو الشخصية الثانية، كال محمود بلک باشی، والذي رغم أننا نجهل عنه كل شيء عنه، إلا أن أهميته تكمن في كون "عهده" شملت التاريخ الذي قرر فيه ديوان الإنكشارية بناء الجامع الجديد.



مقطع من مخطوط تاريخ أمراء الجزائر^٢

ومع أننا لن نتجرأ على اعتبار كال محمود "مؤسس" - أو بتعبير آخر الأمر بتشييد - المسجد المذكور في غياب أي دليل تاريخي، إلا أنه بوسعنا افتراض ال باعث على مشروع البناء : في إiyالة تونس، قام الباي المرادي حمودة باشا (1631-1666م) ببناء جامع غاية في الجمال في جوار جامع الزيتونة بالعاصمة التونسية ؛ وهذا الجامع الحنفي الذي حمل اسمه استغرقت

^١ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمى "السان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال"، تحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص. 225.

الجدير بالتنويه أن عضوية ديوان البلوكباشية لم تكن تتعدى السنتين، فباتهاء تلك المدة، كان البلوكباشی يترقى إلى رتبة اليبياباشی، الذي كانت له مهام استشارية بالأساس ضمن أوجاق الإنكشارية. انظر في هذا الصدد : محرز، نفس المرجع السابق، ص ص. 78-82.

^٢ مجهول، تاريخ أمراء الجزائر(كذا)، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1639-2، الجزائر، 1745م، و. 50°.

الأعمال فيه أقل من سنتين (1654-1655م)¹. والراجح أن "أتراك الجزائر" ساءتهم حالة الضعف التي آلت إليها الإيالة، وحملوا مسؤوليتها للباسوات الفاسدين الذين تعاقبوا على حكم الجزائر منذ عقود، وهذا ما يفسّر غياب أي تنويه عن البasha آوانئِ؛ وما يحملنا على الاعتقاد بأن "أتراك الجزائر" تأسّوا بحمودة باشا في بناء الجامع ثلاث مؤشرات : أولها أن الجامع التونسي اكتمل ودشّن في رمضان 1066هـ، أي سنة وشهرين قبل أن يقرر بناء نظيره بالجزائر - ثانٍها هو تماثل موقعهما، حيث أن المسافة الفاصلة بين جامع حمودة وجامع الزيتونة، المسجد الرئيسي لمدينة تونس، هي نفس المسافة التي تفصل بين الجامع الجديد والجامع الكبير، المسجد المالكي الرئيسي لمدينة الجزائر، خمسة وستين متراً بالضبط ؛ وذات التطابق لاحظناه بالنسبة للمسافة الفاصلة بين جامع حمودة باشا ودار الباي من جهة، والجامع الجديد ودار الإمارة من جهة أخرى، حيث كانت حوالي ستة وسبعين متراً - ثالثها أن كلا الجامعين يقعان في منطقة تجارية تكثر فيها الأسواق بالمركز التاريخي للمدينتين - وآخرها أنهما بُنيا، تبعًا لمشيئة مؤسِّسهما، وفق طراز معماري عثماني مميّز تُلمح فيه بعض التأثيرات الفنية المحلية، كما يتّضح في الصور الملحقة أدناه.

¹ Justin McGuinness, **The development of conservation management for a pre-industrial North African city: the case of the medina of Tunis**, Thesis for the degree of M.A., Faculty of Social Sciences, Durham University, 1992, p. 36.



مئذنة جامع حمّودة
باشا المرادي المثمنة



القبة المركزية البيضاء
الشكل للجامع الجديد



الأروقة الخارجية لجامع
حمّودة باشا



العقود الضخمة التي تحمل القبة
القبة المركزية للجامع الجدي

وتجدر الإشارة إلى أنّ الجامع اختير له موضع المدرسة العنانية أو مدرسة المولى أبو عنان، التي شيدت أواسط القرن الرابع عشر عندما كان المغرب الأوسط تحت الحكم المريني؛ وشرعت الأعمال فيه قرابة الشهرين بعد قرار البناء، يوم 22 محرّم 1067هـ الموافق لـ 10 نوفمبر 1656م، بهدم المدرسة المذكورة^١. وقد تمت توسيعة المساحة المخصصة للبناء بإضافة رقعتين مبنيتين علیهما حمام قديم وقبو (زنданة)، اللذان كانوا يقعان على مقربة من باب البحر^٢. وبوشرت أعمال البناء الفعلية المتمثلة في تسوية أساسات الجامع بتاريخ نهاية صفر 1067هـ الموافق لـ 25 ديسمبر 1656م^٣؛ ولم يتم الانتهاء من الأشغال بوضع آخر اللمسات فيه، إلاّ قبيل حلول شهر رمضان 1076هـ الموافق لـ 7 مارس 1666م^٤، أي خلال عهد الحاج علي آغا (1664-1671م)؛ وهذا يعني أنّ بناء الجامع الجديد، الذي يعدّ أفضل نموذج معماري للجوامع الحنفية العثمانية في الإيالات المغاربية^٥، استغرق ما يقرب من العشر سنوات. ونميل إلى الاعتقاد بأنّ تسمية هذا الجامع لم تأتِ بشكلٍ عرضي، إذ رجّحنا كونها عبارة عن اقتباس لاسم الجامع الذي بنته بإسطنبول السلطانة والدة خديجة

^١ Zahra, Op. cit., pp. 58-59.

^٢ Chergui, « La "Nouvelle Mosquée" ... », Op. cit., p. 236.

^٣ Id., p. 241.

^٤ Id., p. 238.

^٥ عبد العزيز الفضالي، "الجوامع الحنفية في شمال إفريقيا بين الأصالة المحلية والتأثيرات العثمانية. دراسة في التخطيط والعمارة"، في : المجلة العلمية بكلية الآداب، ع. 48، 2022، ص. 14.

طورخان بين سنتي 1661 و1663م، وتم تدشينه رسمياً في سنة 1665م، حيث حمل اسم "يڭى جامع"، الذي يعني بالعثمانية "الجامع الجديد".¹

الخاتمة :

من خلال دراستنا للمساجد الجامعة الثلاث الأبرز التي عرفتها مدينة الجزائر، يمكننا القول بأنّه أتّضحت لنا فقط بعض الشذرات عن الظروف والشخصيات التاريخية، التي أسهمت في تأسيس تلك المعالم الدينية. ولاعتبارنا أنّ محاولتنا التأريخية قاصرة - في ظلّ الندرة النسبية للمعطيات التاريخية - عن الإحاطة بمجمل جوانب البحث وجزئياته، فإنّ اكتشاف مخطوطات ووثائق أرشيفية جديدة غير مدرورة، علاوةً على القيام بحفريات وعمليات مسح متقدّمة - ولا سيّما فيما يخصّ آثار جامع السيّدة المكتشفة حديثاً في ساحة الشهداء -، تبقى وحدها الكفيلة بتنويرنا من خلال سدّ الثغرات وتأكيد أو دحض الافتراضات التي سُقناها في ثنايا هذه الدراسة.

¹ John Freely, **A history of Ottoman Architecture**, WITpress, Southampton, 2011, pp. 334-339.

البليوغرافيا:

1- باللغة العربية :

- بن أبي زرع الفاسي، علي. **الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتأريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقه، الرباط، 1972.
- ابن المفقي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات ابن المفقي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمه، العلمه، 2009.
- ببروس، خير الدين. **مذکرات خير الدين ببروس**. ترجمة محمد دراج. الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- البكري، أبو عبيد. **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- بلقاضي، بدر الدين و بن حمّوش، مصطفى. **تاريخ و عمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط أليبر ديفولكس**، موقف للنشر، الجزائر، 2007.
- بن حمّوش، مصطفى. **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية**، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- بن بلة، خيرة، "مساجد مدينة الجزائر بين مصادر الأوروبيين والدراسات الميدانية"، في: مجلة آثار، مج. 1، ع. 12، 2015، ص. 13-23.
- بن بلة، خيرة، "خصائص ومضامين الكتابات التأسيسية بمساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني"، في: **المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط**، مج. 3، ع. 2، ديسمبر 2023، ص. 36-7.
- بورابة، لطيفة. "جامع السيدة المنذر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية وأثرية)", في: **مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية**، مج. 30، ع. 3، 2016، ص. 515-543.
- بوزرينة، سعيد. "المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني" ، في : **مجلة منبر التراث الأثري**، ع. 2، 2013، ص. 9-30.
- بوزرينة، سعيد. "الجامع الجديد بمدينة الجزائر... تحفة معمارية عثمانية" ، في : **مجلة الإنسان وال المجال**، ع. 1، أفريل 2015، ص. 143-154.

- بوزيد، صليحة. "مظاهر التعايش المذهبي بين المالكية والحنفية من خلال وثائق المحاكم الشرعية في الفترة العثمانية في مدينة الجزائر"، في : مجلة دراسات تاريخية، مج. 9، ع. 1، 2024، ص ص. 108-127.
- بومداح، مرزاق. "العلاقات الحمامية الم الرابطية (539-1053هـ/1144-1053م)", في : الباحث، مج. 12، ع. 1، يناير 2020، ص ص. 156-171.
- تملبكيشت، مليكة. "شمعدان جامع الجديد بمدينة الجزائر. دراسة وصفية فنية تحليلية" في : مجلة آثار، مج. 14، ع. 2، ديسمبر 2016، ص ص. 274-281.
- الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد. تاريخ الجزائر العام، ط. 2، ج. 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
- حميده، عبد الرحمن. أعلام الجغرافيين العرب ومقطوفات من آثارهم، ط. 3، دار الفكر، دمشق، 1995.
- بن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبرير ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفالئرس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج. 6، دار الفكر، بيروت، 2000.
- خليل، وهيبة. "المساجد المندثرة بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية وبعض شواهدتها المتبقية"، في: مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج. 6، ع. 2، 2022، ص ص. 651-670.
- رصيد المحاكم الشرعية، مركز الأرشيف الوطني، بئر الخادم، العلبة 194، الوثيقة رقم 67.
- زيانى، الصادق. "نصوص جغرافية وتاريخية من كتاب 'المسالك والممالك' المفقود لمحمد بن يوسف الوراق (ت. 363هـ/974م) مجموعة من كتابي 'المغرب' للبكري و'البيان' لابن عذاري المراكشي"، في: المجلة التاريخية الجزائرية، مج. 7، ع. 2، 2023، ص ص. 159-178.
- سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي، ط. 1، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- شريف الزهّار، أحمد. مذكرات الحاج أحمد شريف الزهّار، نقيب أشراف الجزائر، نشر وتعليق أحمد توفيق المدنى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

- عبد القادر، نور الدين. *صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي*، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
- بن عثمان خوجة، حمدان. *المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري*، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- عويس، عبد الحليم. *دولة بني حماد. صفحة رائعة من التاريخ الجزائري*، ط. 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
- الفضالي، عبد العزيز. "الجوابع الحنفية في شمال إفريقيا بين الأصالة المحلية والتأثيرات العثمانية. دراسة في التخطيط والعمارة". في : *المجلة العلمية بكلية الآداب*، ع: 48، 2022، ص ص. 1-34.
- فويال، سعاد. *المساجد الأثرية لمدينة الجزائر*، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
- كاثكارت، جيمس لياندر. *مذكرات أسير الدياي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب*. ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- لنوار، صبرينة. "مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (القرنين 17-18)". في : *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/جامعة بابل*، ع. 34، أغسطس 2017، ص ص. 119-126.
- مالتسان، هاينريش فون. *ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا*. ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ج. 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008.
- مجہول، غزوات عروج وخیر الدین، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الشعالية والمکتبة الأدبية، الجزائر، 1934.
- مجہول، *تاريخ أمراء الجزائر*، مخطوط المکتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1639-2، الجزائر، 1745م.
- محرز، أمين. *الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)*. البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- محرز، أمين. *أوجاق جزائر الغرب (1519-1830م)*. مقاربة جديدة لدوره التاريخي وتنظيمه العسكري، ج. 1، كوكب العلوم، الجزائر، 2022.
- معروف، بلحاج. "التواصل الفني بين تركيا والجزائر في العصر الحديث. المساجد ذات القبة المركزية بالجزائر دراسة حالة". في : *مجلة منبر التراث الأثري*، مج. 8، ع. 1، 2019، ص ص. 163-184.

- منصوري، محمد. "العمارة الدينية المغربية : مسجدي مدیني الجزائر وندرومة"، في : حوليات التاريخ والجغرافيا، مج. 5، ع. 9، ديسمبر 2015، ص ص. 173-192.
- موسم، عبد الحفيظ. "التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني" ، في : مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج. 10، ع. 1، جوان 2019، ص ص. 114-159.
- موشموش، محمد. "أثر عمارة مسجد قرطبة على عمارة المساجد المغربية بالغرب الأوسط القرنين الخامس والسادس للهجرة" ، في : مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 3، ع. 1، جوان 2019، ص ص. 270-291.
- موشموش، محمد. "الكتابة التذكارية لمئذني مسجدي مدیني الجزائر وندرومة" ، في : مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 6، ع. 2، أكتوبر 2022، ص ص. 726-739.
- موقاري، فطوم و شنتوح، ليلىا. "الموروث العمراني المغربي بالجزائري" ، في : مجلة التعمير والبناء، مج. 3، ع. 2، جوان 2019، ص ص. 1-28.
- الميللي، مبارك بن محمد. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميللي، ج. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.
- الناصري، أحمد بن خالد. كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر بن أحمد الناصري ومحمد الناصري، ج. 1، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954.
- الوزان الفاسي، الحسن بن محمد. وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط. 2، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- يوسف، أمير. "الوقف والإدارة الحضرية بمدينة الجزائر خلال القرن 18م (المساجد أنموذجا)" ، في : مجلة قضايا تاريخية، ع. 9، جوان 2018، ص ص. 121-130.
- 2- باللغة الأجنبية :
- Bargès, Abbé J. L. « *Inscription arabe de la mosquée maléki à Alger* », in : Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies, T. 5, 1857, pp. 263-270.
 - Braun, Georg & Hogenberg, Frans. *De praecipuis, Totius universi urbibus, liber secundus*, Gottfried von Kempen, Cologne, 1575.

- Chergui, Samia. « **Al-Djama' al-A'dham ou le processus conservatoire d'un patrimoine religieux islamique** », in : Vies des villes, n° 5, mai 2006, pp. 75-79.
- Samia Chergui, « **La "Nouvelle Mosquée" d'Alger. Le déroulement d'une procédure constructive au XVII^e siècle** », in : Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée, N° 125, pp. 233-251.
- Colin, Gabriel. **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie**. I. – Département d'Alger, Ernest Leroux, Paris, 1901.
- Corneille, M. **Dictionnaire Universel Géographique et Historique**, T. II, Jean-Baptiste Coignard, Paris, 1708.
- Cresti, Federico. « **Description et iconographie de la ville d'Alger au XVI^e siècle** », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 34, 1982, pp. 8-21.
- Devoulx, Albert. **Les édifices religieux de l'ancien Alger** (Extrait de la Revue Africaine), Typographie Bastide, Alger, 1870.
- Devoulx, Albert. **El Djazaïr. Histoire d'une cité d'Icosium à Alger**, éd. par Bedredine Belkadi et Mustapha Benhamouche, ENAG Éditions, Alger, 2003.
- Esquer, Gabriel. **Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI^e siècle jusqu'à 1871**, vol. 1, Librairie Plon, Paris, 1929.
- Freely, John. **A history of Ottoman Architecture**, WITpress, Southampton, 2011.
- de Haedo, Fray Diego. **Topographia e Historia general de Argel**, Diego Fernandez de Cordova y Oniedo, Valladolid, 1612.
- Ibn Idhârî al-murrâkuchi. **Histoire de l'Afrique du Nord et de l'Espagne musulmane intitulée Kitâb Al-bayân al-mughrib fî akhbâr al-Andalus wa al-Maghrib**, publ. par G. S. Colin & É. Levi-Provençal, T. I, 3^e éd., Dar Assakafa, Beyrouth, 1983.

- Ihadaddène, Nadja. « **Aperçu historique et urbanistique de la ville de Djazaïr bani Mazghanna** », in : Revue d'études archéologiques, vol. 9, N° 1, décembre 2011, pp. 4-63.
- Julien, Charles-André. **Les Africains**, vol. 3, Éditions Jeune Afrique, Paris, 1977.
- van Krieken, Gerard. **Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et les Pays-Bas, 1604-1830**, Éditions Bouchène, Paris, 2002.
- Lapène, Edouard. **Tableau historique de l'Algérie**, Imprimerie de S. Lamort, Metz, 1845.
- Marçais, Georges. **L'architecture musulmane d'Occident : Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile**. Arts et métiers graphiques, Paris, 1954.
- Marchika, Jean. **La peste en Afrique septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830**, Jules Carbonel, Alger, 1927.
- de Mayerne Turquet, Loys. **L'histoire générale d'Espagne**, Vol. II, Samuel Thiboust, Paris, 1635.
- McGuinness, Justin. **The development of conservation management for a pre-industrial North African city: the case of the medina of Tunis**, Thesis for the degree of M.A., Faculty of Social Sciences, Durham University, 1992.
- Missoum, Sakina. **Alger à l'époque ottomane. La médina et la maison traditionnelle**, INAS, Alger, 2003.
- Mercier, Ernest. **Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, T. 3, Ernest Leroux, Paris, 1891.
- Rang, Sander & Denis, Ferdinand. **Fondation de la Régence d'Alger. Histoire des Barberousse, chronique arabe du XVI^e siècle**, T. 1, Éditions Bouslama, Tunis, 1984.
- Raymond, André. « **Le centre d'Alger en 1830** », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 31, 1981, pp. 82-84.

- de Sandoval, C.X. « **Les inscriptions d'Oran et de Mers-El-Kebir. Notice historique sur ces deux places depuis la conquête jusqu'à leur abandon en 1792** », trad. par Dr. Monnereau, in : Revue Africaine, N° 15, 1871, pp. 434-446.
- Şükürov, Qiyas. « **Endülüs istidanamesi ve Kemal Reis'in İspanya seferi** », in : ISTEM, n° 14, 2009, pp. 332-332.
- Turan, Tufan. « **Çatışmadan Ateşkese Osmanlı-İspanyol İlişkileri (1301-1581)** », in : History Studies, vol. 4, n° 3, October 2012, pp. 198-198.
- Zakia Zahra, D'Istanbul à Alger : la fondation de waqf des Subul al-Khayrât et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII^e siècle à la colonisation française), Doctorat en Histoire, spécialité Espaces, Cultures, Sociétés, Aix-Marseille Université, 2012.
- de Zayas, Rodrigo. **Les Morisques et le racismes d'état**, Éditions de la Différence, Paris, 1992.

الهيكلة العمرانية والمعمارية للقصور الصحراوية بالجزائر، حالة

قصر بوسادة

أ.د خلف الله بوجمعه

د.برغيوة فاطمة الزهراء

جامعة المسيلة

جامعة تيارت

مقدمة

مارس الإنسان نشاط البناء والتعمير منذ القدم ليقوم بتصنيع منتجات عمرانية تشكل له ذلك الملجأ الذي يحميه ويقيه من الفضاء الخارجي بكل ما يحويه بظروف قاسية ومتقلبة وانعدام في الأمن وغياب في الخصوصية، ولقد خضع نمط التركيب العماني للبيئة التي شيدتها الإنسان إلى كثير من التوابت والمتغيرات حيث يمثل النسيج العماني لأي اجتماع بشري الكيان العماني الناشئ من الحوار بين الشكل والخصائص الطبيعية فوق الموضع المختار ثم التفاعل الاجتماعي الثقافي فوق هذا الموضع مع المؤثرات المناخية ليعطي مصهوراً للبيئة المبنية يحتل فيها المنتج الاجتماعي الإنساني مرتبة الريادة. ويعكس العمران والعمارة التقليدية تشكيلًا ماديًا ووظيفياً يؤدي أغراضًا إنسانية ومتطلبات حياتية من خلال وسائل زمانية ومكانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة الجماعة وتتخضع للمؤثرات الاجتماعية والعوامل الطبيعية والمناخ، وبتحليل هذه المؤثرات يتضح التباين بينها، ويجعل كل منها تتميز بطبيعة خاصة. فبعضها يشغل مساحات مستوية وبعضها الآخر يتموضع فوق الهضاب والمرتفعات كما يختلفان من حيث نوع الغطاء

النباتي وكثافته وكذا نمط التشكيل والتصميم ومواد البناء المعتمدة. وسنحاول القيام بدراسة تحليلية لخصائص العمran التقليدي في بيئتين مختلفتين تماما من حيث الطبيعة والمناخ ألا وهما البيئة الصحراوية والبيئة الجبلية، فعند الحديث عن الصحراء أو الجبل أول ما يتadar إلى الذهن هو قساوة الطبيعة واستحالة الحياة فيها إلا أن الإنسان القديم آنذاك طوع هذه العوائق لصالحه ومارس إبداعه في تصنيع بيئته من خلال ما تحويه هذه الأخيرة من إمكانات وما تختزنه من مصادر طاقة ومواد أولية فأنتج عمارة صديقة للبيئة لا تزال ليومنا هذا مصدر الهام للمختصين في مجال التخطيط العمراني والتصميم المعماري، ولكن السؤال هنا هو كيف تم ذلك؟

1. **مميزات العمان التقليدي في المناطق الصحراوية (القصور)** تقع القصور بصحراء الجزائر. وهي تمثل صور الإبداع الهندسي الذي ميز جنوب شمال إفريقيا. وقد اختلفت مفاهيمها وتنوعت في المصادر التاريخية. فمفهوم كلمة القصر لا يعني الوحدة السكنية المتصلة بالملك فقط وحرمه (محمد الطيب، 2010)، وإنما هو مكان لاجتماع بشري متجانس ومترابط نسلاً وعرفاً وعقيدة في موضع به متطلبات الحياة، ويكون نطقه بسكنى القاف وفتح وتفخيم الصاد. ومثلما هو الحال في بعض مدن شمال الجزائر التي تسنى بأسماء أولياءها الصالحين كسيدي بلعباس، فان سكان الصحراء أيضاً يسمون مدنهم بالقصر وينسبونه إما إلى ولی صالح كان له الفضل في تأسيسه كقصر سیدي عمران او الى اتجاهات معينة كالقصر

القبلي أو قبيلة معينة أو إلى صفة دالة على موقعه أو نسبة إلى لون مادة البناء كالقصر الأحمر والقصر الأبيض.

1. التركيب العماني للقصر: من الناحية المعرفولوجية اختلفت الدراسات في تنميـط القصور الجزائرية ولكنـها على الأغلـب تأخذ شـكـلـين: دائـري بـبرـيـة محـض قـديـم النـشـأـة وـشـكـل مـرـبـع جاء كـنتـيـجـة لـتمـازـج الـخـبـرـات الـبـرـيـة والـعـرـبـيـة، وأـمـا مـن نـاحـيـة المـوـضـع فـقـد كـانـت الـقـصـور تـمـتد عـلـى طـول مـسـلـك مرـور الـقـوـافـل ليـتـم تـزوـيدـها بـمـا تـحـتـاجـه مـن مـنـتجـات (يمـيـنة، 2011). وـاتـصـفـت تـكـوـيـنـات الـقـصـر العـمـارـيـة بـأـبعـاد حـضـرـيـة - تـقـيـدـهـا السـاـكـنـ الـمـحـلـي - نـابـعـة مـن الدـيـن إـسـلـامـيـ الحـنـيفـ وـتـعـالـيمـه السـمـحةـ، فـقـد تـمـيزـ تـرـكـيـبـه العـمـارـيـ بـكـتلـ مـتـضـامـة وـمـتـراـصـة مـحـاطـة بـأـسـوارـ مـحـصـنـة بـأـبـرـاجـ مـعـزـزـة بـشـرـفـاتـ وـتـتـخلـلـهـا أـبـوـابـ مـحـكـومـة بـضـوابـطـ الدـخـولـ وـالـخـروـجـ لـمـراـقبـةـ حـرـكـةـ الـمـارـةـ، أـحـيـاناـ يـحـيـطـ بـالـسـوـرـ خـنـدقـ، وـقـدـ يـعـوـضـ السـوـرـ بـجـدـرـانـ الـبـيـوـتـ الـخـارـجـيـةـ كـتـجـمـونـتـ بـالـأـغـواـطـ، أـوـ مـحـصـنـةـ طـبـيـعـيـاـ بـجـبـالـ كـقـصـرـ الـقـنـادـسـةـ بـبـشـارـ. وـأـمـا بـالـنـسـبـةـ لـلـشـوـاعـ فـقـامـتـ عـلـى مـقـاسـاتـ تـنـوـعـتـ بـتـنـوـعـ حـجمـ حـرـكـةـ الـمـارـةـ وـالـوـظـائـفـ الـيـوـمـيـةـ الـمـارـسـةـ، إـذـ تـتـسـعـ أـحـيـاناـ وـتـمـتدـ وـتـضـيقـ وـتـقـصـرـ تـارـةـ أـخـرىـ، وـتـرـاـوـحـتـ بـيـنـ الـاستـقـامـةـ أـحـيـاناـ وـالـانـكـسـارـاتـ الـمـقـصـودـةـ لـلـتـحـكـمـ فـيـ الـمـؤـثـراتـ الـطـبـيـعـيـةـ وـكـبـحـهاـ فـيـ الـظـرـوفـ الـحـاسـمةـ،ـ كـتـقـلـيلـ مـنـسـوبـ الـمـيـاهـ فـيـ الشـتـاءـ وـالـحدـ مـنـ الزـوـافـ الرـمـلـيـةـ،ـ وـأـيـضاـ نـسـبةـ مـنـ الـرـطـوبـةـ بـكـسـرـ وـهـجـ الشـمـسـ الـحـارـقـةـ.ـ وـأـمـا بـالـنـسـبـةـ لـلـبـنـيـاتـ فـهـيـ تـتـمـوـضـ عـلـىـ حـافـيـ الدـرـوـبـ وـتـتـكـونـ فـيـ الـغالـبـ مـنـ طـابـقـ اـرـضـيـ وـأـحـيـاناـ تـتـوـاجـدـ غـرـفـةـ فـيـ الطـابـقـ الـأـوـلـ تـسـتـعـمـلـ لـأـغـرـاضـ خـاصـةـ،ـ تـرـتـسـمـ تـلـكـ

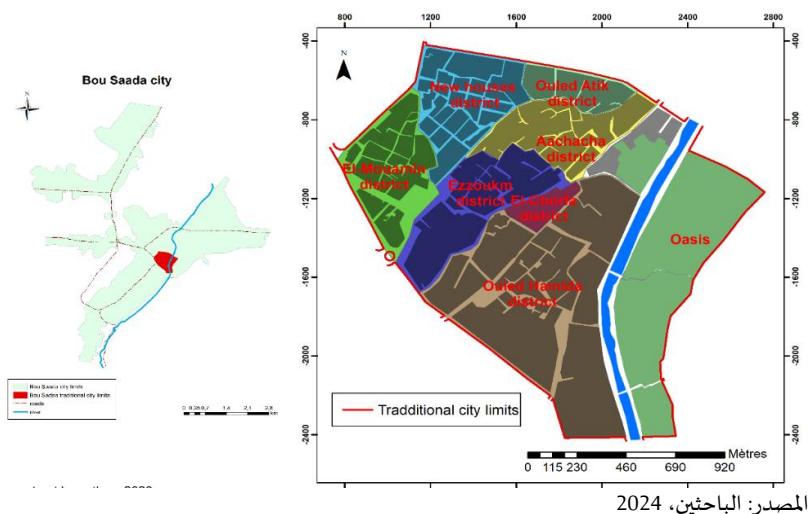
البنيات بواجهات صماء فقد كان التصميم آنذاك قائم على مبدأ تنظيم الفراغ ما جعل المجال السكني ينفتح نحو الداخل. وقد أخذت جدران الواجهات لون الطين والطوب الذي يعتبر مادة البناء الأساسية تستخرج من تربة المكان ويتم تصنيعها يدويا (صورية م.، ب.س)، وهذا ما جعل المتأمل في المظهر العام للقصر الذي يتميز بالبساطة، التلقائية، الخصوصية، يحس بالانسجام والتواافق بين لون البناء ولون الطبيعة المحيطة أي منها واليها "وعليه قد تختلف التسميات ولكن الداخل إلى قصر توات كالداخل إلى قصر واد رغ، قصور أولف، قصر امدوكل... وغيرها من القصور" (يمينة، 2011).

2. المدينة التقليدية ببوسعداء كنموذج للعمaran الصحراوي

يمتد اقليم مدينة بوسعداء على المنطقة الرابطة بين الخيمة الحمراء لولاد نايل والخيمة السوداء للحضنة (Zahi, 2013) وتصنف المدينة من ضمن المدن الصحراوية التي نمت وتطورت بطريقة ذاتية تدخلت فيها ظروف جغرافية واخرى تجارية (عبد الحق م.، 2011). كانت المدينة التقليدية ببوسعداء ماهولة من طرف قبيلة البدارنة المقيمين بالقرب من الوادي (محمد ب، 2014) وبعد مجيء الوليين سيدي ثامر وسيدي سليمان وتفرع عائلاتهم تأسست هذه الاخرية وتطورت الى منطقة حضارية لتشكل المركز التاريخي للمدينة الحالية. وتقع المدينة التقليدية في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة بوسعداء، تقدر مساحتها ب 71.55 هكتار يحدها من الشمال الطريق الوطني رقم 60 المتوجه نحو بسكرة وهي 20 اوت، من الجنوب وادي بوسعداء وهي البلاطو، من الشرق وادي بوسعداء، ومن

الغرب حي 19 جوان الطريق الوطني رقم 08. وت تكون المدينة التقليدية من 07 حارات تتشابه من حيث الخصائص والمميزات العمرانية والمعمارية والتركيبة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية ولا يوجد دليل زمني يبين تاريخ تاسيس كل منها ولكن المؤكد انها جاءت على فترات زمنية متلاحقة ومتقاربة حيث تمثل حارة اولاد عتيق مكان اقامة اولاد عتيق احفاد سيدى ثامر اما حارة العشايشة فهي مقر اقامة طلبة العلم والقران وحارة اولاد حميدة احفاد عتيق الذين سكنوا موضع الرملالية، حارة الرقمن تضم مجموعة من العائلات والطوائف التي تناسبت وتصاهرت فيما بينها ، حارة الشرفة وحارة المومين تقطنها قبائل عربية تعود لبني هلال انصاف الهم بعض عائلات سيدى سليمان وقد فقد هذا الحي جزءه الغربي نتيجة الزلزال الذي ضرب بوسعداء عام 1817م (محمد بـ، 2014) ليتم اعادة بنائه بطريقة مغایرة لمبادئ الحارات المتاخمة له وسمى بعي الديار الجدد.

الشكل رقم (1): موقع المدينة التقليدية بالنسبة لمدينة بوسعداء



المصدر: الباحثين، 2024

1.3 الخصائص العمرانية والمعمارية للمدينة التقليدية ببوسعدة: تنتهي

المدينة الى اقليم صحراوي حتم على الراغب في الاستقرار به الى اتباع اشتراطات وتنظيمات لتطويع البيئة الصحراوية القاسية لخدمة حاجياته وقد مثل هذا النمط من التعمير اصدق تعبير عن الاحترام اللامتناهي بين الانسان القديم وببيئته المحلية التي دعمها وكون منها علاقة تبادلية بين احتياجاته ومظاهرها "ما خلق تناسب في مساحة المدينة التقليدية والكثافة السكانية فجاءت هذه الاخيرة محدودة الحجم والسكان وسمحت بالتحكم في الموارد وتنظيم الخدمات" (بوجمعه، 2008).

1.1.3 النسق العضوي والتكميل الوظيفي: تمثل المدينة التقليدية

ببوسعدة أحد نماذج المدينة العربية الاسلامية التقليدية فمظهرها المرفوليجي يعكس مفهوم الاحتواية الذي يربط ببراعة الهيئة الاجتماعية والاجزاء العمرانية والمعمارية الحاوية لها في نسق عضوي موحد متكامل ومتوازن جعل المدينة كيانا واحدا يتميز بالشمولية والتخصيص في ان واحد حيث ان كل عضوه مميزاته ويمارس مهامه بالتنسيق مع بقية الاعضاء لتحقيق الخدمة العامة. وتجسد المدينة التقليدية ببوسعدة كمنظومة عمرانية متراقبة ومتكلمة الاعضاء تجسد صورتها الوظيفية ضمن 04 مجالات رئيسية:

ا. المجال الديني: يرسم المجال الديني في عنصر المسجد الذي يمثل القلب النابض للجزيرات المكونة للنسيج العام. اما حاليا ومع التحولات الوظيفية وتشعب العلوم وتفرعها ظهرت مؤسسات وهياكل مختلفة جردت المساجد من بعض الوظائف واصبح دورها اداء الصلوات واحياء المناسبات الدينية.

ب. المجال السكني: الملاحظ ان اختيار موضع السكنات لم يكن مسبق التخطيط والبرمجة وانما جاء نتيجة الاحتياجات المتعددة اندماك. فعند تتبع المسار التاريخي لهيكلة القصر نجد ان اول مسجد تم بناؤه هو مسجد النخلة من طرف المؤسس سيدى ثامر انتظمت حوله مساكن لابنائه فسميت بحارة اولاد عتيق. وتم اقتطاع الجزء السفلي لحفظة القرآن وطلبة العلم وسمى بحارة العشاشة ثم حارة اولاد حميدة وبعد تكاثر العائلات وظهرت تجزئات جديدة.

ج. مجال العمل: ركزت مبادئ العمران التقليدي على الاستقرار بالقرب من نقاط الماء والغطاء النباتي وموضع المدينة التقليدية ببوسعادة لا يخرج عن هذا السياق حيث نجد واحة النخيل التي تحدوها من الجهة الشمالية والبساتين المترامية على الضفة الغربية لواد بوسعدة اللذين شكلا اهم مصدر القوت الاساسي لسكان المنطقة وكذلك الموضع الاستيراتيجي للأسوق (النفاذية) من مختلف جهات المنطقة بالإضافة الى تواجد حي الهدو المعروفون بحرفة السباكة وصناعة الحلي والاواني التقليدية.

د. مجال الربط والمواصلات: تربط بين المجالات الوظيفية السابقة الذكر شبكة طرق ذات خاصية تجميعية وتوزيعية صممت باحجام حسب استعمالاتها.

2.1.3 المركزية والتدرج المجالي: تظهر خاصية المركزية بوضوح في التشكيل العماني العام للمدينة التقليدية وتتخذ موضع مختلفة من اصغر نقطة والتي تمثل الدار الى مجال اوسع اين يتشكل محيط المدينة، وهي لا تأخذ المركز الهندسي بالضرورة وانما تتجسد في العنصر المسيطر الذي تنظم

حوله باقي العناصر المرتبطة به حيث نجد الفناء الداخلي الذي تتوزع حوله الغرف المكونة للمسكن واحيانا تفوق مساحتها مساحة الغرف لحجم وتنوع الاستعمالات والممارسات فيه ثم مجموع المساكن التي تحيط بالمسجد وهنا تجدر الاشارة الى انه رغم تقارب المسافات بين الحارات المهيكلة للمدينة التقليدية الا ان لكل واحدة منها مسجدها الخاص وهذا دلالة على الدور العظيم الذي كانت تلعبه المساجد في التركيبة العمرانية قديما "حيث تمثل القلب النابض ومحرك النشاطات الحضرية" (ابراهيم ب.، 1992).

3.1.3 المقاييس ومنهجية التصميم: ترسم منهجية وجمالية التصميم العماني والمعماري للمدينة التقليدية ببوسعادة في مضمون الوحدة بين الشكل والمضمون والتناسب بين حجم الكتل والفراغات التي صممت تبعاً لمقياس الانسان واحتياجاته الرئيسية من خلال تقارب المسافات وتوفير الامن والحرمة والراحة الجسدية والنفسية. والتخطيط العام للمدينة يغلب عليه طابع التراص، التلقائية والبساطة ولكن تحكمه عوامل اجتماعية بالدرجة الاولى واخرى اقتصادية ومناخية..

4.1.3 التخطيط المتضامن ومراقبة الفراغات: ان التخطيط المتضامن والمترافق قد فرضته ثلاثة منظومات متراكبة بينها حيث انه لا يمكن تطبيق احداهما بمعزل عن البقية وهي كالتالي:

ا. المنظومة الاجتماعية: يتضح مفهوم المنظومة الاجتماعية بصورة جلية في هيكلة القصر الى 07 حارات فكل حارة تقطنها عائلات تربطها صلة القرابة والمصاهرة وفي بعض الاحيان علاقات نفعية. وتمتاز العلاقات داخل العائلات بالتعاون والتآزر والعصبية." (زهية ش.، 2006).

بـ. المنظومة البيئية: يفرض الطابع الصحراوي والمناخ الجاف على المدينة التقليدية بتوسعة شكلها ومرفوقيتها واساليب عيشها فالتفاوت الكبير في درجة الحرارة ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً حتم على السكان المحليين البحث عن الاسلوب الانجع الذي يضمن لهم بيئة داخلية وخارجية مريحة. فتضارف وتكتل المباني يعمل على توفير اكبر قدر من الظلال التي تسقطها هذه الاخير على بعضها والناتجة عن الاختلاف في المستويات وبالتالي تتسرب الطاقة الحرارية الى الداخل في اضيق الحدود، كما يعمل هذا النمط من التخطيط على الحفاظ على ركود الهواء البارد اسفل الشارع (الكعي، ب.س) ما يساعد السكان المحليين على مزاولة انشطتهم في ظروف مناخية ملائمة.

5. المنظومة الاقتصادية: كرس العمران التقليدي مبدأ التضام بغية الاقتصاد والاستهلاك الرشيد للمجال الحضري والذي حقق اسس التشكيل العماني المستدام قبل الاعلان عليه في القمم العالمية "حيث اكد على ضرورة تحقيق التناسب بين مساحة القصر والكثافة السكانية بحيث يتم خلق تجمعات حضرية محدودة الحجم والسكان للتحكم في الموارد وتنظيم الخدمات" (بوجمعه، 2008).

5.1.3 مواد وتقنيات البناء: ان الغاية من استعمال مواد بناء محلية هي توفير مجموعة من الفوائد ذكر منها:

- تلبية اقصى احتياجات الراحة الحرارية للمستعمل على مدار الفصول الاربعة.

● وفرتها، سهولة الحصول عليها، تصنيعها وصيانتها بأقل قدر من التكاليف.

● تحقيق الانسجام بين المحيط العمراني والبيئة الطبيعية الحاوية له.

● الجودة والديمومة بحيث لا تسبب تأثيرات سلبية على الصحة والبيئة سواء عند استخراجها، نقلها، عملية البناء وحتى بعد انتهاء عمر المبني الافتراضي حيث تصبح موردا ومصدرا يتم اعتماده في بناء منشآت أخرى.

وعلى اعتبار ان مدينة بوسعداء تنتهي الى المجال الصحراوي فقد تم اعتماد عنصر المناخ كمتدخل مهم في تصميم البيئة المبنية بمواد ذات خاصية عالية في تحقيق التوازن بين الحرارة والبرودة، وتتنوع مواد البناء المعتمد في المبني التقليدية بالمنطقة على النحو التالي: الحجارة، الطوب، الجير، الماء، الخشب والنباتات. وبالنسبة لتقنيات البناء المعتمدة في المدينة التقليدية ببوسعادة نجد:

- تقنية الحشو والمزج باستخدام حجارة غير مهذبة بطريقة متراصة وتملأ الفراغات بينها باحجار صغيرة او مواد بناء اخرى كالجير وتطلب هذه التقنية تغطية الجدران بالملاط حتى تبدو متجانسة.

- تقنية المداميك (جمع مدمالك) وهي عبارة عن صفوف افقية متتابعة من مواد بناء مستعملة سواء الحجارة او الخشب او الطوب (مرزوقي، 2014) وقد استخدمت في اسوار البساتين والاجزاء العلوية لجدران المساكن. تتطلب تقنية المدك استعمال حجارة مهذبة تربطها طبقة من الملاط وتوضع كل قطعة من الصف الموالي في منتصف قطعة الصف السابق

لسد الفجوات كما انها تضفي جانب جمالي ولا تستلزم تلبيس الجدران لستر التشوهات.

2.3 العناصر المعمارية والعمانية المكونة للمدينة التقليدية ببوسعادة: سنتطرق في هذا العنصر الى مختلف الاجزاء المكونة للمدينة التقليدية ببوسعادة والتي تعكس بصدق الخصائص السالفة الذكر.

1.2.3 المساجد: تتوفر المدينة التقليدية ببوسعادة على مجموعة من المساجد الاثرية تقدر مساحتها ب 5596.39m^2 وتمثل حوالي 8.52% من المساحة الاجمالية (مديرية الشؤون الدينية والادوaf، 2017)، ويعتبر المسجد العتيق او مسجد النخلة او مسجد سيدى ثامر اول لبنة معمارية تم توطينها على ارض بوسعداء يتصنف بالهندسة الاسلامية الاصيلة في موقعه ومواد بناءه ما جعله يصنف كمسجد وطني. بني المسجد عام 1935م الموافق ل 795هـ على يد مؤسسي المدينة سيدى ثامر وسليمان بن ربعة كما خضع لعملية ترميم وتوسيعة عام 1983م لاستيعاب عدد المصلين المتزايد فاصالته وعمقه التاريخي يجعلنه عامر طوال العام خاصة في الاعياد وهذا كونه رمز للحنين الى الماضي وتعبير صادق يستحدث احساس وافكار السكان الاصليين. وبالنسبة لباقي المساجد داخل المدينة التقليدية فهي تتوزع على النحو الاتي:

- مسجد الروضة بعي أولاد عتيق (العرقوب) يترفع على مساحة تقدر ب 160m^2 تعود ملكيته للوقف.

- مسجد مصعب بن عمير يقع بحي الزقم وتفيد الروايات انه ثانى اقدم مسجد بمدينة بوسادة.

- مسجد الشرفاء يقع بحارة الشرفة يتربع على مساحة تقدر ب 280م² تعود ملكيته للدولة.

-مسجد عبد الحميد بن باديس يقع بحارة أولاد حميده بمساحة تقدر ب 200م² وتتبع ملكيته للدولة.

-مسجد عبد الله بن مسعود في الجهة الجنوبية لحارة الموامين يتربع على مساحة تقدر ب 1021 م².



2.2.3 الشوارع والرحبات بالمدينة التقليدية ببوسعادة: تمثل شبكة الطرق شريان تتجددى منها كافة الحارات المهيكلة للمدينة التقليدية. وهي متدرجة حسب حاجة المستعمل ووسائل النقل انذاك. فقد انتظمت في

تكامل واضح من شوارع رئيسية الى شوارع ثانوية تفصل بين المساكن تؤول الى دروب وازقة نفوذة وغير نفوذة (بوجمعه، 2007). ورغم التفاوت في عدد وحجم الشوارع الا انها لم تخرج في مجملها عن اسس التخطيط العمراني التقليدي الاسلامي الذي اكده على ضرورة الاستغلال الامثل للمجال الحضري (Nouibat, 2007) بخلق فضاءات خارجية حسب الحاجة صالحة للممارسات الجماعية سواء بالنسبة للحركة او الاستراحة.

ا. الشارع الرئيسية: تحتوي المدينة التقليدية على شارعين رئисيين يتمثلان في محور حارة المؤامين بطول 500م ومحور حارة اولاد حميده بطول 800م يكونان العصب النابض لنظام الحركة للمدينة سواء الميكانيكية او الرجالين. ويربطان منافذ المدينة ببعضها البعض حيث ينفتحان على الطريق الوطني رقم 08 غربا، يشغل الشارعين الرئيسيين الجهتين الشمالية والجنوبية للمدينة التقليدية وكأنهما امتدت على رواق محصور بينهما، ولا يسمحان بالتوغل مباشرة اليها الا عبر المنافذ التي تتفرع عنهما.

ب. الشارع الثانوية:

وهي تسمى بالدروب او الأزقة. وتمتاز بأبعاد القصيرة والضيقه عن سابقه. فعرضه لا يتجاوز 2.5م ولا يسمح بمرور الحركة الميكانيكية، يربط هذا النمط بين الشارع الرئيسية والوحدات السكنية وفق تدرج مجال من العام نحو الخاص لاستعمال فقط من الساكنة المحلية او من لهم اتصال بهم. وهي تنفتح على نقاط عامة (رحبات واسواق) حيث الانشطة التجارية والخدمية (اياد عاشور، 2010). ونلاحظ وجود دروب مغطاة او ما يعرف

بالسابط الذي تتعدد استعمالاته بين خاصة وعامة. وهي تمثل غالبا فوائل بين الحارات، و له تأثيرات ايجابية من الناحية المناخية حيث يحدث تلاعبا بين الضوء والظل ما يضفي لمسة خاصة على الصورة البصرية للمدينة (ايد عاشور، 2010).

ج. الممرات غير النفوذة: تمثل العنصر الاصغر في شبكة الحركة والتنقل بحيث لا يتجاوز عرضها 01م تربط بين مسكنين على الاكثر وتجمع بينهما في الطابق العلوي، تسمح الممرات المغطاة غير النافذة بممارسة مختلف النشاطات العائلية حيث توفر مكان لالقاء الجiran ولعب الاطفال والمناسبات كما توفر جو منعش يسمح بالاستراحة والتبريد اثناء القيلولة.

د. الرحبات والتقاطعات يقصد بالرحبات المجالات الخارجية غير المبنية وتصميمها لا يقل اهمية عن تصميم الوحدات العمرانية المبنية المكونة للمدينة التقليدية ببوسعادة كما انها لم تأت كمحصلة نهائية بعد الانتهاء من اقامة الوحدات السكنية وانما وفق مخطط مدروس حدد موقعها بحيث يكون نفوذ وسهل الوصول ومساحتها التي تتناسب طرديا حسب النشاطات والوظائف التي تؤديها، ولقد اثبتت بعض الدراسات لمساحة الفراغات الخارجية المكشوفة ان نسبتها في المدينة التقليدية حوالي 11% من مساحتها بينما في المدن الرومانية تبلغ 31% وهذا راجع لملاءمة واعتدال المناخ عكس سبقتها. "وتلعب الرحبات دورا هاما في شحن الحياة الاجتماعية والاقتصادية". (بوجمعه، 2007).



ثانوي شارع : (6) رقم الصورة

رئيسي شارع : (5) رقم الصورة



نفوذ غير مر : (7) رقم الصورة

3.2.3 السوق: يستجيب سوق المدينة التقليدية ببوسعادة لمختلف المقاييس السالفة الذكر اذ لا يزال يمثل عصبة التجاري وقد اختير له موقع الجهة الجنوبية برحبة البيض التي تقع بمحاذاة المدخل الرئيسي الجنوبي الغربي للأسباب التالية:

- البعـد عن الوحدـات السـكـنية وبالـتـالي تجـنبـ الـحـاقـ الضـرـرـ بالـسـكـانـ جـراءـ الفـوضـىـ الـيـوـمـيـةـ الـحاـصـلـةـ فـيـ السـوقـ.
- تـحـقـيقـ مـبـداـ النـفـاذـيـةـ وـالـسـيـوـلـةـ الـحـرـكـيـةـ بـحـيـثـ تـصـبـ فـيـهاـ العـدـيدـ مـنـ الشـوـاعـ وـالـمـرـاتـ.



4.2.3 الاسوار والبوابات: يعتبر الامن والحماية من اهم الاشتراطات الواجب تحقيقها في المدن ويتجسد في اقامة اسوار وابراج دفاعية شديدة الصلابة والمقاومة للجممات العدائية (محمد الطيب، 2010) ، وبالنسبة للمدينة التقليدية ببوسعادة فهي على غرار المدن الاسلامية التقليدية قد شهدت في مراحلها الاولى اقامة سور يحيط بها ولا يوجد دليل ملموس على ذلك ولكن ما جعلنا نعتقد بقيام هذا العنصر البنائي هو وجود 03 بوابات:

- بـابـ لـوـبـيـبـ لـحـارـةـ الـمـوـامـيـنـ،ـ بـابـ جـمـعـةـ لـحـارـةـ الزـقـمـ،ـ بـابـ بـوعـبدـ اللهـ الـذـيـ تـشـرـكـ فـيـهـ الـحـارـاتـ الـأـولـىـ (ـاـوـلـادـ عـتـيقـ،ـ الـعـشـاشـةـ وـالـشـرـفـةـ).

5.2.3 المسـاـكـنـ التـقـلـيـدـيـةـ بـبـوـسـعـادـةـ: المـسـكـنـ التـقـلـيـدـيـ بـبـوـسـعـادـةـ جاءـ تصـميـمهـ وـفـقـ اـبـعادـ اـنـسـانـيـةـ تـقـضـيـ تـحـقـيقـ الـامـانـ وـالـحـمـاءـ وـالـاسـتـقلـالـيـةـ

والانتماء والاستدامة فقد عكس مظهره العماني بساطة حاجيات الانسان. وتتنوع بين:

- نمط كبير لا تفوق مساحته 314م²، عددها قليل يعكس الحالة الاقتصادية لبعض المساكن تطل على الشوارع الرئيسية والممرات.
- نمط متوسط تتراوح مساحته من 50م² الى 100م² وهو الغالب يضم مجموعة من 03 الى 04 غرف.
- نمط صغير لا تتعدي مساحته 50م² يتواجد في الممرات غير النفوذة به العائلات الفقيرة

اما من حيث تكوينها فهي تضم العناصر التالية:

- ا. الواجهات: من ميزات الواجهات الخارجية للمساكن التقليدية بيوسعادة انها بسيطة وصماء حيث لا تتجاوز نسبة الفتحات فيها من 10% الى 12%.
- ب. الابواب: صنعت الابواب من الخشب المحلي (الصنوبر والنخيل) واما تشكيلها فهو بسيط ليس فيه من اثر الزخرفة حيث يتكون من دفتين ولا تفتح الدفة الثانية الا للضرورة القصوى، لا يتجاوز عرض الابواب 01م واما طولها فبقدر طول الشخص. وهي لا تتموضع مقابل بعضها على طول الشارع.



ج. النوافذ: لا يتعدى دور النوافذ في المساكن التقليدية بيوساعدة توفير نوع من التهوية والاضاءة وابعادها صغيرة التي تراوح بين 30سم و40سم تحميها قضبان حديدية وخشبية. كما أنها تتموضع في الطابق الارضي فوق المداخل على بعد 30سم من السقف وقد تم اعتماد هذا المقياس قدماً حتى لا يتسرى لراكب الجمل التطلع إلى الداخل واما قوامها الهندسي فقد كان بسيطاً يتمثل في شكل مربع او مستطيل خال من الزخرفة والبروزات وقد جاءت هي الاخرى في مواضع متناوبة احتراماً لحرمة الجار.

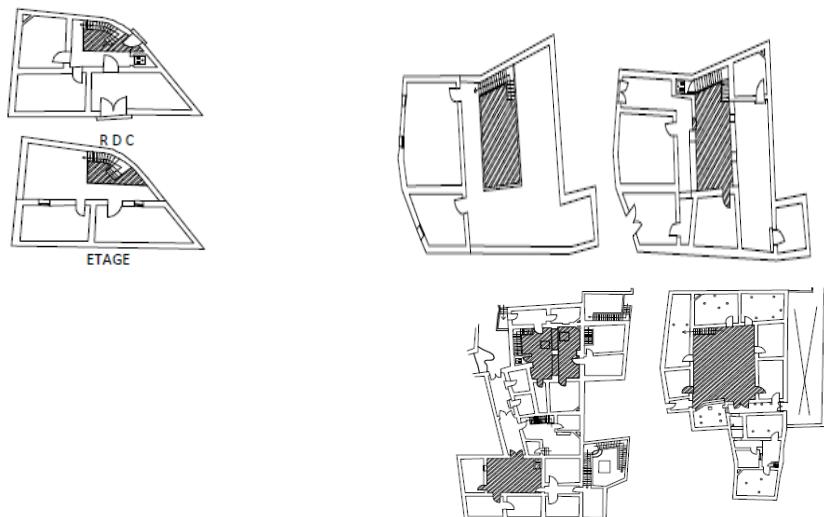
د. الفناء: يمثل الفناء او الصحن او الحوش كما هو متداول عند عامة الناس النواة المركزية التي تطل عليها مختلف الوحدات المكونة للمسكن

تتراوح مساحتها حسب مساحة المسكن من صغيرة الى واسعة واحياناً نجد أكثر من فناء في المسكن الواحد. وهذا العنصر ضروري في البيئة الصحراوية لتنوع استعمالاته من مصدر للإضاءة والتهوية، مقر لجتماع افراد العائلة خاصة في فترة المساء وهنا يلعب دور الرحابة ولكن على مستوى صغير، و تمارس فيه حتى الاعمال المنزلية كالغسيل والطبخ في المناسبات

هـ. السقيفه: تختلف اشكال السقائف من حيث التخطيط والمساحة وتعتبر همزة وصل بين الداخل والخارج حيث انها اول عنصر انشائي يلي مدخل المسكن له عدة وظائف معنوية وعملية تخدم البيت واصحابه (عبد الحق مـ، 2011) اذ يشكل حاجزاً يخفف تدريجياً من حدة درجة الحرارة بالنسبة للداخل الى الدار في بيئة صحراوية كما انها تمثل مدخل منكسرًا يمنع السائل امام الباب من مد بصره الى الداخل.

وـ. المطبخ والمخزن: كثيراً ما يتموضع المطبخ والمخزن بجانب بعضهما البعض حيث انها يكملان بعضهما، يطل المطبخ عادة على الماء ويضم ادوات بسيطة وضرورية مخصصة للطهي كما ان مساحتها في اغلب المساكن لا تسمح باضافة تجهيزات حديثة، اما المخزن فخصص لتخزين المؤونة ومختلف مستلزمات الاسرة ما جعل مساحتها تفوق احياناً مساحة المطبخ ولكن ما يعييّب على هذين المكونين المعماريين انهم يفتقدان لقدر كافٍ من التهوية والاضاءة التي تحد من انتشار البكتيريا والطفيليات.

ز. الغرف: تخصص الغرف لاستقبال الضيوف والنوم تتبع اضاءتها وتهويتها لعنصر الفناء واما مساحتها وعددها فتتنوع حسب نمط الوحدة السكنية من صغيرة الى متوسطة الى كبيرة الحجم.



ببوسعادة التقليدية بالمدينة السكنات نمطية: (15، 16، 17) رقم الصورة

الخلاصة

مثلت العمارة على مر العصور انعكاسا صادقا للبيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية المتلاحقة، فشكلت بصمة واقعية مقروءة عكست المنهج والتفكير الذي انتهجه الحضارات السابقة طيلة فترة وجودها. والجزائر تعتبر من بين الدول القلائل التي تحضن موقع اثري وتاريخية تعود لمختلف الحضارات التي استوطنت العالم بدءا العصر الحجري ثم البربر الذين أقاموا أول دولة منظمة في الصحراء مرورا إلى البحارة الفينيقيين الذين تركوا بصماتهم على موانئ المتوسط إلى سيطرة الرومان أعظم المهندسين الذين عرفتهم التاريخ ثم رايات الفتح الإسلامي التي جاءت لتنجز بين العرب والبربر في عقيدة واحدة، حيث تميزت العمارة الإسلامية بطرز وإنشاءات زاوجت فيها بين ذكاء أهل الجماعة ومتطلبات البيئة المحيطة.

لقد فرضت الساكنة المحلية آنذاك جملة من الضوابط والتقييدات الصارمة نابعة من الدين الحنيف فاحتوت بذلك العمارة الإسلامية روح الحياة الاجتماعية البسيطة التي تجلت في توحد النمط المعماري والعمراني وبساطة المظهر الخارجي لمساكنه وتضامنها وانسجامها والبيئة المحيطة، ما جعلها تستوعب مفهوم التنمية المستدامة قبل الإعلان عليه في القمم العالمية، "ويتجلى ذلك في بالتفويق بين التنمية العمرانية وحاجات السكان" (بوجمعه، 2008)، أين تم الحفاظ على البيئة الطبيعية وكذا احترام نواميس البناء في اعتماد مبدأ التدرج الهرمي في تخطيط الشوارع أما نمط البناء فقد ركز على تحقيق الخصوصية كمطلوب اجتماعي وهذا ما جعل

منظمة اليونسكو تضيف إلى قائمة التراث العالمي كل من قصر بني ميزاب وقصبة الجزائر كونهما يعكسان قيمة عالمية استثنائية. والمدينة التقليدية ببوسعادة تعكس أيضا قيمة وهوية محلية لا أنها مؤخرا تشهد حركة عالية من التوتر والاختلال على مستوى مظهرها العماني والمعماري نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية انماط غريبة فرضت تغييرات على نمط تقليدي استطاع الصمود لفترات طويلة، وهذا يتطلب تظافر كل الجهود سواء القطاع العام، القطاع الخاص والمجتمع المدني للحفاظ وتشمين العمارة التراثية واكتسابها قيمة سياحية، حيث افادت احصائيات منظمة السياحة العالمية ان 80% من السياح اصحاب الذوق الارقى يرغبون بالعيش خارج المألوف والبحث عن تجارب اكثر اصالة واندماجا في مجتمعات محلية" استطاعت التوفيق بين موارد الماضي ومتطلبات الحاضر.

المراجع باللغة الأجنبية

- . (2003). le musée national Etienne Dinet de Bou-Saada 1930/1993 genèse. Berkahoum Ferhati. Nasr-Eddine-Dinet.
- Direction du tourisme et de l'artisanat. (2012). étude d'aménagement de la zone d'expansion touristique de Bou-Saada (première phase). M'sila.
- Ministère de la culture. (S.D). Musée national Nasr-Eddine-Dinet. Bou-Saada.
- Nacib, Y. (S.D). cultures oasiennes essai de l'histoire sociale de l'oasis de Bou-Saada. université de Sao Paulo.
- Nouibat, B. (2007). l'occupation optimale du sol urbain dans les quartiers résidentielles en milieux arides et semi-arides étude de cas Bou-Saada (thèse de doctorat). Université de Sétif, Département d'architecture.
- Zahi, F. (2013). Bou-Saada en quelque traits. Alger: ENAG édition.

المراجع باللغة العربية

- اكلي كزار محمد. (2008). التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية حالة قري ومداشر المنطقة (مذكرة ماجستير). كلية علوم الارض والجغرافيا والبيئة العمرانية.
- الابياري ناهد نجا عباس. (2006). النمو العمراني للمدن المصرية وتأثيره على المناطق التراثية، اطروحة دكتوراه فلسفية. جامعة طنطا، كلية الهندسة، مصر.
- البوطي احمد. (2017). بوسعداء: مكتب دراسات مكلف بمتابعة مشاريع ترميم المدينة التقليدية.
- الطائي اياد عاشور. (2010). تخطيط المدن في المغرب العربي دراسة تراثية حتى مطلع القرن الرابع هجري. عمان الاردن: دار دجلة.
- الغوثي بسنوسى سيدى محمد. (2011). التدوّق الجمالي في العمارة الإسلامية تلمسان نموذجا. تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفنى. تلمسان.

- بركات عبد الحق. (2010). الصورة النفسية الابيائية في فن الزخرفة العربية والاسلامية. مجلة العمران والتكنيات الحضرية(2).
- بسكر محمد. (2014). الافادة بما علم من اخبار بوسعدة وارشاد الحائز الى ما علم من احوال بوسعدة واخبار سيدى ثامر. حي البلاطو، بوسعدة: دار كردادة للنشر والتوزيع.
- بن سعيد سعاد. (2007). علاقات الجيرة في السكنات الحضرية الجديدة دراسة ميدانية في المدينة الجديدة علي منجي-الوحدة الجوارية رقم 6 (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.
- بن صغيري حاضري يمينة. (2011). القصور الصحراوية بالجزائر صور الابداع الهندسي. مجلة الواحات للبحوث والدراسات(15)، 141.
- بن يوسف ابراهيم. (1992). اشكالية العمران والمشروع الاسلامي. مطبعة ابو داود.
- بوخليفي قويدر جهينة، و بن ميسى احسن. (2016). تطور النظام الواحاتي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة-الربان قصر طولقة نموذجا. مجلة العلوم الانسانية.
- جعیدل جمال، و زحوط اسماعيل. (2012). الحرف والصناعات التقليدية كفرص لترقية السياحة الداخلية في الجزائر. ملتقى وطني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر (صفحة 14). باتنة: كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير.
- حمداوي عمر، و عجاش سهام. (ب.س). التحولات الاجتماعية للمدينة الجزائرية وتمظهراتها في الانتماء والهوية الثقافية. تحولات المدينة الصحراوية-تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية.
- حنان نادر الكعبي. (ب.س). تخطيط وبنية عمارة الصحراء. مديرية الابنية الحكومية لمحافظة العقبة.
- خلف الله بوجمعه. (2007). المدينة الاسلامية بين الوحدة والتنوع. عيم مليلا: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

- خلف الله بوجمعه. (2008). ملامح الاستدامة في العمارة والعمaran التقليدي الجزائري
حالة قصر بوسعدة بالجزائر. مجلة العمران والتكنيات الحضرية(3)، 2.
- خلف الله بوجمعه. (2010). الجزائر، المجال المقلوب. تأليف مارك كوت. دار الهدى.
- خليفة عبد القادر. (2009). مدن الصحراe الجزائرية في تحولات قصور الامس اليوم
مدن.
- داود حسام الدين. (2008). مساق الحفاظ المعماري. الجامعة الاسلامية، كلية
الهندسة، غزة.
- شتوح رياض. (2010). 20 مليون دينار لترميم حصن ركن حكاية مكان. الشروق
اليومي.
- شوبيشي زهية. (2006). مجتمع القصور دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمارنية
والثقافية لقصور مدينة تقرت (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الانسانية والعلوم
الاجتماعية، جامعة قسنطينة.
- شيبان اسيا. (2009). دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية حالة
الصناعات التقليدية والحرف بالجزائر (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الاقتصادية
وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.
- عسلي سعد. (2010). علاقات الجيرة في المدينة دراسة مقارنة بين الاحياء العتيقة
والاحياء الجماعية-حارة اولاد عتيق حي القصر وحارة 110 سكن جماعي بمدينة
بوسعادة نموذجا (مذكرة ماجستير). كلية الاداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة.
- عقاب محمد الطيب. (2010). مساكن قصر القنادسة الاثرية في المنظور الاثري.
الجزائر العاصمة: دار الحكمة للنشر والترجمة.
- علي بن عبد الله مرزوق. (2014). الفاظ العمارة التقليدية بمنطقة عسير. دراسات
من التراث العمراني. الرياض، السعودية.
- قبابلة مبارك. (2010). تطور مواد البناء واساليب البناء في العمارة الصحراوية (مذكرة
ماجستير). بسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

لعربي صالح. (2010). البيئة الحضرية داخل الانسجة العمرانية العتيقة والتنمية المستدامة حالة قسنطينة (مذكرة ماجستير). معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة المسيلة.

مدور وليد. (2010). التحولات الحضرية في المناطق الجبلية حالة مراكز منطقة وادي عابدي (مذكرة ماجستير). كلية علوم الارض والكون والهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة.

مديرية التخطيط والاحصاء. (2015). المسيلة.

مديرية الشؤون الدينية والآوقاف. (2017). المسيلة.

مروشي صوريه. (ب.من). منعة...تجربة في الترميم والمحافظة على التراث. صفحة 6. مروى عصام صلاح. (2014). التاريخ والثقافة المعمارية. الاردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

معزوز عبد الحق. (2011). العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف. تلمسان: منشورات وزارة الشؤون الدينية والآوقاف.

مقيدش فتحية. (2015). التحولات الاجتماعية بمدينة دوز الصحراوية وانعكاساتها. تحولات المدينة الصحراوية-مقاربات حول التغيير الاجتماعي والممارسات الحضرية. ورقلة.

المعالم المعمارية التي تبرز هوية المدن الصحراوية مدينة قمار انموجا

عبد الله لحنط

جامعة بسكرة

مقدمة:

الجزائر بشساعتها وتعدد المناخ فيها اختلفت كل منطقة على الاخرى بعاداتها وتقاليدها وطريقة العيش فيها، ومن أهم مظاهر الحضارة تبرزت العمارة والعمaran ليكونا موروث مادي شاهد على حضارة كان لها الأثر البالغ في تحديد هوية المكان. ولتحديد المعالم والعناصر المعمارية التي تمتاز بها العمارة الصحراوية الجزائرية، تطرقنا الى منطقه قمار التي بقيت محافظة على هويتها في مظهرها العام بالقباب والسباط ومواد البناء التقليدية الى وقت قريب، وفي عمق التحولات الحضرية بدأ تفقد المدينة طابعها المعمري المتعارف عليه. وفي بحثنا هذا سنركز على أهداف تمحور حول هوية المجال الحضري وتحديد المعالم والعناصر المعمارية التي تميز مدينة قمار، والمحافظة عليها في العمارة الحديثة وللحصول على هذه الاهداف قمنا بوصف وتحليل المعطيات التي جمعت من الملاحظة الميدانية والمقابلات مع سكان المنطقة والمختصين في البناء التقليدي بالإضافة الى بعض الصور والملفات من أرشيف الولاية والمحافظة على الهوية والعمارة الخاصة بالمنطقة، فتوصلنا إلى بعض النتائج تمثلت في تغلب النمط

الأوربي، والميل إلى ما يكون بثمن أقل، كما أن ارتفاع المواد واليد العاملة للبناء التقليدي كانت سبباً في الابتعاد عنها، وقمنا بتوصيات لإدراج عناصر العمارة الخاصة بالمنطقة في البرامج السكنية، وفرضها في رخص البناء الخاصة بالسكن وكذا استبدال البرامج السكنية التي تدعوا إلى هدم وتغيير النمط المعماري إلى برامج تساهم في المحافظة على الهوية من خلال الترميم وبناء بناءات بنفس النمط المعماري وتنماشى مع هوية المنطقة ومتطلبات العصر.

وتبرز العمارة هوية وانتماءات المدن الجغرافية والثقافية كما تعكس مدى رقي المجتمع وتقدمه، حيث واكب تغير شكل المسكن تطور الإنسان منذ الأزل حيث استعمل الكهوف والمغارات في بادئ الأمر، ثم انتقال تدريجياً إلى أن استطاع بناء القصور والسكنات الفاخرة، حيث كانت الطبيعة هي مصدر المواد الأولية لعملية البناء ليشكل مظهراً آخر من مفهوم التعايش مع الطبيعة، والمدن الصحراوية الجزائرية خير دليل على ذلك حيث اشتغلت العمارة الصحراوية بالجزائر على مواد محلية، وأشكال تم توظيفها بعناية لتنماشى والمتطلبات المناخية والثقافية، إلا أنها نشهد اليوم تراجعاً ملحوظاً في الاهتمام بهذا النمط المعماري، واستبداله بتصاميم حديثة غالباً ما تكون مستوردة وغير متجانسة مع العمارة المحلية، وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤل عن ماهي الأسباب التي كانت وراء التخلی عن العمارة التقليدية بالمدن الصحراوية؟ وما هي الآثار المترتبة على ذلك على الهوية الثقافية والبيئة المبنية؟

فرضية البحث:

- المنازل التقليدية لا تلبي احتياجات المواطن ما جعله يقرر التخلّي عنها والبحث عن بدائل غير مدرّوسة.
- النمو المتسارع للمدينة الحديثة جعل الساكن لا يلتفت لهوية المكان.
- المشاكل المرتقبة على السكن التقليدي أدى للعزوف عنه ما جعل المدين تفقد هويتها تدريجيًّا.

أهداف البحث:

نحاول من خلال هذا البحث اظهار المعالم وملامح الهوية في العمارة الصحراوية بالمنطقة ولأن الموضوع له الأهمية البالغة في توجه الدولة الحالي لاحفاظ على الطابع المعماري نحاول إيجاد تدابير تساهُم في الحفاظ على هوية المكان وبما ان التوسيع الجديد والمواد الجديدة لا تخدم الهوية المعمارية ولا الاستدامة الحضرية للمدن الصحراوية نحاول توجيه المعنيين للحفاظ على الهوية المكانية للمنطقة لأنها الأنسب في المناخ والتضاريس المتواجدة بها المدينة، ونحاول من خلال هذا البحث اظهار المعالم وملامح الهوية في العمارة الصحراوية بالمنطقة وإيجاد تدابير تساهُم في الحفاظ عليها

1. استعراض الأدبيات:

انطلقنا في بحثنا هذا من دراسات سابقه للعمارة بمدينه قمار ومنطقة سوف ابتداء من دراسة حسونة والذي قام بدراسة عن تاريخ العمارة بالمنطقة ثم خص مدينه قمار بذكر أحياها الأولى مما يتطرق بعد ذلك الى

ملامح العمارة بها (حسونة، 2015) ، وفي الدراسة التي اجراها الجباري والتي قدم من خلالها ملامح العمارة في المنطقة ثم انتقل الى البحث فيما كتبه الرحالة والزوار الاجانب عن المنطقة في تلك الفترة حيث لخصت هذه الدراسة بان العمارة بمنطقة سوف كانت مشاهدة حيث اتصفت بالبساطة وعدم التكلف فتميزت عن باقي المدن الصحراوية بالقبة والسباط كما يذكر ان العمارة بمنطقه سوف شهدت تطورا خلال النصف الثاني من القرن 19 م. حيث تم الاستفادة من الخبرات الأجنبية ليتم توظيفها في العمارة وفق معاييرهم الخاص.(الجباري، 2016) كما ان الدراسة التي قام بها لمحنط التي درس الاطار المبني لمدينة قمار القديمة ومراحل تأسيسها ، وحدد ملامح العمارة للمدينة وطرح اشكالية هجر وهدم المباني التقليدية لاستبدالها بمباني ذات طابع معاصر ليتماشى مع المتطلبات الحالية للمواطن وسعى الى ابراز التقصير الحاصل للعمaran والترااث العمراني بالمنطقة، كما اقترح تسجيل مدينة قمار القديمة في قائمة التراث العالمي للحفاظ على العمران والهوية العمرانية بالمنطقة.(لمحنط، 2014)

II. ملامح الهوية:

• المدينة والنسيج العمراني:

تعد مدینه قمار احدی أعرق مدن ولاية الوادي، حيث يعود اول ظهور لها في كتب التاريخ لسنة 1180، حين تم الهجوم عليها من طرف حكام تقرت، تم بناء المدينة لتكون منيعة على الأعداء بشكل قصر كانت الجدران الخارجية للمنازل هي التي تشكل السور فيما كانت المنازل موجهة نحو وسط المدينة اين يتواجد الرحبة والمسجد المدينة بها مداخل المعروفة

الآن بالباب الغربي، والباب الشرقي والباب القبلي والباب الظهراوي بالإضافة إلى الفج والبويبة لتشكل بذلك حصن ضد الأعداء. (محنط، 2014)

ان المتجلو في المنطقة يظهر له ان النسيج العمراني فوضوي وتم دون التخطيط المسبق له وان المباني تراصفت بجانب بعضها من باب الصدفة الا ان المتمعق في دراسة المجتمع بالمنطقة يجد ان هناك معايير ثقافية ومبادئ تم اتباعها من طرف السكان كانت بمثابة المرجع التنظيمي للمدينة (محنط، 2014)

امتازت الاذقة بالاستقامه الا ان الكثير منها كان دروب حادة يتراوح عرضها ما بين 2-5.5 م، فيما كانت الشوارع الرئيسة لها انكسارات لتوفير الظل وكسر الرياح (حسونة، 2015) بالإضافة الى توفير مكان تخبيء فيه النساء لتفادي التقابل مع الرجال القادمين في الاتجاه المعاكس (محنط، 2014). امتاز النسيج العمراني بوجود الساحات والرحبات والسباطات العمومي والتي استعملت لوقت قريب في التجمع ولعب الخربقة المحلية (حسونة، 2015)

● مواد البناء:

1- الحجارة:

لم يستعمل اهل المنطقة في عمليه البناء القوالب الطينية ولا الأسمنتية، انما استعملوا الحجارة المتواجدة في بيئتهم في عمليه البناء، واستخدمها كماده اوليه ثم ربط بين هذه الحجارة بالجبس وهو الملاط

الذي يشد الحجارة فيما بينها، كانت الحجارة غير منتظمة لذلك نجد ان الجدران في الغالب كانت ذات سمك كبير يصل الى 30 سم او أكثر، بنوا بحجارة اللوس كما توجد حجارة الصلاح تستعمل في البناء، هذه الحجارة ذات لون أبيض، تستخرج مع حجارة التافزة المستعملة لصناعة الجبس التقليدي لكنها شديدة الصلابة تستخرج من مقالع تقليدية، لكنها أقل صلابة من حجارة اللوس و أكثر امتصاص للرطوبة، فهي لم تستعمل قديماً لهذا السبب. (لمحنت، 2014)

-2- الجبس:



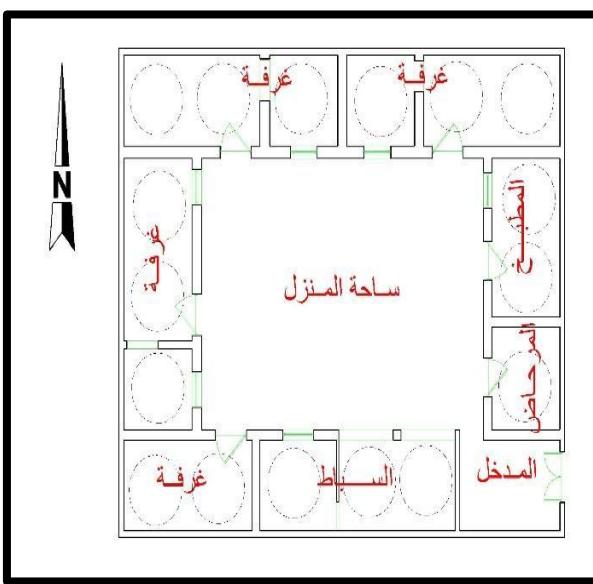
هو مادة متينة تستعمل في البناء بالمنطقة يتم انتاجها انطلاق من حجارة التافزة (حجر كيلسي روبي متواجد بالمنطقة) التي يتم استخراجها من تحت الطبقات الرمال ثم يتم حرقها في افران الجبس وبعدها يتم طحنها ثم تصفيفها ليكون الجبس جاهزة للاستعمال (باهي، 2018)

3- جذوع النخيل والجريد:

هي مواد محلية استعملت في الغالب في التسقيف لتكون وسائل دعم للأقواس كانت تقسم جذوع النخيل الى اجزاء وتوضع متعامدة على الجدران لرفع القباب والادماس، التي تم استبدالها فيما بعد الحديد ذو الشكل H لتعطي صلابة أكثر وتمكن من توزيع احمال القباب والادماس بشكل متوازن فيما وجده في بعض البناءات حديد بشكل T(حسونة، 2015) كما استعمل الحديد الأخضر كدعامة مساعدة لتشكيل للأقواس الحاملة للقباب حيث يستعمل وهو ما زال أخضر لين ليسهل تشكيله.

ويتم نزعه عندما يتم الانتهاء من عملية البناء (محنط، 2014). كما شهدت المنازل التقليدية غياب الأقواس الحاملة داخل الغرف التي عوضت بالحديد كما في الصورة 1،

● شكل المسكن:



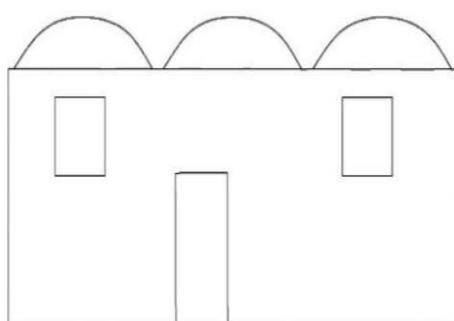
ان المنزل التقليدي
بالمنطقة في الأصل
كانت ابعاده مختلفة
عما هو عليه الوضع
الآن وهذا استنادا
على اثار المباني
المجودة للحقب
الأولى للمسكن

القماري بالإضافة إلى ما ورد عن المؤرخين الذين كتبوا عن المنطقة منهم "هنري ديفاري" Henri Duveyrier الذي وصف ارتفاع المسكن بمدينة قمار بعد زيارتها ضمن رحلته سنة 1861، على أنه بطول شخص متوسط القامة، وأكد ذلك من بعده "لفكتور لارجو" الذي زار المنطقة في 1881 م. وأضاف أن طولها يتراوح ما بين 7 إلى 8 أمتار وعرضها من 1.51 إلى 2 متر (الجباري، 2016)، لا إننا نجد أن المسكن التقليدي المعروف حالياً عند أهل المنطقة ارتفاع جدار الغرفة فيه يقارب 2.6 م وعرضها يصل إلى 2.4 فيما يصل طول الغرفة الواحدة ما بين 5.3 إلى 8 م، أما الفناء نجد أنه بعد التعديل في التصميم زاد اتساعه ليقارب في بعض الأحيان 13×13 م.

● التسقيف:

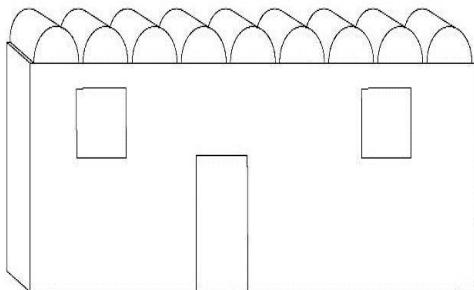
من خلال الملاحظة الميدانية والمقابلة مع أهل المنطقة تبين لنا أن التسقيف المستعمل والغالب في البناء التقليدي هو القباب والأقبية.

1- القباب



تعد القباب التي استعملت في التسقيف المباني ذات شكل نصف كروي وفي بعض الأحيان تميل إلى الشكل بيضوي تُستند إلى حامل والمتمثلة في الجدران والتي تشكل

مربعاً أو مستطيل تتضمن
الغرفة الواحدة بين قبتين
إلى 3 قباب. هذه القباب
التي ترمز لهوية المنطقة
فكل غرفة لا تخلو من
القبة



2- الادماس:

نوع آخر للتسقيف يعكس هوية البناء بالمنطقة من مستعمل في المنطقة أقل انتشار عكس القباب والذي يسمى أيضاً بالقبو في بعض الأحيان والمتمثل في سقف على شكل نصف أسطوانة مجوف حيث تسقى الغرفة بتكراره أكثر من مرة استعمل في الغالب في الغرف الشاسعة مثل المستودعات وغيرها، نمط التسقيف بالقبو لم يكن شائعاً في المنطقة حتى مطلع القرن العشرين وأول استعماله كان في عمارة الزاوية التجانية (لمحنت، 2014). (حسونة، 2015)

● الزخارف:

اتسمت العمارة بالمنطقة ببساطتها في بادئ الأمر حيث لم يكن أهل المنطقة يولون أهمية إلى الجانب الجمالي للعمارة أكثر من الجانب الوظيفي لها إلا وهو السكن لم يتم تحديد متى ظهر هذا الاهتمام عند أهل المنطقة بالزخارف وبالرجوع إلى "هنري ديفاري" نجد أنه أبدى

اعجابة بالزاوية
التيجانية بمدينة
قامار (الجباري،
(2016)، والتي لحد الان
معروفة بالزخارف
الموجودة بها.



أبدع أهل المنطقة
في الزخارف والتي
استعملت في الأماكن
الدينية كالمساجد

والمدارس القرآنية كما استعملت في بعض المنازل حيث بُرِزَ منهم حرفين
طُوروا من أنفسهم خصوصاً في مجال النّقش على الجبس كما يعتبر
التلبيس على الجدران الخارجية نوع آخر من الزخرفة على الجدران
الخارجية للمنازل على شكل تموج بأصابع اليد لخلق منظر جمالي وخلق
مساحة مظللة، وهذا ما تملّيه طبيعة المنطقة التي تتعرّض لأشعة
الشمس

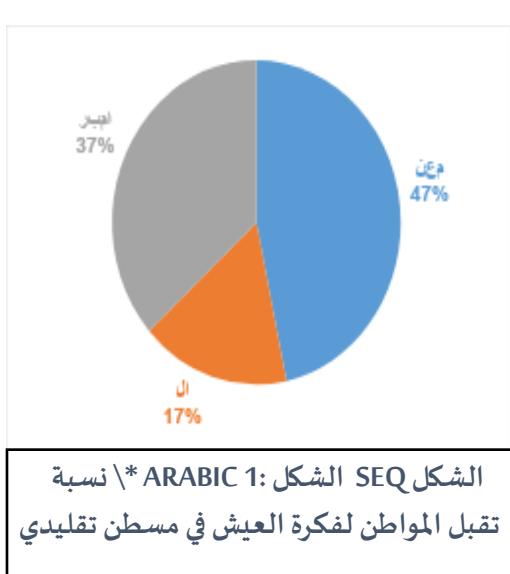
● التوافذ:

لم تستعمل في بادئ الامر النوافذ وذلك قد يرجع الى عدم الحاجة الى
التهوية والإضاءة لتوفرها من خلال الفناء وهذا ما ورد عن "لفكتور
لارجو" والذي أضاف انه هناك حفرة بجانب الباب استعملت لخروج

الدخان منها، فيما ظهر استعمال النوافذ في أواخر القرن 19 م من خلال ما ورد عن "ايزابيل ابرياردت" (الجباري، 2016)

III. النتائج :

● التوجه الفكري للمجتمع

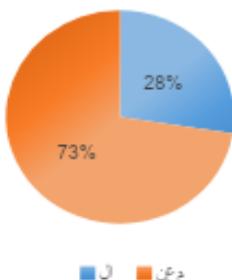


مدى تقبل الناس واستعدادهم للرجوع الى العمارة التقليدية حيث طرح هذا السؤال من اجل فهم توجه السكان الفكري وتحديد مدى وعيهم بأهمية المحافظة

على التراث المعماري تطويرها لتواء مطالبات الانسان في

هذا العصر ، حيث تبين لنا ومن خلال طرح السؤال (هل انت مستعد الى ان تنتقل للعيش في مسكن تقليدي ؟) ، حيث كان 17 % راض عن ذلك تماما فيما ، 37 % منهم متعدد بين الايجاب والرفض ، وبما ان 54 % منهم بين راض ومتعدد لفكرة الانتقال و العيش في منزل تقليدي فهذا مؤشر يبرز لنا انه هناك خلل على مستوى التوجه الفكري او على مستوى السكن التقليدي والذي يجعل اكثر من نصف السكان لا يرغبون فيه . ولهذا طرحنا أسئلة متعلقة بالمبني.

● الحرمة والخصوصية:

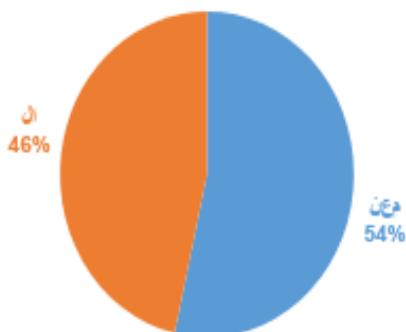


بعد انتشار البنيات متعددة الطوابق أصبح سكان المنازل التقليدية لا يسعه استغلال فناء منزله كما في السابق،

وهنا عند طرح هذا التساؤل على اهل المنطقة من خلال الاستبيان الإلكتروني رد 27 % منهم بالإيجاب حيث يرون انهم لا يمكنهم اجراء تجمعات عائلية بفناء المنزل بسبب ذلك، كما انه جرت العادة في المنطقة ان أي جار يريد استعمال السطح يعلم جيرانه بتبييفهم. هنا البوية المجتمعية تأثرت بالتغيير العمراني فبالتدرج بدأ استغلال الفناء يضمن

العوامل الطبيعية :

● التيارات الهوائية:



يرى 54 % من افراد العينة المدروسة ان التيارات والرياح الهوائية تخلق مشاكل كثيرة منها تطاير الرمال

بالفناء وانتقاله الى الغرف بالإضافة الى انه هناك اختلاف في درجة الحرارة

بين الفناء والغرف فإذا أراد أي فرد التنقل بين مراافق المنزل يتوجب عليه المرور بالفناء ليكون في عرضة لهاته التيارات الهوائية خصوصاً الباردة منها شتاءً والساخنة في منتصف يوم الصيف الحار.

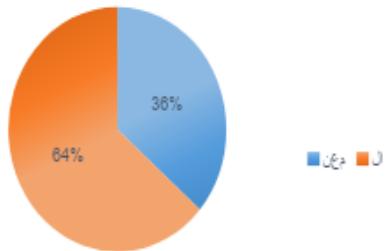
● الرطوبة:



يتأثر الجبس بعامل الرطوبة بشكل كبير إذا كان معرض لها لفترات طويلة ما يظهر لنا من خلال تفقد حال المنازل بالمنطقة نلاحظ وجود أماكن بالأجزاء السفلية للجدران ظهر عليها التلف ووقع لها تنافر طبقة الجبس والطلاء وهذا يرجعه البعض إلى أنه من جراء تسربات المياه بقرب من هاته الجدران، فيما الأجزاء العلوية منها والأسقف تبدوا سليمة من هذا التأثير.



• الامطار



رغم قلة الامطار بالمنطقة مما ورد عن سكان المنطقة الا ان تأثيرها في اوقات هطولها لفترات طويلة يظهر للعيان، حيث تحدث تسربات لمياه الامطار لداخل الغرف ومختلف مرافق المنزل او تظير بقع لتأثير المياه على القباب. حيث تبين لنا من خلال نتائج الاستبيان ان 36 % من العينة فقط من يرون ان الامطار تخلق سبباً لتفكيك في التخلي عن العمارة التقليدية.

• درجة الحرارة:

رغم ان الطقس حار صيفاً وبارد شتاء، الا ان درجات الحرارة داخل المنزل تكون مقبولة مقارنة بالبناء المعاصر في نفس الظروف ومن خلال الاستبيان نجد ان 16 % من يرون ان مشكلة ارتفاع وانخفاض درجة الحرارة مطروح على مستوى البناء التقليدي. فهذا البناء الذي عاش في وسط الصحراء كان له الأثر البالغ في التعايش مع الحرارة المرتفعة وهذا ما ميزة المنطقة

● التشققات والتصدعات:

من خلال اللقاءات مع سكان المنطقة وطرح التساؤل تبين لنا ان العديد من المنازل تعاني من التشققات الا انه يظهر بشكل أكثر وضوحا في السكنات التقليدية، الا انها تظهر اقل في البناءات التي اضيف لها

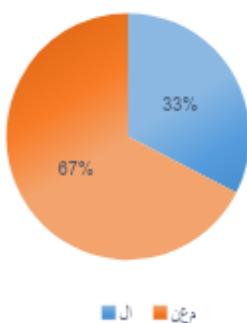
الحديد



لها الحامل الجدار مع القبة النقاء مكان في تصدع 7 الصورة

● التكلفة العالية لمواد

البناء واليد العاملة:



من اهم الاسباب التي جعلت المواد الأولية ترتفع أسعارها هو ندرتها والتي ترجع بدورها الى صعوبة

استخراج حجارة التافرة المستعملة في صناعة الجبس وحجارة اللوس والمستعملة في عملية البناء، مما جعل العمال يبحثون على نشاطات أخرى. ومن خلال الاستبيان تبين لنا انه 67 % يرون ان أسعار هاته المواد مرتفعة وغير متوفرة ليصعب بذلك استغلالها في عملية البناء. بهذا بدأت هوية العمارة تتلاشى بسبب المواد الأولية

المناقشة:

من خلال القيام بالزيارة الميدانية للمنطقة ونتائج الاستبيان يمكننا القول ان من اهم اسباب التي أدت الى التوجه نحو البحث عن بديل للعمارة المحلية دون إيلاء أي أهمية الهوية والتراث المعماري للمنطقة هو نقص الوعي بأهمية المحافظة على التراث، بالإضافة الى عدم إعطاء أهمية لمبادئ الاستدامة في انشاء أي مشروع معماري حيث يتم بناء مباني معتمدين فيها على الطاقة الكهربائية في الإضاءة والتهوية والتبريد والتدفئة، التي تعتبر حلول تكنولوجية دون توظيف المعطيات البيئية للمنطقة وتشويه المنظر الخارجي حتى للبناء التقليدي الذي يعاني من ارتفاع حرارة الاحياء المجاورة له بسبب الاسفلت والمكيفات الهوائية .

فالمنزل التقليدي بالمنطقة انطلق من كونه غرف تتموضع طوليًا بجانب بعض ثم تم الحاق غرف ومرافق أخرى كلما دعت الحاجة الى ذلك، حيث كان دوما عرضة للرياح والتيارات الهوائية والتي تجنّبها السكان في السابق بتوجيه الغرف مع اتجاه التيارات الهوائية لتفاديها، بالإضافة الى ان الغرف كانت ارضيتها رملية في السابق ما جعل مشكلة الاتربة غير مطروح الى ان تم استبدالها بأرضية من الجبس. كما تبين لنا

من خلال المعاينة الميدانية ان المباني التقليدية لا تحمل التعرض للرطوبة لفترات طويلة خصوصا في الأماكن التي لا تتعرض لأشعة الشمس بكثرة والذي ارجعه اهل المنطقة الى انه هناك اختلاف في كيفية وكمية المياه المستعملة داخل المسكن بين الماضي والحاضر حيث كان يتعمد حصر استعمال المياه في منطقة واحدة وعزلها عن البيت لتفادي الاضرار بالإضافة الى ان المياه كانت يتم جلبيها للبيت بواسطة الدلاء والجرار ولندرتها يتم المحافظة عليها عكس الوقت الحاضر صارت المياه متوفرة في الحنفيات بالمنزل مما جعل رقعة استعمالها تتسع، فاغفل المواطن اثرها على المبنى وتناسي أهمية المحافظة عليه .

وهذا الذي تسبب في ضياع موروث ثقافي يعكس اصالحة الصحراء بترت فيها هوية المكان والزمان فالم منطقة بدأت تسير نحو المدن الأخرى بدون رسم للهوية التي توارثها جيل بعد جيل لوقت قريب وما زال البعض يتمسك بهذه المناطق المعمارية .

وتعتبر العمارة
بمدينة قمار نتاج
فكري لسكان
المنطقة في محاولة
لتوفير عمارة تلبي
الحاجات اليومية
وفقا لمبادئ
واساسا تبلور في
المرجعية الدينية
لأهل المنطقة



والعرف السائد بها، رغم قلة الإمكانيات للسكان المنطقة في السابق لا انهم
اجهذوا في تطوير هذه العمارة والمحافظة عليها، ولحد الان هناك اجهادات
من اهل المنطقة لتطويرها حيث نجد ان البعض منهم استعمل الخرسانة
المسلحة في الاساسات والاعمدة فيما اقام الجدران والاسقف باستعمال
الجبس، في ما قام البعض بتغليف الاسطح بالأسفلت (القار) من اجل عزل
السقف ومنع تأثير الامطار عليه ،

من خلال ما سبق يمكن القول ان من اهم العناصر المعمارية التي
تعكس الهوية لمدينة قمار

الجبس: هي مادة البناء التي استعملت لتشييد المباني بالمدينة القباب
والادemas: حيث لا يمكن ذكر مدينة قمار دون ان تخطر ببال من عرف
العمارة التقليدية بها القباب والادemas. السباتات العمومية وداخل

المنازل: التي لم تقتصر استعمالاتها على فئة معينة من المجتمع ولا فترة زمنية من السنة الزخارف: انطلاقاً من التلبيس إلى الزخارف المعقّدة وفن النّقش على الجبس الذي تفنن فيه أهل المنطقة التصميم الداخلي للمنزل: إن المنزل التقليدي بقمار ارتبط تصميمه بمبادئ الحرمة حيث لا يخلو منزل من السقيفة أو المدخل هو ممر صغير يأتي بعد الباب الرئيسي ليكسر مجال الرؤية بين المارفي الشارع وفناء المنزل، كما لا يخلو المنزل من السبات حيث من لوازم المنزل التقليدي بالمنطقة.

IV. الخاتمة:

تمثل العمارة الصحراوية بمدينة قمار نسيجاً عمرانياً فريداً يحسد **الهوية الجماعية** للسكان، حيث تتفاعل القيم الروحية والبيئية مع حرافية البناء التقليدي، لتنتج فضاءاتٍ عمرانية تُعبّر عن حكاية مكانٍ وتاريخ شعب. فالقباب المتناغمة مع خط السماء، والأدماس المزخرفة بأنامل حرفية المنطقة، والأفنيّة التي تجيّس خصوصية الحياة العائلية، ليست مجرد عناصر معمارية، بل هي رموز للذاكرة المجتمعية والانسجام مع البيئة الصحراوية. غير أن هذا الإرث يواجه اليوم تحدياتٍ وجودية تهدّد بقاءه، بدءاً من التدخلات الحديثة غير المدروسة، مثل إدخال أنظمة مياه داخلية تسبيّت في تفاصيل الرطوبة، ومورداً بسياسات الإسكان الحكومية التي تحوّل المساكن التقليدية إلى كتل إسمنتية تفقد المدينة روحها، وانتهاءً بالتغييرات الاجتماعية التي تفضّل النمط الغربي على حساب التراث المحلي. هذه العوامل مجتمعةً تهدّد بفقدان الهوية المعمارية التي صمدت لقرون. لكن الحل لا يمكن في رفض الحداثة، بل في إعادة تفسيرها عبر عدسة

الهوية المحلية. فدمج التقنيات الحديثة – كمواد العزل الحراري والمائي – مع التصميم التقليدي يمكن أن يُحيي القباب والأدomas بأداءٍ أفضل، بينما يمكن توجيه سياسات الإسكان لانتهاج العمارة التقليدية بعد دعمها في تنفيذ مشاريع الإسكان المستقبلية، مع تشجيع السياحة الثقافية لتعزيز الوعي بأهمية التراث. كما أن تمكين المجتمع المحلي من ابداء آرائهم س يجعل منهم شركاء فاعلين في الحفاظ على تراثهم، بدلاً من أن يكونوا متلقين سلبيين للتغيير.

في النهاية، فإن الحفاظ على عمارة ليس مجرد إنقاذ للمبني او طابع معماري معين من الزوال، بل هو حماية لرواية ثقافية تقدم دروساً في الاستدامة والتكيف مع البيئة، وتُثري التنوع الحضاري الإنساني. تحقيق هذا الهدف يتطلب رؤيةً متوازنة ترفض الانقطاع عن الماضي، ولكنها لا تخشى حواراً خلاقاً مع الحاضر، حيث تصبح العمارة جسراً بين الأجيال، وشاهدأً على إبداع إنسان الصحراء في صياغة جماليات البقاء.

القائمة библиография:

- 1- باهي، أ. ف. (2018). أفران الجيس التقليدية ودورها في تنشيط الحركة العمرانية في وادي سوف مطلع ق 20. مجلة كابس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2(2)، 367-348.
- 2- حسونة عبد العزيز. (2015). عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف -مدينة قمار نموذجا-. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 7(22).
- 3- الفرجاني، محمد الصغير، د.. والفيتوري، عبد الباسط محمد، د. (2023). ملخص الاستدامة البيئية في المساكن التقليدية بالمدن الصحراوية الليبية: غدامس كحالة دراسية. مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، 8(15)، 139-151.
- 4- لمحنط، علي. (2014). الاستدامة في العمارة وإشكالية المحافظة على التراث العمراني في المدن الصحراوية: مثال مدينة قمار بوادي سوف. [رسالة ماجستير، معهد تسيير التقنيات الحضارية، جامعة قسنطينة 3].
- 5- الوردي، طرافق. (2018). مظاهر العمارة الإسلامية الصحراوي بوادي سوف "الأعشاش نموذجًا". مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 18(غير متوفّر)
- 6- عثماني، الجباري. د. (2016). العمارة والعمان في وادي سوف (1845-1900) مبعيون الرحالة والمستكشفين الفرنسيين. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 5(17)، 27-37.

بعض الملامح السلبية للعمارة الكولونيالية في الجزائر

ط/د. سارة حمورة

دار القرآن المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية

جامعة الجزائر

مقدمة

ان العمارة هي الشاهد المادي و الحقيقى لكل حضارة، حيث تعكس ثقافة و هوية مجتمعاتها، فالاختلاف و التنوع في الأنماط المعمارية على مر العصور و الفترات الزمنية، يرجع الى تنوع و اختلاف ثقافة الشعوب و خصوصياتها من حضارة الى أخرى، فالهوية المعمارية هي مطلب أساسى يسعى كل مجتمع الى بلوورتها و تشكيلها، فهي المستند و الركيزة لإبراز المقومات الثقافية و قيمها المجتمعية، خاصة في خضم مقتضيات الوقت الراهن، وكثرة التحديات المعاصرة، كالعولمة و الحداثة و هيمنة النمط المعماري الغربي، فمسألة الهوية تشكل هاجس حقيقي للمجتمعات القيمية التي لا تزال تتمسك بتراثها و موروثها الثقافي .

فالجزائر تمثل مجتمعاً أصيلاً له تراث غني، غير أنها تعاني أكثر من غيرها من البلدان في موضوع الهوية عامة، والهوية المعمارية خاصة، وذلك يرجع ربما بسب الاحتلال الفرنسي الذي دام (132 سنة)، فطول هذه المدة أحدث شرخاً عميقاً، وقطيعة مستمرة بين الماضي و الحاضر، أي بين

العمارة المحلية قبل الاحتلال، ذات الطابع الإسلامي، التي كانت تزيد من لحمة المجتمع وقوته تماسكه، وتعينه على قيمه كحسن الجوار، والحرمة، والتعاون، والضيافة... وغيرها الكثير من القيم والأخلاق الإسلامية، وبين العمارة الحالية العشوائية، والخالية في معظمها من معالم الهوية الجزائرية ، والتي افقدت المجتمع روابطه و جرده من قيمه. فالعمارة الكولونيالية هي مرحلة مهمة من تاريخ العمارة في الجزائر، ولا نستطيع التحدث أو فهم موضوع الهوية، و ما آلت اليه العمارة في الجزائر دون النطرق اليها، فتعتبر مرحلة مفصلية عرج فيها منحى العمارة في البلاد، فكما يقول المنظر الإيطالي "غوستافو جيوفانوني"¹ أن النتيجة المعمارية المتحصل عليها حاليا في المدينة ما هي الا نتاج التجارب و تراكم الطبقات السابقة. ومما يزيد موضوع العمارة الكولونيالية في الجزائر أهمية، هو ثقلها في الساحة المعمارية والمعمارية من حيث كثرة عدد المنشآت وتنوعها، وبسبب واقعها المعاش في المجتمع الجزائري، فهي لا تعتبر مرحلة تاريخية قد مضت، بل لا تزال حاضرة ومؤثرة على المشهد المعماري، فهي ذاكرة ل بتاريخ متجرد، وواقع لمجتمع يتأثر، فهي تأثر بطريقة مباشرة او غير مباشرة على المجتمع و هويته وخصوصيته. فمكان اليوم كانت له ذاكرة بالأمس، وهذا ما قاله "بيار نورا" عن أماكن الذاكرة lieu de mémoire "في أي كيان ذو أهمية، سواء كان مادياً أو غير مادي، أصبح بفعل الإرادة البشرية أو تأثير

¹*مهندس معماري و عمراني ، خبير في التراث ، و منظر في المجال، قال في كتابه "l'urbanisme face aux ville ancienne" أن المدينة مجرد طبقات تراكمية سابقة . « la ville comme palimpseste ».

الزمن عنصراً رمزاً في التراث التذكاري لأي مجتمع.¹ وقد تجلّت هذه التأثيرات التي مسّت الهوية المعمارية عبر تدمير النسيج العمراني التقليدي، وطمس المعالم التاريخية، وإحلال أنماط معمارية غريبة عن السياق الثقافي والاجتماعي المحلي، وغيرها من الأساليب المعمارية المختلفة التي حاولت التأثير سلباً على العلاقات الاجتماعية، وعملت على تكريس الطبقية والعنصرية، فحاولنا من خلال هذه الورقة، استعراض بعض من هذه الملامح والتأثيرات السلبية للعمارة الكولونيالية، دون الإحاطة بها كلها.

اعتمدت في هذا البحث على الكثير من المصادر الأدبية والارشيفية المختلفة، من أهمها: كتاب فرنسي صدر سنة 1855 بعنوان: Manuel JULES DUVAL Descriptif Et Statistique De l'Algérie وصف فيه أحوال الجزائر، في عدة مجالات، إدارية واقتصادية وغيرها، خلال هذه الفترة، وركز في الأخير على موضوع "تحرير المرأة العربية" وتجريدها من هويتها من خلال العمارة، كما سيتضح لاحقاً. أيضاً كتاب الجزائر "Alger" ل George Guiauchain، عام 1905، والذي تحدث فيه عن أحوال مدينة الجزائر قبيل الاحتلال وبعدها، مع دراسة مميزات المجتمع الجزائري ومختلف أعراقه، العادات، الحرف، والبيئة المعمارية المحلية، لا أنه لم يخلوا من الفكر الاستشرافي والكولونيالي. خاصة في محاولة دمج العمارة المحلية بالعمارة الفرنسية وبما يخدم مصالحهم على حساب هوية المجتمع الجزائري. ودراسة مشروع مدينة نابليون الثالث.

¹ - Pierre Nora. Realms of Memory: Rethinking the french Past .Columbia University Press. 1996, vol 1. p 18.

Etude pour l'avant-projet d'une cité Napoléon-ville à établir sur la place de Mustapha à-Alger . Frédéric Chassériau 1858 للمهندس حيث وثق فيها عدة معلومات ارشيفية، و تمثل أهميتها في أنها خطاب عمراني سياسي، يشرح أوضاع تلك الفترة. وغيرها من المصادر الأخرى القديمة منها أو الحديثة والتي لا تقل أهمية عن الأخرى، وقد تم ادراجها كلها آخر هذه الورقة.

الإشكالية:

تعتبر العمارة انعكاساً للبنية الاجتماعية والثقافية لأي مجتمع، فهي ليست مجرد هيكل مادية، بل فضاء يعيد تشكيل سلوك الأفراد والتفاعل الاجتماعي، وهذا ما يراه كورت لوين (Kurt Lewin) أن "البيئة تؤثر بشكل جوهري على سلوك الإنسان، حيث تشكل الفضاءات العمرانية إطاراً نفسيًا يوجه تصرفاته ويحدد طريقة إدراكه للعالم من حوله". فالعمارة لا تقتصر على تلبية الاحتياجات الوظيفية، بل تؤثر في أنماط العيش، وتُعيد إنتاج القيم المجتمعية أو تُغيرها. ومن منظور ابن خلدون أيضاً، حيث أشار في مقدمته إلى العلاقة القوية والمترابطة والمترادفة بين العمران البشري وما ينتجه من عمران مدني، فالمجتمعات الحضارية تُنتج عمارة تحافظ على القيم الجماعية، بينما تُنتج المجتمعات التي تعاني من الانفصام الهوياتي، عمراًًا مشوشاً يعكس حالة الاضطراب الاجتماعي. ومن هنا، فإن العلاقة بين العمارة والمجتمع علاقة تبادلية، إذ تؤثر العمارة في تشكيل المجتمع، تماماً كما تؤثر التحولات الاجتماعية والثقافية في تشكيل العمارة. وبدوره يميز المجتمع الجزائري، بروابطه الاجتماعية المتينة القائمة على قيم

التكافل والتضامن، حيث أن الأسرة هي النواة الأساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية، وهي اللبنة الأساسية لبناء المجتمع، حيث أن القيم الأخلاقية المستمدّة من الدين الإسلامي والتقاليد المحلية تشكّل الأساس في العلاقات بين الأفراد. فكان مبدأ (التعاون الجماعي) راسخاً في المجتمع، وغبرها من المبادئ، كما كانت المدينة التقليدية بتركيبتها المعمارية والعمارية الخاصة، تعكس هذا النمط الاجتماعي وتعزّزه. لا أن الاحتلال الفرنسي حاول قلب هذه المعادلة، واستعمل في ذلك العمارة الكولونيالية كأدّاة فعالة لإعادة تشكيل المجتمع الجزائري، وفق رؤية المحتل وبما يخدم مصالحه. فلم تكن هذه العمارة مجرد إضافة معمارية إلى النسيج الحضري، بل كانت وسيلة لإعادة صياغة المدينة، بطريقة تتنافى مع أساليب العيش التقليدية، حيث فرضت أنماطاً معمارية لا تعبر عن الثقافة المحلية والخصوصية المجتمعية، مما جعلها عاملاً رئيسياً للتأثير سلباً على الهوية المحلية، وإحداث تحول عميق في أنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية. فمن خلالربط بين العناصر السابقة، يبرز تساؤل جوهري حول سلبيات العمارة الكولونيالية على الهوية والمجتمع في الجزائر: فكيف اثّرت هذه العمارة سلبياً على هوية الجزائرية؟ وما مدى هذا التأثير على العلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية؟ وهل أدّت هذه التحوّلات إلى خلق نموذج عمراني هجين أفقد المدينة الجزائرية أصالتها وهويتها؟

II. أهم المحطات في تاريخ العمارة الكولونيالية في الجزائر:

هناك الكثير من الكتب والمصادر القديمة والحديثة، التي تحدثت عن المراحل التاريخية التي تشكّلت بها العمارة الكولونيالية في الجزائر، وتنوعت

تقسيماتهم، كل حسب السياق الذي كان فيه، وفي سياق هذا البحث، سيتم التركيز في هذا التقسيم على أهم المحطات التي كان فيها التأثير السلبي واضحاً على الهوية والمجتمع الجزائري، من خلال المراحل المذكورة في كتاب "دراسات في التخطيط العمراني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية" لمعاوية سعیدونی، ولكن سنقتصر بالدراسة إلا على الفترة الممتدة من 1830 إلى 1930 للأسباب التالية:

- أن المراحل الأولى للاحتلال الفرنسي كانت تشكل البدایات للسياسة الكولونيالية، وأساساً لما بعدها.
- أن الأنماط المعمارية التي تبنتها السياسة الكولونيالية في هذه الفترة، لها قبول معتبر في المجتمع والطبقة المثقفة من مختصين في المجال وغيرهم، من حيث جماليتها، تراثيتها ودمجها للعناصر المحلية، فوجب علينا تبيان التأثير السلبي لهذه المظاهر المعمارية وتركيز عليها.
- أن الفترة الأخيرة 1930-1962، (غير موضوع الدراسة) التي بدأت فيها العمارة الحداثية *architecture moderne*، تمثل موضوعاً يكثر ويطول التفصيل فيه، نظراً لتنوع المشاريع في تلك الفترة، وتنوع السياسات المعمارية وال عمرانية، وأنها تعتبر محلاً للنقد أكثر من الاعجاب عند نفس الفئة السابقة.

وسنركز في هذه الدراسة أيضاً، على مدينة الجزائر -على سبيل الإيضاح لا الحصر- باعتبارها النموذج المثالي الذي يحتذى به في بقية المناطق، والمركز

الأسامي لدراسة العمارة الكولoniالية. وقد حاولنا تقسيم هذه المراحل على الفترات التاريخية التي شهدت مشهداً معمارياً خاصاً بها، واستناداً لما

1. المرحلة الأولى: 1830 – 1855 (المدينة العسكرية) شهدت هذه المرحلة هيمنة الطابع العسكري، من حيث المشاريع التي كان يشرف عليها ضباط سلاح الهندسة العسكرية (Génie Militaire De L'armée d'Afrique)، فقد كانت مهمتهم تعتمد أساساً على تحويل المجال الحضري القديم بشكل جذري¹، أي تطويق المدينة وحصرها في مجال محدود، ومن أبرز مشاريع هذه الفترة:

● المسرح (*théâtre des rue des consuls*): كان أول مشروع معماري كولونيالي، كما قال هنري كلان "إنجلترا بدأت استعمارها بسكة الحديد، إسبانيا بالكنيسة، وفرنسا بالمسرح" ، فهذه البداية المعمارية، تعكس رغبة المحتل الفرنسي في الهيمنة الثقافية كمشروع أولي لأهميته، فاستغلت بذلك المسرح لإظهار ثقافتها وهويتها الفرنسية والأوروبية، للشارع المحلي، ومنه محاولة لتفكيك أواصر الهوية المحلية لدى المجتمع الجزائري.

● تهيئة ساحة السلاح (*places d'armes*): ولعل التسمية تدل أكثر على الطابع العسكري لهذه الفترة، فقد كانت هذه الساحات، مقراً لاستعراض المجتمع الأوروبي، وابراز ثقافتهم وهويتهم من خلالها "فكانَت هذه الساحة بمثابة منتدى حقيقي حيث كان يجتمع كل يوم المسؤولون المدنيون

¹ معاوية سعيدوني. دراسات في التخطيط العمراني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية. 2015. ص 21.

والعسكريون من جميع الرتب للاختلاط بالبرجوازية الجزائرية، وفي المساء جمعت الموسيقى العسكرية المجتمع بأكمله¹



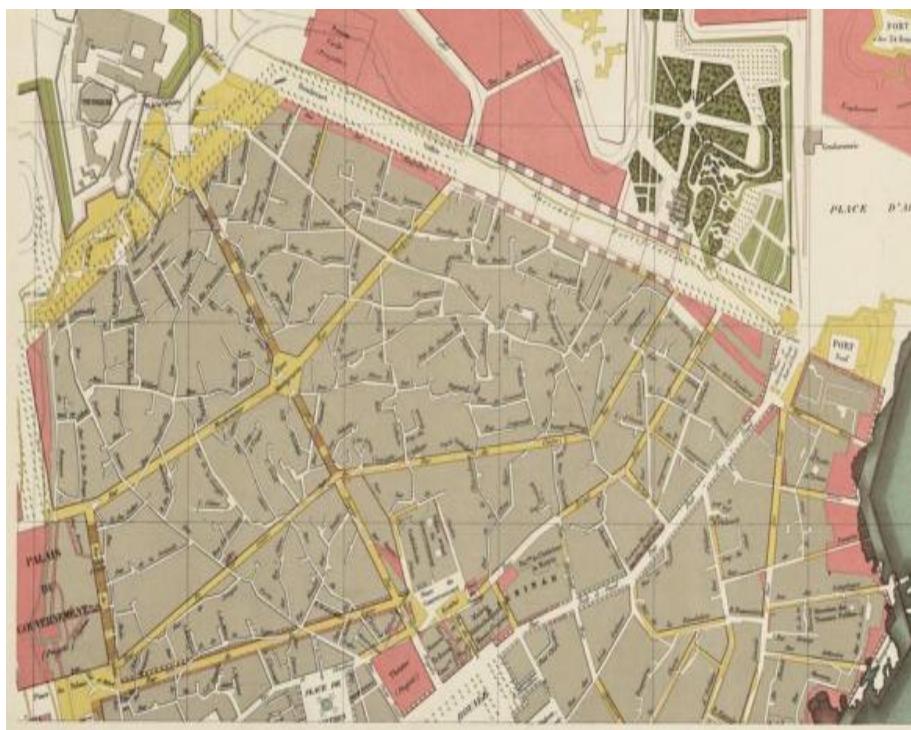
صورة 01: تظهر ساحة (السلاح - الجمهورية) بها تمثال دوق أورليان، ملتفتاً إلى المسجد بظهره. عام 1849 في عيد الرب

المصدر: Archives de l'Archevêché d'Alger

نلاحظ من خلال الصورة، طريقة ابراز مظاهرهم الثقافية والدينية في الساحات المكشوفة على الجمهور، مع حضور قوي للمجتمع المحلي المتواجد حتى على سقف الجامع الجديد، وعلى مختلف المنازل يرقبون هذه الاحتفالية، وهذا ما أرادته السلطة الاحتلالية ان تكشف عن هويتها لإيمانهم وجندهم اليها.

¹- Guiauchain G. Alger . edition de l'imprimerie algérienne . 1905. P 29

كما شهدت هذه المرحلة، تجاهل المدينة الإسلامية من قبل السلطات الفرنسية، بالتعالي علىها، أو الانتفاع منها واستغلالها، فشقوا فيها الطرق والشوارع المستقيمة والساحات الفسيحة، وقاموا بهدم الكثير من المنشآت، وانهال حرمة المساجد، وتملك أبرز الأماكن، كالقصور والديار المميزة، مبررين بذلك افعالهم، بأسباب صحية وتنظيمية وأمنية، تستدعي ذلك.



مخطط 01: يوضح اختراق مساكن القصبة لإقامة الطرقات المستقيمة

1847

المصدر: BNF

وانتهت هذه المرحلة بمحاولة فصل المدينة الأصلية عن المدينة الجديدة، أي الفصل بين العشوائية والتنظيم، أو بين المشهد المشوه والمشهد الفني الجميل، باعتبارهم أن المدينة التقليدية غامضة، متسخة، ضيقة، غير نظيفة الهواء، دروها صعبة¹ وغيرها من الاوصاف الممينة للمدينة الإسلامية التقليدية، ولا يزال هذا الفصل بين هذين المحيطين قائماً ليومنا هذا ذهنياً ومادياً، في مدينة الجزائر يشعر به كل زائر لها.²

2. المرحلة الثانية: 1855-1885: (المدينة المدنية)

تعتبر هذه المرحلة نقلة مهمة في كيفية تصور المدينة، بحيث بدأ المجتمع المدني الأوروبي أو الاستيطاني يطالب السلطات بمدينة نموذجية كالمدنية التي في أوروبا، والرغبة في التحرر من القيود العسكرية التي فرضتها سلطات سلاح الهندسة في المدينة، فقد كان هناك صراع كبير بين الجهات.

و مع زيارة نابوليون الأول للجزائر سنة 1860 ، والثانية 1865 ، بدأت مظاهر التمدن تزداد ، بإقامة المعالم المعمارية ذات الجمال الكلاسيكي في الميادين الواسعة ، لإبراز هيمنة وسيطرة عمارة المدينة الجديدة على المدينة القديمة (التقليدية) ، و جعلها النموذج الأمثل و الذي يحتذى به في الرق و الحضارة المجتمعية ، فبدأت السلطات الكولoniالية في هذه الفترة باستيراد نماذج السكنات الهوچمانية ، ك قالب جاهز للوضع دون الاقتراض للطبيعة

¹- JULES DUVAL. Manuel descriptif et statistique de l'Algérie. Editeur de la revue d'orient d'algerie.1855. p110.

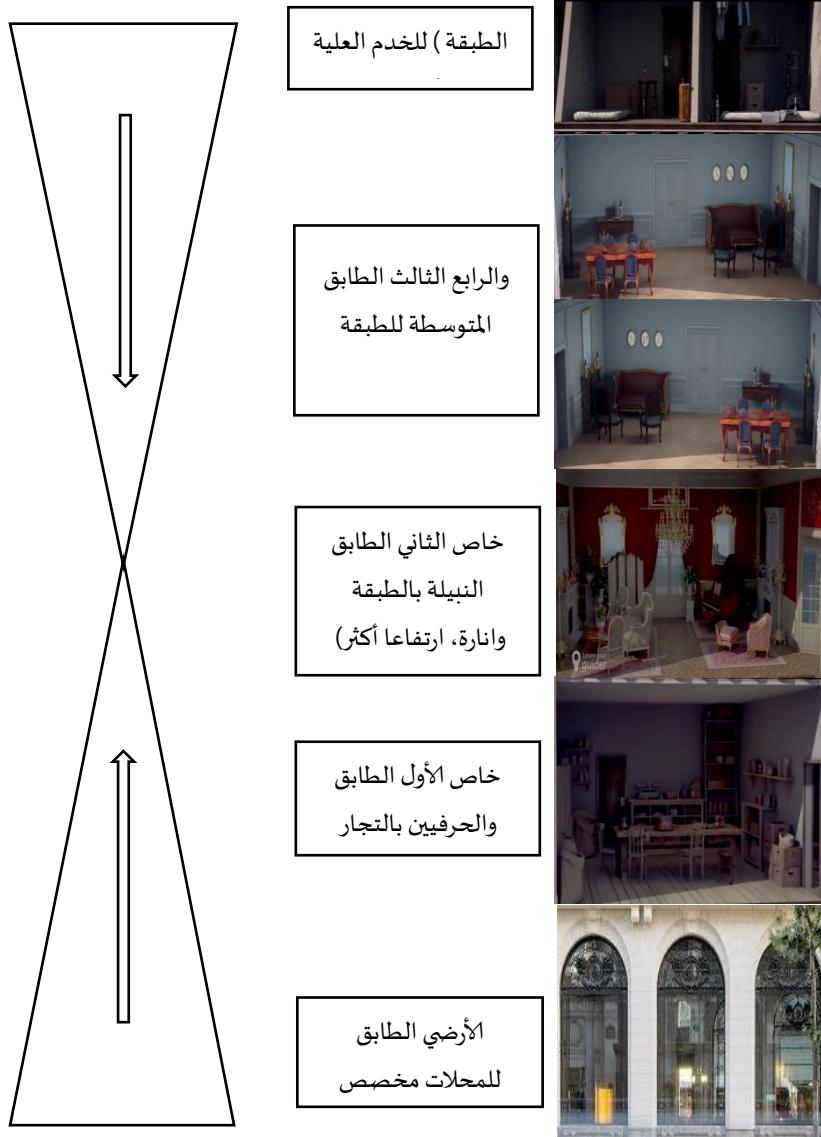
²- معاوية سعيدوني. دراسات في التخطيط العمراني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية . - 23. القافلة. 2015. ص

المكانية و الخصوصية المجتمعية، فكلما كانت المدينة مدنية للمجتمع الأوروبي كلما كانت عمارتها مشابهة للعمارة الأوروبية .



صورة 03-02: توضح نموذج لـ immeuble de rapport haussmannien الواجهة الخرجية على اليسار و تقسيم الطوابق اجتماعيا على اليمين.
المصدر: Stéphane Bern and Lorànt Deutsch. The crazy adventure of Haussmannian Paris.youtube

نلاحظ في الصورة العلاقة المتناسبة بين المظهر الخارجي والداخلي لهذه السكنات، حيث ان الطابق الاكثر ديكورا وزخرفة في الواجهة، هو الاكثر رفاهية وثراء في الداخل، وهذا يعكس اظهار الطبقة الاجتماعية على الواجهات المعمارية، وفلسفة هيمنتها على المجتمع.



مخطط توضيحي 01: يوضح كيفية تقسيم الطبقات الاجتماعية المختلفة داخل السكنات الهوصمانية

المصدر: الكاتب

نلاحظ من خلال هذا المخطط مدى التفرقة الاجتماعية داخل المبني الواحد، من الطبقة الفقيرة إلى الطبقة الغنية على شكل هرمين مقلوبين يلتقيان في المنتصف، مركز المبني والميئنة الطبقية.

نذكر أيضاً أن من ابرز مشاريع هذه المرحلة، مشروع جادة واجهة البحريّة (جادة الامبراطورة او جيني) للمهندس المدني فديريك شاسيريو: والتي كانت بنفس النمط السابق، فيعتبر هذا المشروع البناء الأولى لهذه المدينة الجديدة التي كانت تسعى لترسيخ التواجد الاستعماري على حساب المدينة القديمة، واقتبس هنا في هذا الصدد ما أرسله هذا المهندس إلى نابليون الثالث - حول دراسة مشروع سابق له (لم يتم إنجازه)، حيث أن هذا الخطاب يعكس طريقة تفكير أغلب المهندسين في تلك الفترة : "لا ينبغي لنا أن ناسف على المنازل القليلة التي سيتم إزالتها بهذا العلاج البطولي، فهن لم نعد في زمن الخلفاء او بني سراج، لا شيء يذكرنا بين المغاربة، بقصر الحمراء في غرناطة او قصر اشبيلية ، او تلك القلاع المهيّبة في باليربو، وهي نماذج من الهندسة المعمارية التي لا نجد لها هنا سوى تقليد ببرلي، فلن تفقد الفنون شيئاً وسيتم تطهير المدينة".¹

¹ - Frédéric Chassériau. Etude pour l'avant-projet d'une cité Napoléon-ville à établir sur la place de Mustapha à-Alger .imprimerie Doubos frères. 1858. P7

فقد غير مشروع جادة الجمهورية صورة الجزائر للقادم إليها من بعيد، فحجب بذلك المدينة القديمة وعمارتها وأظهر الواجهة المعمارية الأوروبية، كالباب الفرنسي الذي يفتح على الجزائر وافريقيا، وهنا تتجلى قمة الهيمنة والسلطة الاحتلالية، باستعمال الهندسة المعمارية (العمارة السلطوية حسب منظور ميشال فوكو¹).



صورة 04: تظهر جادة الجمهورية مسيطرة على المشهد العمراني للجزائر.
المصدر: Getty image

¹ - Michel Foucault, Discipline and Punish: The Birth of the Prison, 1975



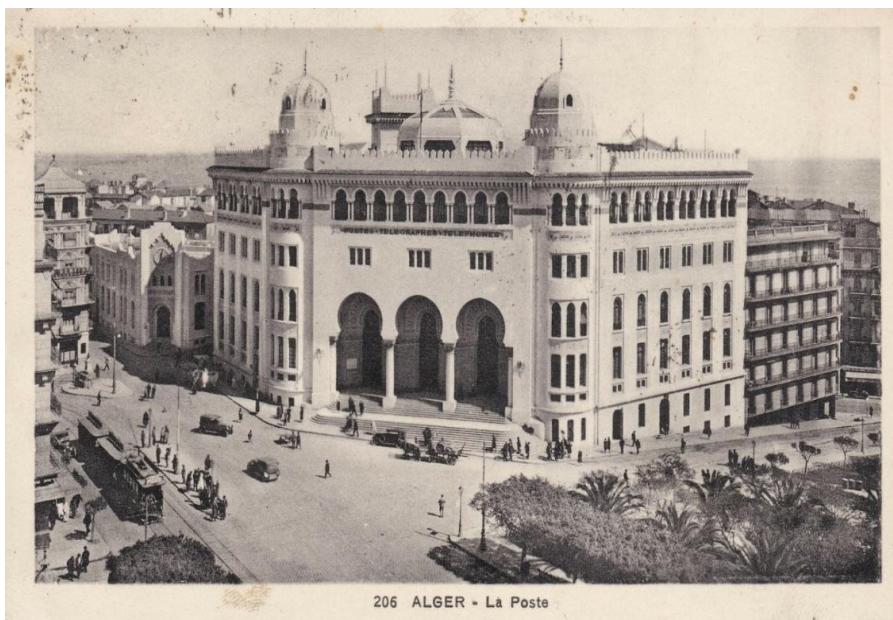
صورة 05: تظهر الهوية المعمارية الجزائرية قبل الاحتلال. المصدر: VISTA DE LA PLAZA DE ARGEL 1783 BNE

من خلال الصورتين نلاحظ الفرق بينهما، فالتغيير في الواجهة البحرية وهويتها أدى إلى تغيير كامل في المشهد العماني والمعماري، والذهنية الفكرية والتصريرية للمدينة ومجتمعها.

3. المرحلة الثالثة 1885-1930 (المدينة الحضرية والأنماط المحلية)

تميزت هذه المرحلة بمشاريع عمرانية كهيئة الطرقات، سكة الحديد، الميترو وغيرها من المشاريع العمرانية الحضرية الكبرى، وفي هذه المرحلة تناقص اعتماد النمط النيو-كلاسيكي للمبانى الذي كان يهيمن على مراكز الاحتلال، واستبداله تدريجياً بالأأنماط المحلية، ومحاولة ادماجهما مع النمط

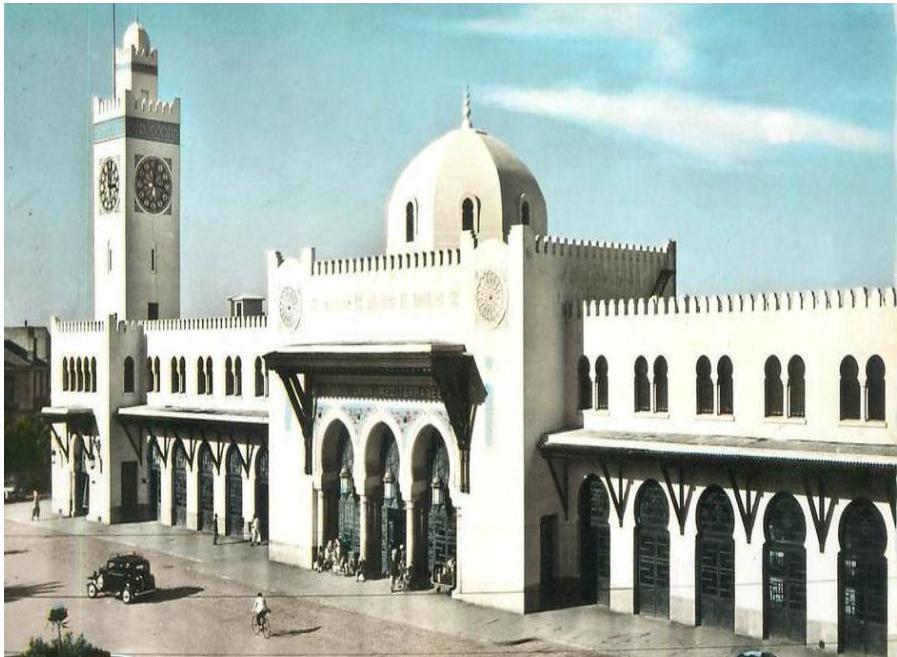
الأوروبي، غير أن النمط النيو-مورسكي للعمارة الكولoniالية، أعاد تجسيد العناصر المادية دون المعنوية للعمارة التقليدية، كما ظهر ذلك في عدة مشاريع.



صورة 06: توضح مركز البريد في الجزائر بنمط النيوموراسك، نلاحظ إعادة توظيف العناصر المعمارية المحلية شكليا. المصدر : GENEANET (cartes postale).

وقد حقق هذا النمط نجاحاً كبيراً، في استعمال العناصر المحلية شكلياً على الواجهات، وإعطاء طابع جمالي خاص وهجين في نفس الوقت، إلا أنه في بعض المشاريع، قدم صورة خاطئة لماهية المشروع، وهو عندما أعاد

استعمال هذه العناصر في غير محلها ووظيفتها، كما هو الحال في محطة النقل في وهران.



صورة 07: توضح محطة وهران ذات الطابع النيو-مورسكي.

المصدر: Getty image carte postale

تؤدي صورة هذه المحطة لمن يراها بأنها مسجد، اعتماداً على الشكل الخارجي ومن خلال العناصر المعمارية الدالة على رمزية المسجد كالقبة والمنارة، الاستعمال الشكلي دون دلالته الرمزية، يزييف حقائق البناء، أو تشويه رمزية العناصر المعمارية المحلية، كما أنه يفقد هذه الدلالات الرمزية من ارتباطها بموضوعها، أي محاولة تجريد العناصر المعمارية من هويتها. وإن تطبيق هذا النمط كان لأسباب سياسية أكثر من كونه هيكلة

معمارية، فقد أتى به الحاكم العام جونار 1903، لغرض سلمي ولاستمالة الجزائريين وتقبّلهم للاحتلال، بإظهار الهوية المحلية على العمارة الكولونيالية شيئاً فشيئاً، وما يؤكد هذا، القول التالي لغيوشان الذي كان مؤيداً لفكرة جونار "ان العمارة فن معقد للغاية ولا يمكن أن يتتطور بسرعة... وهي تعكس ببطء الحالة الفكرية والاجتماعية للبيئة التي تتطور فيها، وهي تكتب تاريخ الشعوب"¹ بالإضافة إلى نبذة هذا النمط حسب احتياجاتهم وثقافتهم، وعدم مراعاة الخصوصية المحلية فيه، كما قال أيضاً "والقدرة على تعديل الأشكال غير المتواقة مع احتياجاتنا... فإن النافذة هي عنصر مهم للغاية ... أرادها المغاربة صغيرة وقليلة... أما نحن فنريدها كبيرة وكثيرة العدد... فهي إطار لوحه بانورامي واسعة، متاحة للجميع... و يجب أن يكون التوزيع الداخلي مرضي لاحتياجاتنا والمظهر الخارجي مناسب لذوقنا"²، ومنه فالنمط النيو-مورسكي لم يكن إلا كذبة على المجتمع الجزائري لتجسيد الهوية المحلية، بل كان امتداداً لنفس السياسة الاحتلالية الاستيطانية ولكن بقالب آخر. ومن الأمثلة البارزة أيضاً في هذا السياق la maison centenaire، الذي أنشأ بمناسبة مئوية الاحتلال عام 1928، وكان بمثابة معلم ثقافي وسياسي للأجانب، لاكتشاف العمارة المحلية وسكن الأهالي، الذي تشكل من عناصر مختلفة كالسقية، وسط الدار، البيوت... وغيرها، إلا أن هذا المشروع كان منفتحاً على الخارج، ومنعزلاً عن المحيط، مجسداً مفهوم الفيلا الغربية، فتعتبر هذه

¹ - Guiauchain G. Alger. Edition de l'imprimerie algérienne. 1905. P.151

² - Guiauchain G..op.cit. p154.

المحاولة لتجسيد العمارة المحلية، محاولة فاشلة، لأن أساس السكتات في البيئة الإسلامية هو التجاور والتراس، واندماجها مع محیطها.¹



صورة 08 : la maison indigène centenaire

المصدر: eBay

¹ -Ben Hamouche Mustapha. L'architecture et l'urbanisme au Maghreb aux 19-20 siècles, cas d'Alger (1800-2000). Medina fondation 2017-2018. P 137-138.

III. بعض الملامح والتأثيرات السلبية للعمارة الكولونيالية:

من خلال ما سبق سنحاول استخراج بعض الملامح والتأثيرات السلبية الظاهرة والباطنة منها للعمارة الكولونيالية، وتقسيمها إلى ثلاثة مستويات:

1. على مستوى الهوية:

ان الهوية هي ذلك الكيان المعنوي الذي يتجسد في ثقافة الشعوب، فهي غير مرتبطة بمجال دون اخر، بل هي كل متكامل لكل المظاهر الثقافية، والهوية المعمارية هي جزء مهم وأساسي من الهوية الكلية، فكما قلنا سابقا ان العمارة هي الشاهد المادي لهذه الهوية، وبما ان موضوع الهوية موضوع حساس لجمعه لثلاثية أساسية: تكوينات الماضي وشخصية الحاضر ومحددات المستقبل.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع، حاول الاحتلال الفرنسي قدر المستطاع ان يضرب كيان الهوية الجزائرية، وأن يجردها من كل مقوماتها، فكانت العمارة الكولونيالية وسياساتها، سلاح فعال لهذه المهمة، من خلال ما يلي:

● محـوـيـةـ عـن طـرـيقـ الـهـدمـ:

ان من بين سياسيات الاحتلال التي ظهرت بقوة في المراحل الأولى، وقد وُثق ذلك من خلال كتابات بعض الفرنسيين، امثال غيوشان في كتابه "الجزائر": ...في عام 1830 كانت أسوار المدينة تحتوي على حوالي 12200 منزل سكني، ويمكننا أن نقدر أن أكثر من ثلث هذا العدد قد اختفى لأن تحت معاول عمال الهدم التابعين لبليدتنا، وبالتالي لا يزال هناك حوالي 8000 منهم، جميعهم تقريبا في الجزء العلوي من المدينة، وعدد قليل جدا

في الجزء السفلي.... لسوء الحظ فان أجمل هذه المنازل وأكثراها فخامة هي
التي اختفت..."¹



صورة 09: هدم جامع السيدة 1831

المصدر:

Description de l'Algérie vers 1835, illustrée des gravures d'A. Genet

¹Guiauchain G. Alger. Edition de l'imprimerie algérienne . 1905. P 18 -

فهدم التراث المحلي، هو محاولة اقصائية لهوية الآخر ومحوها تماما عن الوجود، فكل عملية هدم قام بها الاحتلال لأي عمارة كانت بسيطة او متميزة، أفقدت جزءا لا يعوض من الهوية المعمارية والتراث المحلي.

● انفصام في الهوية عن طريق المهيمنة:

لقد هدف الاحتلال من اعتماده النمط الأوروبي (النيوكلاسيكي)، اظهار التمايز والتباين بين الهوية المعمارية الأوروبية المهيمنة والسلطوية، التي كانت تتميز بالضخامة والفاخامة والانتظام، والهوية المعمارية المحلية، التي كانت تتميز بالبساطة والتواضع والتدخل، فهذا الفرق الشاسع بينهما في التركيبة المعمارية في مكان واحد، ولد انفصاما في الهوية او الازدواجية فيها، والذي لا تزال تعاني منه معظم مدن الجزائر، خاصة في مراكزها أين نجد هذا النمط مهيمنا أكثر.



صورة 10: توضح غياب الهوية المعمارية الواضحة (انفصام وازدواجية)
في القصبة

المصدر: المصوّر فاروق تومي

● تشويه الهوية بالأنمط المعمارية الهجينة:

كالنمط النيوموراسكي (دمج بين الثقافة المحلية والفرنسية)، الذي أحدث ضجة سياسية وثقافية في المجتمع الاستيطاني عندما بنته السلطات الفرنسية، بين مؤيد ومعارض، أما بالنسبة للمجتمع الجزائري فلم يكن هذا النمط معبرا عن هويته الحقيقة، بل الشكلية منها فقط، وأحيانا كان يستعمل بطريقة خاطئة مثل ما ذكرنا سابقا عن محطة وهران (الصورة 07).

فإنشاء صورة مشوهة (هجينة)، أو ناقصة (اظهار الشكل دون مضمون الثقافة المحلية)، يؤدي إلى مغالطات في تشكيل الصورة الهوياتية للطابع المحلي، والتي تضع تصورا خاطئا للأجيال اللاحقة، وهو ما نستطيع القول عنه بالتلعب بالهوية وانتاج هوية مشوهة.

ومما سبق، نستخلص أن سياسة الاحتلال قامت بعدة إجراءات معمارية مختلفة، حسب السياق التاريخي والسياسي التي كانت فيه، لأجل: محو الهوية أو انفصامها أو تشويهها، وكل هذه الأهداف وان اختلفت الأساليب، تصب في غاية واحدة وهي التأثير السلبي الآني (وقت الاحتلال) والمستقبل (الوقت الحاضر)، وهذا ما ثبته النظري ما بعد الكولونيالية، التي تحدث عنها ادوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" وفرانس فانون في كتابه "معدبون في الأرض"، التي تقول أن التأثير الكولونيالي يبقى في المجتمعات المستعمرة حتى بعد استقلالها ، وبالتالي فان للعمارة الكولونيالية تأثير مستمر على مستقبل الحياة المدنية. لما لها من تداعيات قوية على هويات الدول المستقلة، وذلك ما يجعل هذه العمارة والتعامل

معها، وضع في غاية الأهمية، كونه يرتبط في الكثير من النواحي بمسألة استعادة الهوية الوطنية.¹

2. على مستوى المجتمع الجزائري:

● ضياع هوية المجتمع بين المعالم، التماضيل وأسماء الشوارع:

تميزت العمارة الكولoniالية، بالنصب التذكاري للشخصيات المرتبطة بالأحداث التاريخية، وتسمية مختلف الشوارع و المنشآت بها، واقامة التماضيل المختلفة للجماد، النبات، الحيوان، الانسان، وحتى الالهة، وبالرغم أن المجتمع المحلي الاصليل لم تكن لديه هذه الثقافة (التجسيد)، الا أن التعود على هذه المظاهر في الحياة المدنية، يكسها نوعا ما طابعا من الشرعية والقبول² ، فهي تتواجد في كل من العمارة وال عمران، من البناءيات (ديكور الأبواب- السالم- الواجهات)، الى الميادين والساحات، فلا يขาด يخلو مشهد من العمارة الكولoniالية دونها.

¹ - بن حموش مصطفى. التراث الكولونيالي، الحيازة والترااث المتنازع فيما. ص 06-07

² - Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024.



صورة 11: تماثيل لتزيين الواجهة، مبني بالقرب من ساحة الشهداء

المصدر: Michael Runkel (2010)

فبالنسبة للنصب التذكاري لمختلف الشخصيات التي خلدت أسماء كولونيالية، فقد تم إزالة معظمها كنصب الدوق اورليان عام 1962، كسياسة اتبعتها الجزائر المستقلة، لتحرير الوطن من الرموز الاستعمارية، وكذا تغيير أسماء الشوارع من أسماء لأشخاص كولونياليين الى مكافحين وطنيين، الا ان هناك بعض منها لم يغير بعد، ولكن الاشكال لا يكمن هنا في عدم تغييرها كلها، بل يكمن في الشوارع والأماكن التي استبدلت اسماؤها، ولكن المجتمع طُبع عليه استعمال الصيغة الكولونيالية، كحي "لافيجري" (مبشر مسيحي)، الذي لا يزال يتداول، بالرغم من طول الفترة الزمنية (تعاقب أجيال)، وبالرغم من تغييره الى "المحمدية"، وهذا ما يؤكّد "ضياع الهوية" المجتمع الجزائري.

فحسب ما يفسره "بيار نورا" في قابلية تغير ذاكرة المكان: فالذاكرة تخضع للتذكر والنسيان، وهي عرضة للاستحواذ والتلاعيب، "فأماكن الذاكرة الاستعمارية، تعتبر عوامل محفزة في فرض بنية السلطة، وكذلك في تحديد الهوية واستمراريتها في السياق الاستعماري. فقد استمرت الواقع الرمزية لثقافة المستعمر في الاحتفاظ بأهميتها في الحقبة ما بعد الاستعمارية، حيث سمحت قدرتها على التغيير واكتساب معانٍ جديدة لها بأن تكون أيضًا أماكن ذاكرة للمستعمرين"¹. أما بالنسبة للتماثيل، فهي تهديد آخر للمجتمع، وذلك لما لها من سيمائية رمزية معارضة لثقافة المحلية وخصوصياتها، ودللات ايجابية تتعارض مع الدين الإسلامي، إلا أن الكثير من الأفراد، لا يرون وجودها تهديداً لهويتهم أو هوية الأجيال اللاحقة، فكثُرت هذه التماثيل وانتشارها، سيجعل الأمر مستقبلاً مقبولاً عند المجتمع²، ولعل من أبرز هذه الأمثلة التي تثير الجدل في المجتمع الجزائري بين مؤيد وعارض: تمثال عين الفوارة بسطيف³، فمنهم من يرى أنه معلم للمدينة ويرمز لها، ولا يمكن المساس به على أساس تراثيته، ومنهم من يرى أنه غير مقبول اجتماعياً وأخلاقياً، ولا تزال الآراء تتضارب فيما بينها، منذ الاستقلال إلى حد اليوم ، ولا يسعنا الموضوع لتفصيل فيه،

¹ -Zeynep Çlik. Colonial/Postcolonial Intersections, lieu de mémoire in algeria. Third Text. 1999. P 163.

² - Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024. P 672.

³ * بناء على عمل بحثي ميداني قامت به الباحثة على مركز مدينة سطيف. عام 2015

وانما اظهار حقيقة مدى تأثير هذه العمارة في تماثيلها على المجتمع كواقع معاش اليوم.



صورة 12: عين فواره واجتمع الناس حولها المصدر: الكاتب 2015

● الاستقرارية المجتمعية في السكنا.

تعتبر هذه السكنا les immeuble de rapport في مراكز المدن الجزائرية، عمارة ثقيلة ولها حضور قوي، وأصبح المجتمع الجزائري في أغلبه يتغنى بها وبجمالها¹ – أي الفن الكولونيالي – مقارنة مع العمارة الحالية، ولربما يعلم أو لا يعلم، أن العمارة الكولoniالية هي سبب أساسي لما هي عليه الان العمارة في الجزائر. ومن أكثر الأمور سلبية التي تظهر في هذه البناءات السكنية: **الطبقية الاجتماعية**، فهذه السكنا لم تكن

¹ -Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024. P 673.

مخصصة للأهالي، بل للمستوطنين، وبعد الاستقلال سكنها الجزائريون، دون مراعاة للعواقب، وللظروف استدعت ذلك، ومنه فهذه الطبقية الاجتماعية التي تكرسها هذه السكنات، لها تأثير سلبي وعدم استقرار علاقات الجوار داخل المبني الواحد وعلى العلاقات المجتمعية خارجه، وهذا عكس ما فيه المجتمع الجزائري من تماسك وتأخي بينهم. وأيضاً من علامات تأثير هذه السكنات الكاشفة لخصوصية الأسرة، المحاولات الفردية لتكيفها وتغييرها وفق خصوصية الساكن، ويظهر هذا جلياً في ستور الشرفات، واحتلت الأسلوب وتعددت في ذلك، وأبسطها استعمال الستائر كحاجز بين الفضاء الداخلي الخاص والفضاء الخارجي العام، لأن الستور والخصوصية داخل المنزل الجزائري يعد من الضروريات الأساسية.



صورة 13: توضح ستور بعض الأسر الجزائرية الشرفات، بستائر قماشية ،

المصدر: الكاتب 2015

فهذا الصراع الداخلي في عدم رضوخ هذه العمارة، للمبادئ الفردية والمجتمعية، وتكيفها بطرق غير ناجحة، خلق جوا مضطربا من عدم ارتياح الفرد في سكنه، الذي يجدر أن يكون ملذا للسكينة والاستقرار.

● تحرير المرأة بالمشاريع الصناعية:

من خلال كتاب Manuel Descriptif Et Statistique De l'Algérie: للكاتب JULES DUVAL سنة 1855، الذي تناول أهم الموضوعات التي تخص المجتمع، وهو "موضوع المرأة الجزائرية" ، والتي أرادت السياسة الكولoniالية من خلال عماراتها، أن تخضعها وتجردها من هويتها، لما رأت فيها من شخصية متماسكة وركيزة أساسية للأسرة، فحاولت السلطات الاحتلالية بشتى الطرق والأساليب، تحريرها وكشفها للمجتمع، وذلك بإنشاء مصانع للخبز والطحين والنسيج، لتخرج هذه المرأة من المنزل فتعمل في هذه المصانع وتندمج مع المجتمع الأوروبي، فتكسب معاشها واستقلاليتها المالية عن الرجل من جهة ، ولتخفييف الاعباء المنزليه عنها من جهة أخرى" ولتحقيق هذا الهدف فان الوسائل العملية بسيطة للغاية، ويكفي أن نوفر هذه الفنون اليدوية. التي تعود عليها بفوائدها، وفروا لها معامل الطحين، والخبز، الحلويات، والنسيج، والخياطة..."، ويقول أيضا في موضع آخر" عندما نحول البيئة التي يعيش فيها العرب، من درجة اقصائية للمرأة الى مبدعة في الحياة، بحيث نؤكد على مكانتها الاجتماعية بجانب الرجل، فتصبح أكثر نبلًا وأكثر قيمة" ، ولم يتوقف الامر الى هذا الحد فقط، بل حتى التجربة على الدين الإسلامي وتحويره وفق ما يدعم هذا المشروع، فيقول " علينا انشاء الفقه الإسلامي في جميع المسائل

الحساسة التي تعرض عليه من قبل السلطات...فيجب أن يكون لدينا دائماً نص فقهي تحت تصرفنا، و دعمه بأكثر التعليقات علمًا و التي لا تقبل الجدال"¹. فمن خلال ما تطرقنا اليه، توضح أن التأثير السلبي للعمارة الكولونيالية على المجتمع الجزائري كان كبيراً جداً، ولا يزال، فعلى الرغم من تعدد وتنوع في العمارة الكولونيالية للتأثير السلبي، من مصانع، عمارات، تماثيل وحتى أسماء الشوارع، الا أن كلها موجهة على هدف واحد وهو المجتمع الجزائري، لإعادة تشكيل هويته، ولعل مقوله ونتسون تشرشل تلخص ما قلناه "نحن نشكل بناياتنا، ثم تعود لتشكلنا".

الخاتمة:

ان قيمة المجتمعات تُعرف من مدى التمسك بالهوية، فضياعها يدل على ضياع المجتمع، فيما عاملان متلازمان، يستوجب أحدهما حضور الآخر فيه، لذا يعتبر التطرق الى هكذا مواضع ضرورة لما تملية تحديات الحاضر، فواقع الجزائر اليوم، من حيث الهوية غير واضح المعالم، والهوية المعمارية أشد غموضاً وحرجاً، وهذا ما يستدعي، إعادة دراسة الماضي ومعرفة مواطن الخلل، لتدارك الحاضر ومواكبة المستقبل، بمجتمع متماسك ذو هوية صلبة. فقد تبين من خلال هذا البحث المقتضب، واجابة على الإشكالية، أن العمارة الكولونيالية هي من الأسباب الرئيسية لما

¹- JULES DUVAL. Manuel descriptif et statistique de l'Algérie. Editeur de la revue d'orient d'algerie.1855. p411- 412.

آلـت إلـيـه العمـارـة فـي الجـزـائـر، وفـقـدـانـها لـهـويـتها، وذـلـك أـنـ أـهدـافـ سـيـاسـةـ الـاحـتـلـالـ الأولىـ، ضـرـبـ هـذـهـ الـهـوـيـةـ الجـزـائـرـيةـ، وـاـسـتـبـدـالـهـاـ بـأـخـرـىـ فـرـنـسـيـةـ، وـاـسـتـعـمـلـتـ فـيـ ذـلـكـ سـلاـحـ ذـوـ حـدـينـ، سـلاـحـ الـهـنـدـسـةـ الـعـمـارـيـةـ، الـذـيـ يـؤـثـرـ مـادـيـاـ وـمـعـنـوـيـاـ، فـاـسـتـطـاعـتـ بـذـلـكـ أـنـ تـؤـثـرـ تـأـثـيرـاـ سـلـبـيـاـ كـبـيرـاـ وـطـوـيـلـ المـدىـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـهـوـيـةـ وـعـلـىـ مـسـتـوـيـ قـيـمـ الـجـمـعـمـ، فـيـ نـقـاطـ كـثـيـرـةـ، اـسـتـعـرـضـنـاـ بـعـضـاـ مـنـهـاـ فـيـ هـذـهـ الـورـقةـ. فـالـعـمـارـةـ الـكـوـلـونـيـالـيـةـ مـخـالـفـةـ تـامـاـ لـلـبـيـئـةـ الـمـلـحـلـيـةـ الـجـزـائـرـيـةـ وـلـاـ يـمـكـنـ التـكـيفـ مـعـهـاـ إـلـاـ بـإـعادـةـ نـمـذـجـهـاـ، وـفـقـ هـوـيـةـ الـجـمـعـمـ الـجـزـائـرـيـ وـمـاـ يـخـدـمـ خـصـوصـيـتـهـ، وـلـاـ تـزالـ تـحـمـلـ هـذـهـ الـعـمـارـةـ فـيـ طـيـاتـهـاـ أـسـرـارـاـ خـفـيـةـ حـقـيقـيـةـ، لـخـطـابـاتـ عـلـىـ كـاذـبـةـ، لـذـلـكـ يـجـبـ إـعادـةـ قـرـاءـةـ مـاـ بـيـنـ السـطـورـ لـهـذـهـ الـعـمـارـةـ، وـالـتـركـيـزـ عـلـىـ التـفـاصـيلـ دـوـنـ اـهـمـالـ الأـطـرـ الـكـلـيـةـ.

وـمـنـ غـرـابةـ الـمـجـمـعـ الـجـزـائـرـيـ الأـصـيـلـ، وـرـغـمـ كـلـ هـذـهـ الـهـجـمـاتـ الـتـيـ تـعـرـضـ لـهـاـ، مـنـ الـعـمـارـةـ الـكـوـلـونـيـالـيـةـ عـلـىـ هـوـيـتـهـ طـوـلـ فـتـرـةـ الـاحـتـلـالـ، أـنـهـ بـقـيـ مـتـمـسـكاـ بـأـصـالـتـهـ وـجـذـورـهـ، فـالـتـسـلـحـ بـالـثـقـافـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـأـخـلـاقـ الـمـجـتمـعـيـةـ، وـالـالـتـزـامـ هـبـاـ فـيـ إـطـارـ الرـؤـيـةـ الـكـوـنـيـةـ، جـعـلـ الـمـجـمـعـ الـجـزـائـرـيـ يـمـيزـ بـيـنـ الـمـظـاهـرـ الـخـاطـئـةـ وـالـصـائـبـةـ، وـبـالـتـالـيـ نـقـدـهـاـ وـتـمـحـيـصـهـاـ، ثـمـ قـبـولـ إـلـاـ مـاـ تـمـرـرـهـ مـصـافـيـ التـوـحـيدـ الـإـسـلـامـيـ.

القائمة библиография المعتمدة :

- بن حموش مصطفى. التراث الكولونيالي، الحيازة والتراث المتنازع فيما. مجلة العمارة والبيئة والطفل. 2021.
 - معاوية سعیدونی. دراسات في التخطيط العماني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية. الفافلة. 2015.
 - Ben Hamouche Mustapha. L'architecture et l'urbanisme au Maghreb aux 19-20 siècles, cas d'Alger (1800-2000). Medina fondation 2017-2018.
 - Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024.
 - Claudine Piaton et autres. Algiers ville et architecture 1830-1940. barzakh.
- 2016
- Edward Saïd, Orientalism, 1978
 - Frantz Fanon, the Wretched of the Earth, 1961
 - Frantz Fanon Black Skin, White Masks, 1952
 - Frédéric Chassériau. Etude pour l'avant-projet d'une cité Napoléon-ville à établir sur la place de Mustapha à-Alger .imprimerie Doubos frères. 1858.
 - .Guiauchain G. Alger . edition de l'imprimerie algérienne . 1905.
 - JULES DUVAL. Manuel descriptif et statistique de l'Algérie. Editeur de la revue d'orient d'algérie.1855.
 - Michel Foucault, Discipline and Punish: The Birth of the Prison, 1975
 - Michel Foucault The Order of Things, 1966
- Discipline and Punish: The Birth of the Prison, 1975. -Michel Foucault
- Pierre Nora. Les Français d'Algérie (préfacé par Charles-André Julien), Paris, Julliard, 1961.
 - Pierre Nora. « Ernest Lavisse : son rôle dans la formation du sentiment national », Revue historique, no 463, 1962
 - Zeynep Çlik. Colonial/Postcolonial Intersections, lieu de mémoire in Alegria. Third Text. 1999.

القصور الصحراوية أرشيف مفتوح يواجه التزييف

د. عبد الحميد خليفه

جامعة مستغانم

مقدمة:

يزخر الجنوب الجزائري كإقليم توات بولاية أدرار بموروث حضاري متنوع وثري، يعبر عن هوية وأصالة وعمق تاريخه. ونجد من ذلك عمارة القصور مع لواحقها الأثرية، والتي تعد بمثابة أرشيف يحوي داخله مرافق تشكل أوراقا هامة فيه من جهـي الخصوصية الانشائية (المواد والأشكال) والتخطيطية للمسكن الصحراوي، وفي هذه المداخلة البحثية سوف نقوم بعرض أهم الأمور التي يكتنزها القصر الصحراوي بمختلف مرافقه ولواحقه؛ والتي تعد بمثابة أرشيف يستدعي حل شفرات مجمل أجزائه. وإشكالية البحث إلى أي مدى يمكن اعتبار القصور الصحراوية إرثا يعتمد عليه في التوثيق؟ وكيف يتم ذلك؟ فمن حيث مادة البناء والبناء الخاصة بالعناصر المعمارية للقصور تنبثق إشكالية محليتها أو أنها دخلة عن المنطقة، وبالتالي تفرض طرح استفهامات من، متى وكيف جُلبت؟ ونفس الشيء من الناحية التخطيطية (الأفقية والسطحية) والميكانية (العمودية والقائمة) عن مخططات أصلية ومن مصمّموها (أصل الساكنة وتاريخهم) والوقوف على أهم التغييرات فيها؛ إذ أن لكل عصر ميزته ورؤيته، فالمحلّيون قد يختلفون عن الوافدين. كما ترتبط القصور بالفقارات وعن أصلها، منشؤوها، أنماطها وكذا أماكنها وتموقعها بالنسبة للمحور الأlem. ولا

يمكن إغفال المخطوطات المتباعدة المشارب والمختلفة الموضع، فالفقهية منها قد تتطرق إلى المواريث ولا تأنف عن ذكر بعض الملّاك، كما نجد التاريخية منها المتناولة أصل السكان وفئات المجتمع وأجناسهم وكذا أسمائهم وسمياتهم فضلاً عن تصاميم وتقسيم الملكية لدّيهم. كما نجد أن للجانب اللامادي كالممارسات الفلكلورية والصناعات التقليدية دور في تيبلولوجية وتاريخ القصور، خاصة ما ارتبط بالدروب والساحات وغيرها. وهذا ما يقودنا إلى مسألات تحتاج تفحص كل الجوانب المرتبطة بذلك. ورغم الزخم الهائل الذي يحويه هذا الأرشيف المفتوح من معلومات يعاني التشوّه والتدمير، وذلك ما يشكّل ضبابية في قراءة صفحاته؛ ما يستدعي حاجة ماسة للمحافظة عليه من خلال صيانته، تثمينه وإعادة الاعتبار إليه.

١- مفهوم القصر:

لغة: هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر، وسمي بذلك لأنّه تقصير في الحرير، أي تحبس، وقد وردت كلمة قصر في القرآن الكريم عدة مرات، كقوله تعالى: "...وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون

^١ الجبال بيوتا"

^١ القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: 73.

اصطلاحاً: يختلف مفهوم القصر في المناطق الصحراوية عن المفهوم السابق للقصر، فهو قرية محصنة، أو تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعة بشرية¹

2- مميزات القصور:

2-1- من ناحية مواد البناء المستخدمة:

إن مواد البناء المستعملة في تشييد معالم القصور الصحراوية بقيت صامدة عبر الأزمان، حيث شكلت أحد مصادر الانشاء المحلي، تبعاً لجيولوجيا المنطقة

1- الحجارة :

تعد إحدى المواد الأساسية في البناء، وفي معظم الأحيان، يتم وضعها كأساسات للجدران، وتستعمل أيضاً كقواعد للأبراج والأسوار، ويتمثل دورها في م坦ة وحماية المبني، فتوضع الحجارة في أسفل البناء بسمك 90 سم أو غير ذلك تبعاً للحاجة، ويواصل البناء بها أو بالطوب، ونجد من بين هذه الحجارة ما يسمى بالصفاح (حجارة محلية سميت بذلك لتصفحها، ولكن ما يطبع عليها أنها حجارة رسوبية تتميز بصلادتها)، كما استعملت في التسقيف وصنع بعض الأغراض اليومية كمهاريس أو رحى أو مدقّات وغيرها. كما يوجد نوع حجارة (التأفزا) وتوجد بعض الأماكن التي تطلق

¹ عليق رححة نابت، قصر ملوكة بأدرار، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2001/2002، ص: 45

علمها التسمية هذه كالمترفعتات فضلاً عن بعض القصور المميزة للجنوب الجزائري.

2- الطوب

يصنع الطوب من مادة الطين، ويشكل على طريقتين، إما باليد أو بال قالب، ويكون مستطيلاً أو مربعاً، وال قالب يكون مصنوعاً من اللوح أو المعدن في فترات متأخرة، والذي يمتاز بسهولة انفلات الطين منه، فتنتج كميات معتبرة في وقت قصير¹، ويوضع تحت أشعة الشمس، حيث تصبح جاهزة للاستعمال، ولأنه مقاوم، فهو يعتبر المادة الأولى والشائع في المنطقة². كما تدخل فيه مواد عضوية طلباً في زيادة مرونته كالليف وبقايا النباتات. وتتجدر الإشارة إلى أن مقاسات اللبنة تتباين فيما بينها خاصة تلك اليدوية بينما المقولبة فغالباً ما تكون متجانسة في حالة استعمال نفس القالب، وموازاة مع نظيراتها في الدول المجاورة التي تستخدم نفس المادة البنائية فتختلف عنها حجماً وثقلأ (الجدول 1)،

¹ مجموعة مؤلفين، ديوان حماية "وادي ميزاب وترقيته"، العمارة الترابية، 2010، ص: 18

² مجموعة من الباحثين، فن الهندسة المعمارية، تر: شريف سلطاني، دار الهدى للطباعة والنشر، 2006، ص: 26

الجدول 1: جرد لمقاسات طوب عالمية

القارا	البلد	المقاسات	ملاحظة
هذه المقاسات المشهورة داخل كل بلد، وإن إن هناك مقاسات أخرى في نفس البلد.	اليمن	$8 \times 30 \times 30$	هذه المقاسات المشهورة داخل كل بلد، وإن إن هناك مقاسات أخرى في نفس البلد.
افريقيا	مصر	$11 \times 14 \times 22$	
	تونس	$4 \times 10 \times 20$	
أوروبا	فرنسا	$8 \times 14 \times 30$	
	الولايات المتحدة الأمريكية	$11 \times 19 \times 48$	
أمريكا			

وهذا ما يبين أصالة هذا النوع من المواد ولو من حيث الحجم تكيفاً مع الوضع المناسب مقارنة بالبلدان الأخرى (الجدول 2).

الجدول 2: جرد لمقاسات قوالب طوب جزائرية صحراوية

القصر	شكل الطوب	المقاسات (سم)	ملاحظة
قد نجد نوعي الشكل في نفس القصر	هيكل خماسي	$30 \times 15 \times 10$	ملوكة (ولاية أدرار)
	تكتيب مستطيل	$25 \times 15 \times 10$	بوسمغون (ولاية البيض)
	تكتيب مستطيل	$40 \times 20 \times 10$	موغل (ولاية بشار)

5- الطين:

يعتبر اسمنت البيوت، بحكم أنها تتوفّر بكثرة، وبها يتم ربط الطوب مع بعضه البعض، وهذا الأخير مصنوع من مادة الطين نفسه. فباعتباره المادة اللاحمّة بين أجزاء الطوب أو حتى الحجارة فإن سماكة الطبقة تلك تتبادر إلى البناء نفسه (جدران أو أسوار) فضلاً عن اختلافها في أنحاء الجنوب الصحراوي وغير بعيد عن البلدان المستخدمة لذلك.

8- خشب النخل:

بحكم توافر النخل بالمنطقة، كان لزاماً على الساكن المحلي استعماله بأجزائه كالجريدة وكرواف (الطرف العلوي من ورقة النخل) في العديد من الأغراض ومنها تسقيف البيوت، إذ يتم تقطيعها إلى جزئين متقابلين طولياً لتشكيل عارضة رئيسية. كما يستخدم أيضاً كمادة ربط في عنصر معماري واحد أو بين عناصرين بنائيين مختلفين. وهنا ندخل في تقنية بناء يمثل فيها خشب النخل رافداً حيوياً يسهم في تمسك الجدران.

وهنا تتجلى القيمة الأثرية لهذا العنصر. كما تجدر الإشارة لاستخدام نوع من الأعمدة الخشبية لأشجار الأثل والسدود ذات سمك معتبر، وهو ما يعطي ملحاً عن الجانب الإيكولوجي المميز للمنطقة عبر أزمان مختلفة.

2- العناصر والوحدات المعمارية في القصر:

تحتوي القصور الصحراوية على وحدات معمارية أساسية، لكل منها وظيفة معينة، وترتبط بعض الفضاءات والمعالم الممثلة للتراث المادي بجزء كبير من التراث اللامادي وخاصة الاحتفالات والأعياد الوطنية

والمواسم الدينية زماناً ومكاناً، وأهم العناصر والمعالم الأثرية الموجودة بالقصور نذكر:

١- الأسوار:

هو البناء المحيط بالبيت ومفرده سور^١ ، يطوف بالبيت أو البلدة، أما في المصطلح الأثري المعماري فإن السور هو جدار عالي ضخم يحيط بالبناء لحمايته^٢ ، وهو نوع من التحصينات الدفاعية يأخذ شكل حاجز ترابي، خشبي، أو حجري^٣ ، وبهذا يمكن أهل القصر من مراقبة كل الوافدين إليه ومعرفة هويتهم. وقد زوّدت القصور بمنظومة دفاعية مماثلة بأسوار خارجية يفوق ارتفاعها 12 م وسمكها 2.5 م، وغرضها حماية الممتلكات والأرواح والحدّ من زحف الرمال، وهنا نلتمس معطيين؛ أحدهما مرتبط بمورفولوجية الأشخاص (القوة) البنائي مع ظهور التلامم والتعاون بين فئات المجتمع ومن جهة أخرى عن النظرة العدائية التي كانت خارجية المصدر. حتى وإن ذلك ملاحظ في القصور المتقاربة أو حتى القصبات داخل القصر الواحد. ونجد أن القصور تحاط بخندق (آغوسرو) (ساردايير) له غaiاته الدفاعية وحتى البيئية.

^١ أحمد بن محمد علي المعترى، *المصباح المنير* "صح: مصطفى السقي، 1950، ص:

315

^٢ عاصم محمد رزق، *علم الآثار بين النظرية و التطبيق* ، مكتبة مدبولي، مصر، ص: 153

^٣ الموسوعة العسكرية، ج: 4، ط: 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (458، ص: 1990)

2- الأبراج:

مفردها برج وهي بروج سور المدينة والحصن، وتسمى بيوت لبنيانها على نواحي أركان القصر وبرج الحصن سكنه والجمع بروج وأبراج¹ ، وهي جزء قوي التحصينات مسلح بقوة معد للدفاع وتنفيذ الرميات² ونجد من هذه الأبراج المربعة الشكل والدائري تقرباً، ذات أضلع وارتفاعات مختلفة، إما أن تفوق الأسوار المحاذية أو متساوية لها . ومن الأبراج نجد منها ما تكون وسط السور، وبها مدخل من داخل القصر، وفي نفس الوقت يعُد فناء للبيت المحاذي له بعد استباب الأمان (اللوحة 1).

 <p>مساند للوقف</p> <p>مزاغل للمراقبة والرمي</p> <p>ذخيرة</p>	
وظيفة وتشكيل البرج الداخلية	سور وبرج ركفي (زاوي)
اللوحة 1: البرج بناء دفاعي وهيكلي وظيفي	

¹ الفيروز أبادي معي الدين، القاموس المحيط، ج: 1، دار الخليل، بيروت، د ت، ص:

178

² بيخ بيرتون، البرج في العمارة الإسلامية العربية، تر: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص: 15

- المداخل:

تميزت مداخل الأبنية العامة والقصور في العمارة الإسلامية، بعظمتها، والباب هو مدخل سور المدينة، وقد يكون بمصراع واحد أو اثنين¹، وتأخذ هذه الأبواب غالباً أسماء مشهورة ومعروفة، ففي كل مدينة أبواب معروفة المكان والاسم وترتبط بها غالباً أحداث تاريخية². وهو ما نجده في جل القصور التواتية . أما من حيث التخطيط والتصميم فإن الداير من الباب يقابلة مباشرة جدار، وهذه سمة من سمات القصور الصحراوية، فالمهاجم حينما يدخل لا يجد إلا ذلك الجدار الذي يقابلة، ما يسمح لمن في داخل القصر بالقضاء عليه قبل دخوله للقصر. ولهذا المدخل مكانة دينية خاصة في العربية منها، إذ يراعى جانب الحرمة وكذا فإن منه يخرج وفد المسلمين للعيد والمناسبات بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير باتجاه مصلى العيد الجامع.

4- الشوارع:

تعتبر المسالك والطرق العناصر الأساسية في تشكيل هيكل القصر، فهي بمثابة شريان القصر، الذي يربط بين قلبه وبقية أطراف جسده، فتنظم بذلك حركته، وتنقسم الشوارع في العمارة الصحراوية إلى نوعين رئيسية وثانوية تعرف بالأزقة أو الدروب. وقد تميزت الشوارع بالتعرج والالتواء

¹ حملاوي علي، منطقة جبال عمر، أطروحة دكتوراه، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، ص: 39

² جمعة احمد قابة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط: 1، ملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص: 316

وذلك لكسر التيارات الهوائية، وأيضاً لتأدية وظائف أخرى، مثل تضليل العدو أثناء الحروب. وقد نالت هذه الطرق حظها من العناية لارتباطها بالطقوس الدينية كسير المهنئين بتهاني العيد فيها، وعدّت كنقط أساسية في سير المعلن (البزاج) عن السحور في شهر رمضان، إذ كانت تعد بمثابة مواطن إسماع مشتركة بين الأهالي، كما خصّت بمرور حاملي الرایات (الأعلام) الخاصة باحتفالية المولد النبوى الشريف فيها حتى سميت بتسمياته ك(زقاق لعلام)، (زقاق الفاتح) وغيرها. ونجد ما يوثق بعض القصور هو تسمية أرقتها ببعض الشخصيات الهامة أو الحوادث التاريخية فضلاً عن تبأينها زناتياً أو عربياً (آسكلو، الزقيق...)

5- الساحات:

هي تلك الفراغات غير المبنية، كثيراً ما أخذت اسم "الرحبة" أو "الرحيبة"، حيث تشغل جزءاً هاماً في القصر، إذ أنها تشكل أهم مجالات اللقاء وتتوفر مجال الممارسات الجماعية والاجتماعية في القصر، فهي فراغ جامع موحد¹. وفي أماكن مختلفة من القصور توجد ساحات صغيرة، تعددت وظائفها حسب الفصول وأوقات اليوم والمناسبات حيث كانت تستعمل لعمل الجماعة ولمناقشة الأمور المختلفة الدينية، السياسية، الاجتماعية كالأفراح والسفر، والتجمع لدق نذر الحرب وفض النزاعات بين الفلاحين وإصلاح ذات البين إذا وقعت خصومة بين الأفراد أو بعض الأسر. وقد خصّت أيضاً تلك الساحات بالطبعون الفلكلورية المتعلقة بالمواسم

¹ (دحمون مني، قصر بوس מגون بولاية البيض، دراسة أثرية وتحليلية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص: 66).

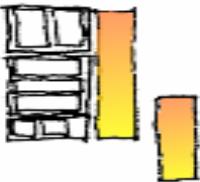
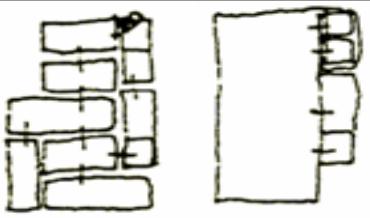
الدينية لـ "البارود" في أسبوع مولد الرسول عليه الصلاة والسلام أو رقصة "إيشو" في عاشوراء.

6- المنزل العتيق:

يعتبر المنزل الوحدة المعمارية الأساسية التي يتتألف منها القصر، والبناء بالطين والممرات الضيقة، جعلها باردة صيفا ولطفت الجو للاستقرار. والمنزل العتيق هو المنزل الأول الذي يبني في المنطقة والذي يسكنه المؤسس الأول للقصر، وغير بعيد نجد المسجد العتيق كسابقه بالنسبة للقصور العربية، ويحظى المنزل العتيق بالتحديد الخاصة بالزيارة، فهو جاذب سياحي لقادسي البركة والشفاء والفضوليين أيضا من شتى البلدان حتى أنه يضيق بالزوار تلك المواسم. ونجد بعض التميّز نوعاً ما عن باقي المساكن وإن كانت المرافق الخاصة بها متشابهة كالرجبة (الفناء الداخلي)، التاقمين (جهة الحيوانات المستأنسة وما يخص بها)، عموماً هناك خصوصيات لتوزيع الفضاءات الداخلية لكل نوع (الجدول 3)

جدول 3: فضاءات داخلية لأحد المساكن التواتية (تبعاً للعناصر الموزعة)

نوع	العنصر الموزع	ميزة الشكل والحجم	أمثلة تشكيلية
1	السباط الرحبة	مربع ومتعددة نوعاً ما	

		مرربع وأكثر اتساعا	الرحبة	2
		استطالة ضيقه	السباط	3
		هيكل غير منتظم مع الميلان الى الطول ضيقه	/	4

وحتى من حيث المستويات فعموما تكون أرضية مع وجود السطح، فيما نجد استثناءات الزيادة عن مستوىين فهو ما يميز بعضها من وجود الدهلizi أحيانا (مستوى تحت الأرضي قليلة التعرض للهدم استخدمت كملاجي سرية أو مخازن وقيل أنها استخدمت لخزن الماء الذي يعاد تفريغه في الخندق المحيط بالقصر)، ونادرا ما تتكون من طابقين سكنيين. (اللوحة 1)



7- خزائن المخطوطات:

ال الحديث عن خزائن منطقة توات وعن العلوم التي تضمنتها، يجعل السامع يرفع من شأن المنطقة كونها ذات علم وعلماء من جهة وأنهم عمدوا إلى تدوين وكتابة علومهم للانتفاع بها من جهة أخرى، حرصاً عليهم من الضياع وذهاب العلم بعد وفاة العلماء وجعله في مهب الرياح، ولذلك فقد تواجد لدى التواتيين وغيرهم عدد لا يستهان به منها، هذه الخزانات نسبت إلى مؤلفيها أو القائمين على إشغالها، احتوت مواضع شتى، كالفقه خاصة المالكي منه، العقيدة، التفسير...، ولقيت اهتماماً كبيراً من ملوكها

(درجة التقديس)، ولهذه المخطوطات مكانة في جلب المثقفين والدارسين وحتى داعي الفضول لمعرفة ما تحويه من معارف وأسرار. ولكن وجب الاعتناء بهذا الإرث الشعافي المزدوج (مادي حامل لللامادي) الفَدْ قصد إعطائه الوجه اللائق والمناسب.

8- الضريح:

تقع الأضرحة عادة خارج مساحة القصر، وتتميز مشارف أو مراكز جل المقابر أو الجبانات بتموضع لا يضر بالساكنة بيئياً ولكن يكتسي مكانة المقدس بالنسبة لهم. فحظوظ المؤسس والصالح ذات اعتبار، كما كان بعضها بمثابة خلوة ومكان للعبادة. ولون الضريح الأبيض يحضر أساساً من مادة الجير المحلية والرامز للصفاء والنقاء المميز لاستخدام هذا اللون في الطلاء. وترتبط بالضريح زيارات ومواعيد خاصة يحضرها القاصي والداني كما ونوعاً وتسمى بأسمائهم ما يحفظ الذاكرة بصفة غير مباشرة. ويطلق فيها الضريح وتقدم فيها الهبات والصدقات. مع الإشارة أن للدور التعبدي تعلق بالاتجاهات الصوفية التي تدين بها مختلف الزوایا. وغير بعيد عن ذلك تقام الأهازيج كطلقات البارود ومرافقها بإيقاعات الطلبل والمزمير والرقص، ومسابقات الخيل، تعبيراً وفرحاً بمناسبة أسبوع مولد الرسول عليه الصلاة والسلام طيلة يوم كامل، ليشكل بذلك ملاذ الزوار، السواح والباعة كل حسب مقصد़ه، وبهذا يشكل المكان والزمان (موروث مادي مع لامادي) عنصراً جذب سياحي فائق النظير يمكن تنظيمه وتقنيته.

٩- أضرحة العلماء وخلوات العبادة:

تعاقب في الفترة الإسلامية على الزوايا عدة شيوخ تفرغوا للتدريس والقضاء ونشر العلم، ولما ماتوا عنهم تلامذتهم وغيرهم بالزيارة لقبورهم في أزمان مختلفة، وهي توثق لتلك الشخصيات إقامتهم وترحالهم. كما نشير إلى ظاهرة التعليم القرآني والتي اتسمت محاضنه (الكتاتيب) بسميات مختلفة كأقربيش بالقاف أو بالباء.

٣- اقتراحات ووصيات عامة:

إن أهم خصائص البناء الصحراوي هو محلية، مواد البناء مع توزع العناصر المعمارية داخل القصر، فكل واحدة منها تؤدي هدفاً معيناً إما عسكرياً مثل الأسوار والأبراج أو دينياً مثل المسجد أو غيره، والوقوف على الحالة الراهنة للقصور كمعالم أثرية وجدرها يسهل عمل المرممين لاحقاً في تحديد نوع التدخل المطلوب، إضافة إلى الاقتراحات التي ترفع من قيمتها وتسهم في سياحة استثمارية ونذكر منها:

- السعي إلى وضع خرائط أثرية للمنطقة، تشمل جميع المواقع الأثرية، وفي كل الحقب التاريخية، واستعمال برامج متقدمة لهذا الغرض مثل نظام المعلومات الجغرافية (SIG)، وغيره من أنظمة الإعلام الآلي، ووضع هذه المعلومات في قاعدة بيانات، وإتاحتها على شبكة الإنترنت للباحثين والدارسين، قصد التعريف بها، وتقديم المواقع الأثرية عبر القنوات الإذاعية والتلفزيونية الوطنية والدولية كخدمة ذات قاعدة عامة.

- فتح المجال أمام المواطنين لزيارة هذه المعالم، وتدعم نشاطات الجمعيات الفاعلة في مجال حماية التراث، كالصناعة التقليدية، ومنحهم دكايين لبيع منتوجاتهم، وكذا النماذج التذكارية، والبطاقات البريدية والصور والمطبوعات والمنشورات، كما يمكن اتخاذها نقاط مراقبة وحراسة، ومكان تواجد المرشدين السياحيين^١، مما يدفع بالسياحة في المنطقة.
- السعي إلى تصنيف تلك المعالم الأثرية وحمايتها وبرمجة ترميمات متخصصة مع إعطاء ديناميكية للتراث اللامادي وربطه باللامي.
- توثيق عمليات الترميم والصيانة لهذه المعالم لتبقى مصدراً ومرجعاً، يستفاد منه عند الحاجة إما تقييماً وتقويماً.

^١ فوزية سعاد بوجلابة، "أخطار التلوث على المعالم الأثرية، مدينة تلمسان"، ماجستير قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2009/2010، ص: 113

الخاتمة:

ما نخلص إليه في الختام هو أن للقصور الصحراوية مكانها التوثيقية إذا ما تناولناه من الناحية التاريخية ومن الناحية الأثرية. فالقيام بمعرفة الجانب البشري وتعاقباته المختلفة في الإنشاء والتشييد يجسد أرشيف الشخصيات، كما أن جرد معالمه الأثرية الباقيه ولوائحه يعدّ بنك معلومات مرقمن، سواء في شقيه الملموس والمحسوس. فالمادي المنقول كالمخطوطات والعقاري كالقصبات، المساجد والبيوت العتيقة والمرتبط بالتراث المحسوس اللامادي. أهمية كبرى لتنمية المعالم الأثرية، فبدونه لا تنطلق مشاريع الحفظ والصيانة والترميم، وتخفي الآثار وتندثر أو تتعرض لزحف المشاريع التنموية، وبالتالي نخسر تراثنا الذي يعدّ خير لبنة لبناء صرح وحدة أمتنا. وحتى تؤيي هذه المعالم الأثرية أكلها التوثيقى وجب الاعتناء بها وحفظها وكذا ربطها بالجانب اللامادي الذي يتماشى وخصوصية كل إرث مادي، ويربط الجانبين بعضهما ببعض وزيادة سبل التحسيس والتعريف المحلي والعالمي نستطيع المحافظة على هذا الأرشيف المفتوح بالغ الأهمية.

القائمة الببليوغرافية المعتمدة:

• القراءان الكريم

• المصادر والمراجع:

بيخ (بيرون)، البرج في العمارة الإسلامية الحرية، ترجمة: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981

رزق محمد (عاصم)، علم الآثار بين النظرية والتطبيق ، مكتبة مدبولي، مصر، 1996
المعتري (أحمد بن محمد علي)، "المصباح المنير" تصحيح: مصطفى السقي، 1950.

مجموعة من الباحثين، فن الهندسة المعمارية، ترجمة: شريف سلطاني، دار الهدى للطباعة والنشر، 2006.

• الموسوعات والقواميس:

الفهروز أبادي (مجي الدين)، القاموس المحيط، الجزء الأول، دار الخليل، بيروت.
جمعة (أحمد قابة)، موسوعة فن العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2000.

الموسوعة العسكرية، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

• الأطروحات والمنشورات:

بوجلابة (فوزية سعاد)، "أخطر التلوث على المعالم الأثرية، مدينة تلمسان "، رسالة ماجستير قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، السنة: 2009/2010.

حملاوي (علي)، "منطقة جبال عمور"، أطروحة دكتوراه، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر.

دحمون (منى)، "قصر بوس מגون بولاية البيض، دراسة أثرية وتحليلية"، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005.

نابت (عليق بحرة)، "قصر ملوكة بأدرار، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2001/2002.

الهوية العمرانية في تمنيط: أثر التنوع العرقي والثقافي في تشكيل التراث المعماري

ط د/ زمام مریم

أد/ مصطفى بن حموش

دار القرآن المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية

مقدمة:

تحظى الهوية العمرانية بأهمية كبيرة كونها تعكس التفاعل بين الإنسان والمكان عبر الزمن، حيث تشكل العمارة جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي والاجتماعي للمجتمعات. وتُعد مدينة تمنيط الواقعة في قلب منطقة توات بولاية أدرار شاهداً حياً على تفاعل الحضارات وتنوع الأعراق التي تعايشت فيها عبر التاريخ. فقد مثلت المدينة مركزاً اقتصادياً وروحيًا استقطب قوافل التجارة، والعلماء، والحجاج، وكانت همزة وصل بين مختلف العواصم الاقتصادية والحواضر العلمية، مما ساهم في تشكيل هوية عمرانية مميزة تعكس هذا التنوع الثقافي والعرقي. وتحمل العمارة في طياتها أصوات من عاشوا، وعملوا، وأبدعوا فيها، إنها استمرار مرئي لهوية الشعوب؛ فتكمن أهمية هذا البحث في استكشاف كيف ساهم التعدد العرقي في تشكيل النسيج العمراني والمعماري للمدينة؛ بما في ذلك الأقباط، والعرب، والأفارقة، والمجتمعات اليهودية. ومن هنا جاء هذا البحث إلى

تحليل ودراسة الهوية العمرانية لمدينة تمنطيط، واستكشاف كيف ساهم التعدد العرقي في تشكيل النسيج العمراني والمعماري للمدينة. كما يسعى إلى توضيح العلاقة بين العناصر المعمارية وأنماط العيش، وكيف انعكس هذا التفاعل الحضاري في تصميم الفضاءات السكنية، والأسواق، والمساجد، والقصور والقصبات. وهذا يتطلب دراسة هذه المدينة من خلال بعدين متمثلان في العمارة المادية والبعد الاجتماعي والثقافي للمدينة التي تشكلت بفعل تنوع الأعراق التي استوطنتها عبر العصور؛ والسعى إلى استكشاف ملامح الهوية المعمارية والعمانية وتحليل العلاقة بين النسيج العمراني والتنوع الثقافي والعرقي ل مجتمعها.

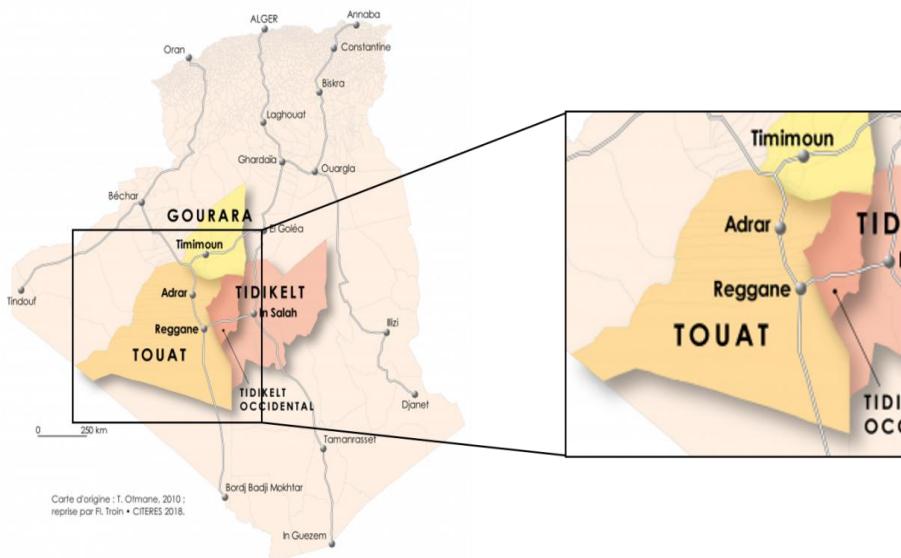
لطالما كان العمران انعكاساً لهوية المجتمعات التي تشكله، فهو ليس مجرد تجمع للمباني والفضاءات، بل سجل حيًّا يعكس تفاعل الإنسان مع بيئته، ويحمل بصمات ثقافته وتاريخه وقيمه الاجتماعية. وفي منطقة تمنطيط، الواقعة ضمن إقليم توات، يتجلى هذا الترابط بشكل واضح، حيث لعب التعدد العرقي على مر العصور دوراً جوهرياً في تشكيل نسيجها العماني والمعماري، مما جعلها نموذجاً فريداً يعكس الامتزاج الثقافي والحضاري بين مختلف الشعوب التي استوطنتها. فلقد شهدت تمنطيط استقرار مجموعات بشرية متنوعة، من ببر وزناتيين، إلى عرب هلاليين، إضافة إلى الجاليات اليهودية وأفارقة السودان الغربي، وقد انعكس هذا التنوع على النمط العمراني للمدينة، حيث نجد في بنيتها المعمارية مزيجاً من التأثيرات البربرية التي ظهرت في أسلوب التحصين وبناء القصور المحصنة، والتأثيرات الإسلامية التي تجلت في مركبة المسجد في التنظيم

العمري، فضلاً عن العناصر الإفريقية التي تتجسد في الأبراج المخروطية والأضحة ذات الطابع الهرمي، وكذلك بعض التأثيرات اليهودية التي برزت في تخطيط بعض الأحياء السكنية والأنمط الدائرية للبناء. ومن خلال هذه المداخلة، سنتناول خصائص العمارة التواتية، وندرس كيف أثر التعدد العرقي على أنماط البناء وتخطيط القصور والمساجد والمنازل والفضاءات العامة. كما سنسلط الضوء على كيفية تداخل هذه التأثيرات العمرانية المختلفة لتشكل هوية معمارية موحدة، تعكس تاريخ المنطقة، وتبين مدى تفاعل ساكنها مع المتغيرات البيئية والاجتماعية والثقافية؛ فكيف انعكس التعدد العرقي على الهوية العمرانية لمنطيط؟ وما دور العمارة في حفظ هذا التراث؟

أولاًً الجذور التاريخية لمدينة تمنطيط وتأثير الأعراق المختلفة على نسيجها العمري:

1. لحة تاريخية عن توات: إقليم توات مجموعة من واحات الصحراء، والتي تقع في الجنوب الغربي للجزائر، مكونة إقليماً من ثلاث مناطق رئيسية: تينجورارين، توات الوسطى، وتيديكلت.^١ تعدّ من أهم المناطق الصحراوية التي شهدت استيطاناً بشرياً مبكراً، حيث استقرت بها مجموعات بشرية منذ العصور القديمة، واستمر تعميرها وتطورها عبر العصور المختلفة.

^١ حوتية، (الصالح)، توات والأزواد، ج 1 وج 2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 28.



الشكل 01: الموقع الجغرافي لمنطقة توات ضمن الواحات الصحراوية الجزائرية

يكتنف أصل تسمية "تواط" العديد من الروايات والتفسيرات، حيث أشار عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان إلى أن الاسم مرتبط بمرض أصاب حجاج سلطان مالي أثناء رحلتهم إلى الحج، مما دفعهم للاستقرار هناك، ومن ثم أطلقوا اسم المرض على المنطقة (السعدي). بينما يرى المؤرخ المحلي محمد بن عمر البداوي أن عقبة بن نافع عندما فتح بلاد المغرب سأله أصحابه عن أماكن في الصحراء تصلح لنفي المجرمين، فأجابوه بأنها "تواطي"، ومن ثم تحول الاسم إلى "تواط" لعلة التخفيف (البداوي). وهناك آراء أخرى تشير إلى أن الاسم يعود إلى إحدى القبائل الصحراوية، بينما يرى بعض الباحثين أن "تواط" مشتقة من "الأتوات"، وهي الفاكهة التي كان السكان يقدمونها كضربيبة للملوك الموحدين. كما يُقال

إن الطوارق والعرب أطلقوا هذا الاسم على الواحات الممتدة على ضفاف وادي الساورة ووادي مسعود (روكليس). أما الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي فيرى أن المنطقة سميت بهذا الاسم لأنها "تواتي" للعبادة، مما جعلها مركزاً للعلماء والأولياء الصالحين (الإدريسي). وعلى الصعيد الغربي، يرى كل من الباحثين روكليس (Reclus) ومارتان (Martin) أن الاسم ذو أصول بربرية أو إغريقية ويعني الواحة.¹ ورغم اختلاف التفسيرات، تتفق معظم المصادر على أن الاسم بربيري الأصل، حيث كان أول من استوطن المنطقة هم البربر الملثمون وزناته، كما أن معظم أسماء القصور في المنطقة تعود إلى أصول بربرية، مما يعزز فرضية أن الجذور اللغوية للاسم ذات صلة بالسكان الأوائل. وتاريخياً، ورد ذكر توات في مصادر عديدة منذ العصور القديمة. وأشار المؤرخ الإغريقي هوميروس إلى سكان المنطقة الذين أطلق عليهم "الأثيوبيون".² في حين قدم هيروdotus في القرن الخامس قبل الميلاد وصفاً للصحراء الكبرى، مشيراً إلى وجود مناطق قاحلة وخالية.³ كما تحدث عن رحلة الشبان الناسامون الذين انطلقوا من فزان باتجاه

¹ بن سوسي،) محمد (، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجاً، من القرن (6هـ إلى 13هـ إلى 19م)، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الآثار، السنة الجامعية 2007، ص 13.

² J.C, (Echalier), Villages désertiques et structures agraires anciennes, Paris , 1972, P17

³ Ibid, P17.

الغرب ووصلوا إلى مدينة يسكنها سود البشرة وقصر القامة، يمر بها نهر
¹ كبير.

أما في العصور الإسلامية، فقد ذكرها الجغرافيون المسلمين، حيث وصفها ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي بأنها منطقة نائية قليلة المياه فيقول "أرض المغرب سكان من البربر ومفاوز وباري منقطعة، قليلة المياه متعددة المراعي، لا تسلك إلا في الشتاء". بينما أشار أبو إسحاق الإصطخري إلى أن لون بشرة السكان يزداد سواداً كلما اتجهنا جنوباً فيقول "أرض المغرب ما كان منها في شرق بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والشرق ازدادوا سواداً حتى ينتها إلى السودان فيكون الناس فيها أشد سواداً"³. أما الرحالة ابن بطوطة، فقد وصفاً دقيقاً لمنطقة توات خلال زيارته لقصر بودة سنة 1353م، حيث أشار إلى أن المنطقة تعتمد على التمر والجراد كمصدر غذائي رئيسي نظراً لندرة الزراعة والمواد الغذائية الأخرى حيث قال في حديثه عن توات "وقصدت السفر إلى توات، ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات" وفي موضع آخر يقول "ثم وصلنا إلى بودة ، وهي من أكبر قرى توات ، وأرضها رمال وسباخ ، وتمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت ، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب، وأكل أهلها التمر،

¹ A.G P, (Martin), Les oasis sahariennes , chalamel, Paris ,1908, P28.

² أبو القاسم، (ابن حوقل)، صورة الأرض، طبعة برلين ، 1938 ، ص.83.

³ إبراهيم ،) محمد الفاسي الأصطخري (، المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر عبد العالى، القاهرة،1961،ص.36.

والجراد ، وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزن التمر ويقتاتون به ، ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس ، فانه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد. وأقمنا ببودة أيامًا، ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أوسط ذي القعدة إلى مدينة سجلماسة...¹ وفي القرن السادس عشر، وصفها الحسن الوزان (ليون الإفريقي 1550) بأنها إقليم مأهول في صحراء نوميديا، يتميز بفقر موارده الزراعية، لكنه يشكل مركزاً مهماً للقوافل التجارية المتجهة نحو بلاد السودان، فيقول "إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد نحو مائتين وخمسين ميلاً شرق سجلماسة سكانه فقراء جداً، لا تنبت أرضهم غير التمر وقليل من الشعير بشرتهم سوداء، إلا أن نسائهم جميلات سمراءات". وأما بخصوص منطقة تيكورارين يقول " تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلاً عن شرق تسبت، وحيث يوجد ما يقرب من خمسين قصراً وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل. وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم إلى بلاد السودان. وهنا مجتمع القوافل، لأن تجار بلاد البرير ينتظرون تجار بلاد السودان، ثم يذهبون جمِيعاً...."². وفي القرون اللاحقة، ازدادت الرحلات الاستكشافية الأوروبية إلى المنطقة، حيث زارها المستكشف جيرار رولف عام 1864 م متذمراً إلى هيئة طبيب تركي، بينما تعرض كاميل دول للقتل خلال رحلته الثانية سنة 1887 م. كما قام المستكشفون العسكريون الفرنسيون برحلات عديدة إلى

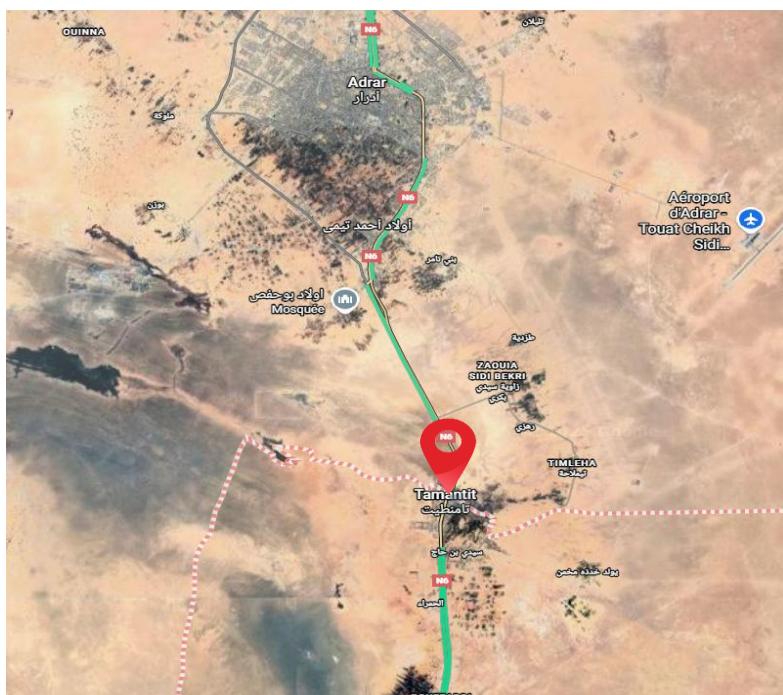
¹ محمد، (بن عبد الله ابن بطوطة)، تحفة الناظار في غرائب الأمصار ، دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت،1980، ص 700.

² الحسن،) بن محمد الوزان(، المصدر السابق ، ص 134

المنطقة، مثل الماجور لينغ عام 1826، ورينيه كايه عام 1828، حيث ساهموا في جمع المعلومات الجغرافية والأنثروبولوجية عن توات.¹

2. لحة تاريخية عن تمنيط

1. تمنيط (الموقع والتاريخ): عند الحديث عن التاريخ الحضاري لمنطقة توات، لا يمكن تجاهل الدور المركزي الذي لعبته تمنيط، التي كانت بمثابة العاصمة والحاضرة الكبرى لهذه المنطقة. فقد شهدت المدينة عبر تاريخها الطويل نشاطاً اقتصادياً وثقافياً مكثفاً، عزّ من مكانتها كمركز حضاري رئيسي في الصحراء الكبرى.



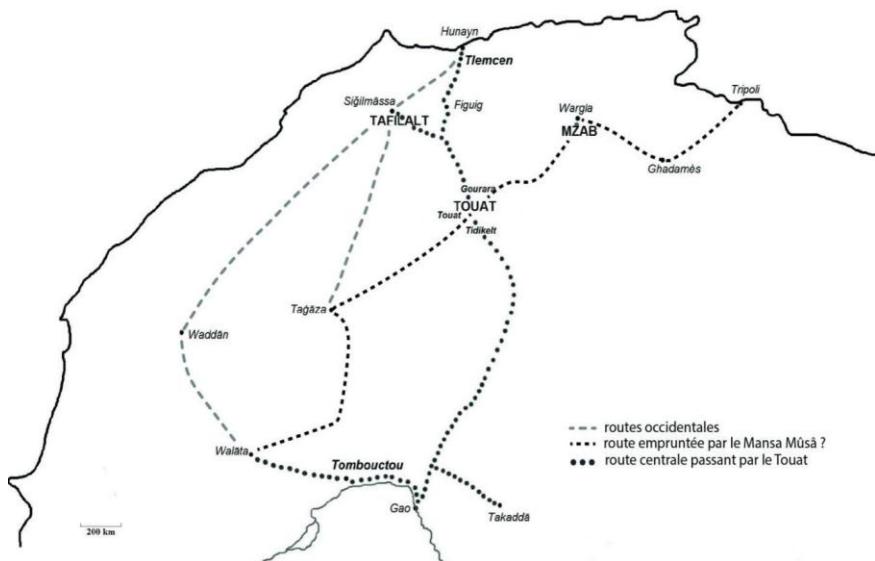
الشكل 02: الموقع الجغرافي لتمنطيط

¹ بن سوسي، (محمد)، مرجع سابق، ص 16.

ازدادت أهمية تمنطيط بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي، حيث تقع في منتصف طريق القصور بين مدن الشمال والجنوب، مما جعلها حلقة وصل بين مختلف المراكز العمرانية والتجارية. وكما هو الحال في العديد من المدن، فإن الموقع الجغرافي كان له تأثير مباشر على تطور المدينة من حيث البنية التحتية، والنشاط التجاري، والتطور الفكري والعلمي. وتُعدّ تمنطيط واحدة من أقدم القصور التي تم إنشاؤها في منطقة توات، حيث يعود تاريخها إلى فترات قديمة تسبق الفتح الإسلامي، ويُرجح أن تكون قد تأسست خلال مرحلة ما قبل التاريخ. وقد شهدت المدينة استقرار مجموعات بشريّة متنوعة، من قبائل ببرية وزناتية، تلتها قبائل عربية، بالإضافة إلى جاليات يهودية ساهمت في تنشيط الحركة التجارية.

لعبت هذه المجموعات السكانية المتنوعة دوراً أساسياً في تشكيل الطابع العماني للمدينة، حيث ساهمت في تطوير هندستها المعمارية، وبناء المنشآت الدينية والمدنية، وابتكار تقنيات زراعية متقدمة مثل نظام السقي بالفقارة. إلى جانب ذلك، كانت تمنطيط مركزاً دينياً وتعليمياً بارزاً، حيث تواجد عليها العلماء الذين أسهموا في نشر المعرفة والتعليم في المنطقة. وبفضل مكانها العلمية والدينية، أصبحت تمنطيط عاصمة لتوات، ومقرًا لقاضي الجماعة التواتية، وهو منصب ذو أهمية كبيرة في إدارة شؤون القضاء والدين في المنطقة. إلا أن هذا الدور تراجع لاحقاً لصالح منطقة تيبي، التي استحوذت تدريجياً على النفوذ السياسي والإداري. وعلاوة على ذلك، لعبت تمنطيط دوراً بارزاً كمحطة رئيسية على طريق القوافل التجارية، حيث كانت تشكل نقطة عبور هامة للتجار القادمين من شمال

إفريقيا والمتوجهين إلى ممالك إفريقيا جنوب الصحراء. وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي، ازدهرت التجارة في المدينة، مما جعلها مركزاً اقتصادياً مهماً في المنطقة.



¹ *Élise Voguet* (routes sahariennes) لـ (routes sahariennes)

إن أصل الكلمة تمنطيط: قد ذكر في مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط، فإن كلمة "تمنطيط" كلمة عجمية مركبة من إسمين وهما "أتما" ومعناها النهاية و"تط" ومعناها العين، فتركب الإسمان وحذف

¹ Élise Voguet, "Le peuplement du Touat au XIV^e-XVI^e siècle : mémoire locale de lignages au sein d'un espace socio-culturel connecté," in Marges impériales, terres d'empire. Échanges, interactions et constructions territoriales dans le monde méditerranéen, éd. Ariane Boltanski, Christian Windler, et Florence Renucci (Paris: Éditions de la Sorbonne, 2023).

الألف في آخر أتما وفي أول اتط، فكان الإسم على ذلك التركيب الخفيف اتمطيط، ثم قلبت التاء اتمنطيط بإشباع ياء فكانت تمنطيط.¹ وقد ورد ذكر إسم تمنطيط أكثر من مرة في تاريخ العالمة ابن خلدون إذ يقول "وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط، وهو بلد مستبحر في العمran، وهو ركب التجار المتربدين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مالي إليه²". في الماضي، كانت تمنطيط تتتألف من مجموعة من القصبات والقصور المتصلة ببعضها البعض، ممتدة من قصر نومناس شرقاً إلى قصر أقبور غرباً، ما جعلها نسيجاً عمرانياً متكاملاً يعكس تطور البناء في المنطقة. وقد شيدت تمنطيط فوق هضبة صخرية واسعة نشأت بفعل عمليات التأكل المستمرة للحجر الرملي التابع لتكوين "الكونتننتال إنتر كالير" (Continental Intercalaire). وتغطي هذه الهضبة طبقة من الرمال والحجارة، وتنحدر تدريجياً من الشرق إلى الغرب نحو المنخفض المجاور للسبخة³؛ كما يقع وادي مسعود على بعد حوالي 35 كم غرباً، بينما تحيط بها البساتين وواحات النخيل، التي تتوزع في اتجاه الشمال بانحدار طبيعي.

¹ الطيب، (بن عبد الرحيم)، *البسيط في أخبار تمنطيط* ، تحقيق فرج محمود فرج تابع لإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984 ، ص 15.

² عبد الرحمن، (ابن خلدون)، *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 118.

³ الطيب، (بن عبد الرحيم)، *مرجع سابق*، ص 15.

تبعد تمنطيط حوالي 12 كلم عن مدينة أدرار، ويحدها من الشمال بلديات أدرار وسبع، ومن الجنوب فنوغيل، ومن الشرق أوقروت وتمقطن، ومن الغرب بودة. أما موقعها الفلكي على الخريطة، فيقع بين خطى عرض 27.46° شمالاً و 0.15° غرباً.

2. نشأة تمنطيط والأعراق التي نزحت إليها:

وابتداء من الجيتوں ومروراً بالفترة الإسلامية إلى يومنا هذا، فإن تمنطيط استقطبت أغلب القبائل العربية والعجمية التي نزحت إلى توات بصفتها عاصمة القصور الصهراوية، ولكل منها (القبائل) الإسهام في التمازن التاريخي لتنطيط؛ وتعتبر من أقدم وأهم المراكز التجارية في الصحراء الجزائرية الكبرى، إذ ساهم موقعها الجغرافي الاستراتيجي في جعلها ملتقى طرق القوافل التجارية، حيث توسيطت كبريات المدن التجارية في شمال القارة الإفريقية. وقد أدى ذلك إلى هجرة واستقرار العديد من المجموعات البشرية فيها، من يهود وببر وعرب وزنوج وغيرهم، ما جعلها مركزاً اقتصادياً وثقافياً نابضاً بالحياة. تماماً كما وصفها الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم في مخطوطه الذي خصه لتاريخ المدينة وسماه القول البسيط في أخبار تمنطيط: "فاعلم أن تمنطيط اسم مدينة في إقليم توات، وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والعمارة والولاية والديانة والرئاسة، وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع، وكان لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع

وال حاجات^١ ... غير أن هناك ما نقل بأن عمارة تمنطيط ترجع إلى حوالي سبع مائة سنة قبل الهجرة إلى أنها معاصر لظهور المسيح.^٢

وارتبطت نشأة قصر تمنطيط بالقبائل التي نزلت به، حيث كان منزعاً لمجموعة من القبائل التي شكلت نسيجه السكاني عبر فترات طويلة من التوافد المستمر والهجرات القادمة من مناطق متعددة. وقد أشار صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط بإسهام إلى مراحل توافد القبائل المختلفة إلى القصر وتعميره، وكانت أول قبيلة استوطنت المنطقة تُعرف سابقاً باسم "المثون"، وهم الملثمون من أولاد يوسف بن تاشفين الذين وفدوا إلى القصر بعد اهياز دولتهم في المغرب والأندلس.^٣ وإلى جانب هؤلاء، استوطنت المنطقة قبائل مطغرة التي قدمت من صحراء المغرب، حيث استقر كثير منهم في قصور تمنطيط وقاموا بزراعة الأشجار والنخيل بأساليب عربية. كما جاءت قبائل عبيد الله إلى توات وتمنطيط، وغالباً ما كانوا يكملون طريقهم إلى بلاد السودان.^٤ شهدت تمنطيط هجرات متعاقبة للقبائل عبر التاريخ، حيث استقرت بها قبيلة أولاد محمد ذات الأصول البربرية، تلتها قبيلة أولاد نسلام المنحدرة من سعيد رياح، والتي تفرعت إلى عدة فروع، منها أولاد اليتيم الذين اندر قصرهم ولم يبق منه سوى بعض الآثار. كما استوطنت قبائل أخرى، مثل أولاد اهمالي، الذين أقاموا بالقرب

^١ محمد الطيب بن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 14.

^٢ حسانى مختار، الحاضر والأمسى الإسلامى، دار الهدى، الجزائر، ج 5، 2011، ص 103.

^٣ الطيب بن عبد الرحيم ، البسيط في أخبار تمنطيط ، مرجع سابق ، ص 08.

^٤ بن سوسيي ،) محمد (، مرجع سابق ، ص 32 .

من أولاد يعقوب، وأولاد داود الذين اشتهروا بالشجاعة وأسواقهم المزدهرة؛ لاحقاً، نزحت إلى تمنطيط قبيلة أولاد علي بن موسى، ذات الأصول السعدية، حيث استقروا بها وأقاموا مقاماً لجدهم سيدى با يوسف محمد. كما شهدت المنطقة استقرار قبائل أولاد يحيى، التي امتدت فروعها إلى قصور عدة، مثل أغرم أقبور، ومنها تفرعت قبائل أخرى كأولاد سيدى محمد فتح بن الحاج ولبدة وذكرى بن يحيى.

ورغم صعوبة تحديد التوزيع الدقيق لهذه القبائل عبر التاريخ، تشير بعض الدراسات، مثل دراسة واتان (*Les origines de la population du Touat*)، إلى أن أولاد علي بن موسى، وهم شرفاء إدريسيون، نزحوا من فاس إلى تمنطيط بعد خلاف مع القبائل اليهودية، وكانوا من أوائل المستقرين بها. كما وصلت قبيلة أولاد سيدى بويحيى ذات الأصول العربية حوالي عام 1413م، واستقرت مجموعة من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، عُرفوا بالمهاجرية، على يد قبيلة أولاد علي بن موسى.¹ ما جعل التركيبة السكانية لمدينة تمنطيط تمثل في² :

¹ المرجع السابق، ص33.

² لمعرفة أكثر عن أصول سكان الإقليم انظر: حساني مختار، الحاضر والأمسكار الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، ج5، 2011، ص72-96.

البرير: يجمع المؤرخون على أن البرير كانوا أول من سكن تمنطيط قبل دخول الإسلام، واستقروا بها وبواحات توات المجاورة لها، ولعل الحجة في ذلك أن أغلب تسميات القصور التوتالية جاءت بلغتهم الزناتية.¹

العرب: كان وصول العرب إلى توات بقصد نشر الإسلام وتعاليمه، وممارسة التجارة. فاستقروا بالمنطقة وكان أولئك دخولاً عرب العقل، ثم تلهم قبائل أخرى كقبيلة الكندة في القرن السابع الهجري، التي استوطنت زاوية كندة، ثم قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية التي استقرت في تمنطيط. وقد أشار محمد الطيب بن عبد الرحمن إليهم بقوله: "هم من أكبر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم، فهم أهل سنة ومروءة ورياسة".²

اليهود: يروي أن اليهود بنوا أول قصر لهم مع معبد سنة 517 م ويسمى "أولاد همال"³، حيث نزلوا بـ تمنطيط وبيطاف وتحفيف وناسفاوت، غير أن شوكتهم قويت في تمنطيط، فكثرت أموالهم بها وسيطروا على التجارة والأسواق. فقد ذكر مؤرخ المدينة الشيخ الطيب أنه كان بها ثلاثة وستة

¹ أحمد أبا الصافي جعفرى، من تاريخ توات (أبحاث في التراث)، دار الحضارة، الجزائر، ط 1، 2011، ص 406.

² نفس المرجع.

³ جعفرى (مبارك)، حاضرة تمنطيط بمنطقة توات ومكانتها العلمية والاقتصادية خلال القرنين 09 و 10 هـ، مقال ألقى في الملتقى الدولي الأول للحاضر الجزائري التأسيس والأدوار، جامعة أدرار 04 و 05 مارس 2020، ص 9.

وستين صائغاً يهودياً يعملون في تجارة الذهب، واستطاعوا بهذا العدد أن

^١ يسيطروا على مقاليد الحركة التجارية بالمدينة لعصور.^١

العيبد: كان العبيد يشكلون عنصراً هاماً في المجتمع التمنطيقي^٢، حيث كانت تمنطيط تمثل بلدة تُحط بها رحال القوافل، ويتم فيها تبادل السلع، ما جعل أسواقها تعرف حركة تجارية نشطة. وقد ازداد الإقبال على تجارة العبيد ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي، وكان الطلب عليهم كبيراً من تجار الشمال الغربي، كما كانت تمنطيط مركزاً رئيسياً لتجارة الذهب وريش النعام والعااج. ومع تزايد الطلب على العبيد ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي؛ شهدت أسواق توات، وعلى رأسها تمنطيط، إقبالاً متزايداً من تجار الشمال الغربي. ولم تقتصر التجارة على العبيد فحسب، بل شملت أيضاً سلعاً ثمينة مثل الذهب الخام، وريش النعام، والعااج، التي كانت تصاهي تجارة العبيد من حيث الأهمية الاقتصادية. وظلت تمنطيط بأسواقها الحيوية تلعب دوراً محورياً في حركة التبادل التجاري بين بلاد المغرب وأقاليم السودان الغربي، حيث شكلت نقطة عبور واستراحة رئيسية للقوافل القادمة من مختلف الاتجاهات والعابرة للصحراء في جزئها الغربي. وبفضل موقعها الاستراتيجي، أصبحت تمنطيط محطة لا غنى عنها ضمن مسار القوافل التجارية، خاصة تلك المتجهة من وإلى أسواق تمبكتو. وكان سوق تمنطيط من أنشط الأسواق في الإقليم التواتي خلال الفترات الحديثة، حيث كانت المدينة عاصمة للإقليم قبل

^١ المرجع السابق.

^٢ شاطو (محمد)، أهمية تمنطيط ودورها في تجارة القوافل خلال الفترة الحديثة، مجلة المواقف، العدد التاسع، ديسمبر 2014، ص 296.

القرن الثامن عشر الميلادي. وقد جذبت القوافل التجارية والحجاج العابرين للصحراء في طريقهم إلى الأراضي الحجازية. وكانت تمنطيط محطة رئيسية على طرق القوافل القادمة من سجلamasة وتافيلالت وشنقيط، حيث كانت تتزود بالمؤن والبضائع؛ يقول العياشي عن ذلك: "إن كثيراً من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخرموا الصرف إلى توات بأن (كذا) الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر... ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك (السودان) شيء كثير، والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نفقة رائجة" في هذه البلاد كالخيول وملابس الملف (المطرز) والحرير، فإن قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل".¹

وينقل أن توات خلال مراحل تعميرها استقبلت سكان مسلمين من أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي شرقه وغربه وجنوبه فنجد العراقيين والتونسيين وأهل السودان الغربي وجنوب المغرب الأقصى والجنوب الغربي الجزائري.² وشكلت تمنطيط عبر تاريخها نقطة تلاقٍ لختلف الأعراق والثقافات، وساهم موقعها الاستراتيجي في جعلها واحدة من أهم المراكز التجارية في الصحراء الكبرى. فقد استقطبت السكان من مختلف الخلفيات العرقية، واحتضنت أنشطة تجارية واسعة امتدت إلى مناطق المغرب الكبير وببلاد السودان. وبفضل بنيتها الاقتصادية المتينة، بقيت

¹ العياشي، (أبو سالم)، رحلة العياشي (ماء الموائد)، تحقيق محمد حجي، ج 1، طبعة فاس الحجرية، المغرب، 1977، ص 20.

² حسانی مختار، مرجع سابق، ص 83.

تمنظيط صامدة لقرون كمركز حضاري أساسي، مما جعلها أحد المعالم التاريخية البارزة في توات.

ثانياً- الهوية العمرانية والمعمارية لمدينة تمنظيط: الخصائص والتجليات

عند استعراض التطور العمراني في تاريخ إقليم توات عامة، وتمنظيط خاصة، نجد أن ابن خلدون كان من أوائل المؤرخين الذين تناولوا عمارة المنطقة بإعجاب كبير. فقد أبدى انهاره بتخطيطها العمراني، وأشاد على وجه الخصوص بنظام الفقاراء، الذي اعتبره ابتكاراً هندسياً فريداً لم يسبق له الاطلاع على مثله.¹ وفيما بعد، جاء المؤرخ سيد محمد بن بابا حيدة، الذي خصص كتاباً كاملاً لمدينته تمنظيط، حيث وصف هندستها وطبيعة مبانيها، قائلاً: "وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان، بل هي متلاصقة العمران... وحولها أصول وبساتين ماؤها بفقارير جارية". كما أشار إلى تفردها بامتداد شبكة الفقارير من ثلاثة جهات: الشرق، والغرب، والجنوب، على عكس بقية المدن. وأضاف أنه كان يوجد في تمنظيط 366 فقارة، منها ما لا يزال جارياً، ومنها ما أصبح معطلاً، وأن عدد قصورها كان مساوياً لعدد الفقارير، بحيث كانت تستضيف كل يوم ضيئفاً في أحد القصور على مدار السنة.²

¹ جعفرى أحمد أبا الصافى، مرجع سابق، ص 397

² الطيب، بن عبد الرحيم (، مرجع سابق، ص 4.

١- أنماط العمارة القصورية:^١

تميز إقليم توات عامة بتنوع أنماط العمارة القصورية، والتي تعكس التأثيرات الثقافية والحضارية لمختلف المجموعات السكانية التي استوطنت المنطقة على مر العصور. وتجلت هذه الأنماط المعمارية في القصور، التي كانت بمثابة وحدات سكنية محسنة، تأثرت بالخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية لسكانها. ومن أبرز هذه الأنماط:

١- العمارة الإفريقية:



يُعتقد أن النمط المعماري الإفريقي في توات يعود إلى فترة الجيتوليين (حوالي 100 ق.م)، وهو السكان الأوائل الذين استوطنوا المنطقة وأسهموا في تطوير سماتها العمرانية. وفقاً لبعض المؤرخين الإغريق

والرومان، مثل هيرودوت، كان الجيتوليون شعراً من أصول بيضاء يعملون في التجارة، خاصة في تصدير الذهب من شمال إفريقيا إلى السودان عبر ما يُعرف بـ"طريق الذهب". ويرى الباحث نديم معروف أن السكان الأصليين في توات تأثروا بالعمارة الإفريقية، مستدلاً باكتشاف أصنام مماثلة لتلك الموجودة على ضفاف نهر النيجر. وتتجلى سمات هذا النمط العمراني في

^١ الصديق (ثيادة)، نمط العمارة القصورية في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مقال ضمن مجلة الحقيقة، العدد 25، سبتمبر 2013، ص 385.

الأبراج والأضرحة ذات الأشكال المخروطية والهرمية (الصورة: تمثل: منظر عام لضريح سيدي بايوسف، عن اشالييه¹، كما تأثرت القصور الصحراوية في توات بتخطيط مدن الحضارات الإفريقية القديمة، التي تعود إلى مئات السنين قبل الاستعمار الأوروبي. وقد شُيدت قصور العمارة الإفريقية من حجارة ضخمة ممزوجة بالطين، وهي سمة أساسية في هذا النمط. أما من حيث التخطيط، فغالباً ما تفتقر هذه القصور إلى أسوار محيطة بها، حيث تعتمد على التضاريس الجبلية للحماية، كما هو الحال في منطقة الهاقار. وفقاً للباحث إيشالي، فقد ظهر هذا النمط المعماري بين القرنين السابع والتاسع الهجري (13-15م).



ولقد استعملت أشكال كروية مصنوعة من الطين كثيراً في تمنطيط، وهي توضع فوق بعضها البعض حيث تزخرف بها أركان البناء في الأضرحة، وهذا النوع من الزخرفة معروف في مناطق غرب إفريقيا². (الصورة: تمثل

¹ المصدر: مذكرة بن سوسيي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا.

² بن سوسيي،) محمد (، مرجع سابق، ص 161.

منظر خارجي لضريح سيدى عبد الرحيم؛ توضح الزخرفة المتمثلة في الأشكال الكروية^١.

٢- العمارة البربرية^٢:

تعرف أيضاً باسم "العمارة البرمكية"، وتمتاز بموقعها على المرتفعات، حيث تبني القصور من الحجارة والطين، وهي المواد المحلية الأكثر استخداماً في المنطقة. تتميز هذه القصور بتحيط داخلي معقد، حيث تضم أزقة ضيقة ومترعة، كما أن المساكن فيها متصلة مباشرة بالسور الخارجي. على عكس بعض القصور الأخرى، لا تحتوي القصور البربرية على ساحة مركبة (الرحبة)، بل تتميز بأبراج ركنية في زواياها لتعزيز دفاعاتها. ومن أبرز القصور التي تمثل هذا النمط: قصر بو علي في بلدية زاوية كندة، وقصور "سالي"، "تيمادانين"، و"تاوريت" في بلدية رقان، حيث تظهر فيها بوضوح السمات الدفاعية. ويلاحظ أن القصور البربرية غالباً ما تبني فوق مرتفعات طبيعية، وتحيط بها أسوار حجرية ممزوجة بالطين، تأخذ عادة شكلاً دائرياً، ما يمنحها طابعاً حصيناً، كما يتم استغلالها كمخازن للمنتجات الزراعية ولملجاً للسكان في فترات الأزمات.

^١ المصدر: مذكرة بن سوسيي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا.

^٢ الصديق (ثياقه)، مرجع سابق، ص 386.

جـ- العمارة اليهودية:

تتميز القصور اليهودية في توات بتصميمها الدائري، وبنيت باستخدام المواد المحلية، مثل الحجارة والطين، ولكنها تختلف عن القصور البربرية من حيث تخطيطها، حيث تحتوي عادةً على برج مركزي وحيد، مما يمنحها طابع القلعة الحصينة. كما أن هذه القصور تتوضع غالباً على مرفعات، وتتألف من أزقة رئيسية وأخرى ثانوية، وكانت تضم مساكن مزودة بحجرات تحت أرضية (دهاليز)، مثل قصر ناظولت في زاوية كننته، وقصر أولاد ميمون في تمنطيط.¹ وشهدت تمنطيط هجرة بعض العناصر اليهودية منذ القرن الأول الميلادي (100 م - 600 م)، إثر نكبتهم على يد القائد الروماني تراجان (Trajan). وقد أنشأ اليهود في المنطقة قصوراً حصينة ونشروا ديانتهم بين السكان المحليين. وتذكر بعض المصادر أنه في عام 1205، خلال البحوث الاستعمارية الفرنسية، تم العثور على منحوتات قديمة يعتقد أنها تعود للطائفة اليهودية. ويُعتبر قصر أولاد همالي وقصر أولاد ميمون في تمنطيط من أبرز القصور التي أسسها اليهود بين عامي 517 م و 517 م، حيث تم اكتشاف نقش حجري في معبد يهودي قديم بقصر أولاد همالي، والذي تم تحويله إلى مسجد في القرن السادس عشر الميلادي بعد استقرار القبائل العربية في المنطقة. كما تم العثور على حجر يحمل كتابات عبرية في أحد المنازل بقصبة أولاد داود. ويؤكد الباحث أشالي أن القصور اليهودية تتميز بموقعها على المرتفعات الطبيعية، وتحيط بها أسوار محكمة البناء، ولكنها نادراً ما تحتوي على أبراج مراقبة. ويأخذ تخطيطها

¹ نفس المرجع.

العام شكلاً دائرياً، مع أسوار متعددة الأضلاع ومتلائمة مع البيئة الجبلية. ومن السمات الفريدة لهذه القصور أنها كانت تُستخدم كقلاء وحصون، مما يعكس الطابع الدفاعي للبيهود في المنطقة، غير أنها تخلو من الفنادق، حيث أن هذه المنشآت تعتبر من خصائص العمارة الإسلامية.

د- العمارة العربية الإسلامية:¹

استقطبت قصور تمنطيط العديد من القبائل العربية التي نزحت إلى توات، نظراً لمكانتها كمركز رئيسي للقصور الصحراوية. وقد تأثر النمط العمراني لهذه القصور بالعمارة الإسلامية، حيث شيدت وفق تخطيطات هندسية دقيقة تميزت بالبساطة والمانعة. وتشابه العمارة العربية الإسلامية في توات مع الأنماط السابقة من حيث استخدام المواد المحلية كالطين والحجارة، إلا أنها تتميز بتصميم هندسي مستطيل أو مربع، محاطة بأسوار دفاعية وخندق في بعض الأحيان. ويختلف هذا النمط عن العمارة البربرية والإفريقية في خلوه من الأبراج الركامية، باستثناء برج أو اثنين للمراقبة. كما يتم الوصول إلى القصر عبر جسر يمتد فوق الخندق الذي يحيط به من جميع الجهات. وتُعرف هذه القصور بدقة بنائها، حيث تتميز بزوايا حادة قائمة، ما يمنحها استقراراً هيكلياً أكبر. ومن المرجح أن ظهور هذا النمط المعماري ارتبط بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وهجرات القبائل الهلالية إلى المنطقة خلال القرن السابع الميلادي (الأول الهجري).

¹ المرجع السابق، ص388.

2- تفاعل الأنماط المعمارية في تمنطيط وتشكل النسيج العمراني:

لقد شهدت تمنطيط تداخلاً معمارياً فريداً عبر العصور، حيث اندمجت الأنماط الإفريقية والبربرية واليهودية في إطار بيئة صحراوية قاسية، ما أدى إلى نشوء نسيج عمراني متكملاً يعكس تأثيرات كل من هذه الثقافات. ساهمت العمارة الإفريقية في تشكيل البنية العامة للقصور، حيث تبنت بعض القصور الصحراوية في تمنطيط تقنيات البناء بالأحجار والطين، مع اعتماد النمط المخروطي والهرمي في بعض الأبراج والأضرحة¹؛ تتميز أضرحة تمنطيط بتصميمها المغطى بقباب مخروطية تمتد عمودياً، ويصل ارتفاعها إلى نحو ثمانية أمتار، مما يجعلها مشابهة للأضرحة المنتشرة في المناطق الصحراوية والمغرب الإسلامي. ويظهر هذا النمط المعماري أيضاً في مناطق تيدكلت، توات، وقرارة، حيث يتتشابه مع العمارة الجنائزية السودانية.

وتأخذ هذه الأضرحة عادة شكلًا مربعاً أو متعدد الزوايا، وغالباً ما تفتقر إلى غرفة جنائزية، إذ تكون من قاعدة مربعة تعلوها قبة مخروطية تنطلق مباشرةً من الأرض. وتوجد تصاميم مماثلة في مسجد سنكوري وسيدي يحيى في تمبكتو، حيث تنتشر المآذن الهرمية والقباب المخروطية². ويرجع

¹ ذكر أبو القاسم سعد الله أن الاعتقاد السائد عند السكان في المدن والقرى هو أن الولي الصالح هو الذي يحمي القرية من العين والغارمات والنكبات ومن طمع الغير، فقد شيدت بقصر تمنطيط أضرحة للأولياء الصالحين منها التي بنيت داخل النسيج العمراني للقصر ومنها ما شيدت خارجه؛ انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1.

² بن سوسيي محمد، مرجع سابق، ص 185.

الباحث *Gauvet* أن هذا الطراز استمد تأثيراته من العمارة المصرية القديمة، إذ عُثر في صعيد مصر على أشكال مخروطية مماثلة. وقد انتقلت هذه التأثيرات جنوباً عبر تحركات الأمراء السودانيين الذين كانوا يعبرون المنطقة إلى الحج، مما ساهم في انتشارها وتطويرها، وصولاً إلى منطقة توات وتنميط، حيث أصبحت أكثر رشاقة وتمدد الشكل المخروطي للقبة¹. وأحد الأمثلة البارزة لهذا النمط هو ضريح في قصر زاوية كنتة بتوات، الذي يتميز بتصميم درج ضخم وقبة مخروطية، ويُعتقد أنه تأثر بضريح السلطان أسكيا الكبير في غاو، المستوحى من الهرم المدرج في صقارة. وتُعد أضحة تنميط نقطة التقاء بين الطرز المعمارية في شمال إفريقيا وممالك السودان الغربي، ما يعكس التفاعل التاريخي بين هذه المناطق. وتبقى القباب المخروطية أبرز سمة في عماراتها، مستمدة من الأشكال الهرمية القديمة، مما يمنحها طابعاً يوحي بالشموخ والاستمرارية. وقد طال هذا التأثير شكل بعض مآذن المساجد التي وجدت في واحات الصحراء، والتي تأثرت بالعمارة السودانية مثل التي وجدت في مدن تمبكتو وأغاديس؛ ساهمت في ذلك تحركات الأمراء السودانيين أثناء رحلاتهم إلى الحج في انتشار التأثيرات المعمارية المصرية القديمة، حيث قاموا بنقل عناصرها الهندسية وتقلیدها. ومع انتقالها إلى جنوب غرب إفريقيا، أصبحت التصاميم أكثر رشاقة، مما أدى إلى استنباط نمط المآذن السودانية، التي تشبه مآذن ورقلة ووادي ميزاب في الجزائر². وفي النهاية، انتقل الشكل المعماري للقبة المخروطية إلى توات وتنميط.

أما العمارة البربرية، فقد أضافت الطابع الدفاعي للقصور، حيث ظهرت الأبراج الركنية والأسوار العالية التي توفر حماية فعالة للسكان. ومن ناحية أخرى، تركت العمارة اليهودية بصمتها على التصميم الداخلي

¹ نفس المرجع.

² نفس المرجع.

لبعض القصور، حيث انتشرت الدهاليز الحجرية والمساحات تحت الأرض، كما ظهر تأثيرها في تخطيط القصور ذات الشكل الدائري المحاط بأسوار متعددة الأضلاع. كما تأثرت أنظمة السقي بتقنيات أكثر تطوراً مثل الفقاراء؛ غير أن هناك تضارياً عن هوية مبتكرها فقد أشار الأستاذ بكري البكري إلى أن القبط هم المهندسون لعمارة تمنطيط الأولى، وهم أول من أنشأ الفقاراء في القطر التوati، ولا نزال بعض الآثار الدالة عليهم باقية مثل الفقاراء المسماة "هنو" وهو اسم لأحد آلهة الفراعنة القدامى^١؛ وهذا ما ذكر في مخطوط درة الأقلام "إن مدينة تمنطيط قديمة جداً ويوجد في بعض التقاييد القديمة أنها كانت عامرة في عهد الفراعنة ومن سكانها القبط وهم المهندسون لبنائها فحفروا الفقاقير ثم شيدوا عليها البلاد...".^٢ وهي أحد أهم وأقدم فقاراء التي تظل بلا نظام توزيع للمياه بل يتم وفق قاعدة التداول^٣ بين المالكين على مدار ساعات اليوم.^٤ ويقول عمر بن عبد

^١ البكري (بكري)، تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، مداخلة ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، 1993-11-07، العدد الأول، ص. 62.

^٢ محمد بن عبد الكريم (البکراوی) ، مخطوط درة الأقلام في معرفة أخبار المغرب بعد السلام، ص 3-2.

^٣ معرفة قوانين وطرق تقسيم الفقاراء انظر: حسانی مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، ج 5، 2011، ص 103-102.

^٤ جعفري أحمد أبو الصافي، مرجع سابق، ص 403.

الرحمان المهداوي حول نشأتها أن جماعة من اليهود التي وفت من المدينة المنورة إلى المنطقة هي التي إختطت الفقارة وعرفت عندهم باسم "الشراج".¹ وذكر في موضع آخر نسيتها إلى بعض القبائل البدوية القادمة من سجلماسة التي نزلت بالقرب من قصر بودة، "... فبنوا وغرسوا وصفت قصورهم على شفير مجرى الوادي بساتين وجنات ونحتوا الفقاقيير...".²



المصدر: مذكرة بن سويسى محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا.

¹ بلعالم (محمد باي)، مقال بعنوان التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، أدرار 1985، ص55.

² محمد بن عبد الكريم (البكراوي)، مرجع سابق، ص5.

وفيما يخص طريقة استخراج مياه الفقاراء يصف العلامة عبد الرحمن ابن خلدون الطريقة بقوله: " وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنبط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقاً بعيدة المهوى. وتطوى جوانبها إلى أن يصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء، فينبغي صاعداً فيفعم البئر، ثم يجري على وجه الأرض وادياً. ويزعمون أن الماء ربما أُعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين وواركلا وريغ^١". ومع دخول الإسلام وهجرات القبائل العربية إلى المنطقة، أضيفت عناصر جديدة إلى النسيج العماني، مثل المساجد والمآذن، وبهذا التداخل المستمر، أصبحت تمنطيط نموذجاً حضارياً يعكس تعامل الثقافات المختلفة، مما جعل عماراتها شاهداً على تاريخ طويل من التفاعل الثقافي والمعماري.

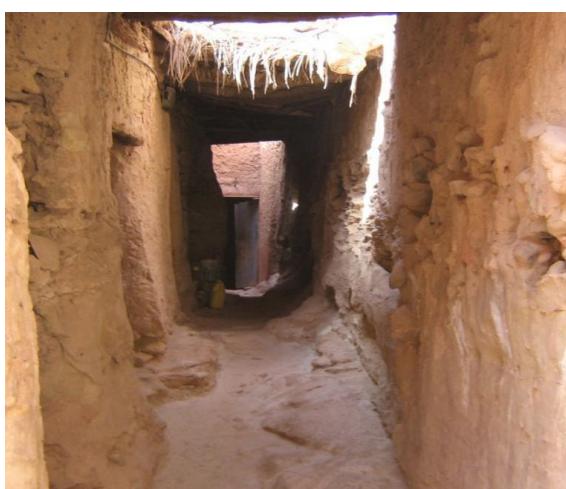
يتميز النمط العماني لقصر تمنطيط خلال تلك الفترة وما قبلها بأنه مزيج معماري يجمع بين الطراز الإسلامي والتأثيرات الإفريقية؛ ومن خلال تحليل هذا النمط العماني، بالإضافة إلى ما ذكره ابن خلدون المؤرخون^٢ الذين سبقوه، يمكن استخلاص مجموعة من الاستنتاجات المهمة، أبرزها:

- اندماج عدة قصور أو قصبات ضمن وحدة عمرانية متكاملة، حيث أشار أحد المؤرخين إلى وجود 366 قصراً متصلًا في تمنطيط.

^١ عبد الرحمن ، (ابن خلدون) ، المصدر السابق ، ص119.

^٢ جعفري أحمد أبو الصافي، مرجع سابق، ص 398.

- تقارب هذه القصور وتلاصق مبانيها، مما يعكس طبيعة النسيج العمراني المترافق.
- تشييد المدينة وسط شبكة من مجاري المياه المعروفة محلياً بـ"الفقارة"، مما ساهم في استدامة الحياة فيها.
- إحاطة المدينة بواحات النخيل، والتي تُعرف محلياً باسم "الجنة"، مما وفر بيئة زراعية داعمة للسكان.
- القصور التوأمية ذات نمط عمراني دفاعي، حيث كانت المجتمعات الإسلامية في إقليم توات تسكن في تجمعات سكنية متراصة تُعرف بالقصر أو القصبة، وهي محاطة بأسوار ضخمة، سواء فردية أو مزدوجة، لتوفير الحماية للسكان. ويتألف القصر من بنية خارجية تحوي داخله مساكن فردية، وله بوابة رئيسية كبيرة تحكم الدخول إليه. كما أن العديد من هذه القصور محاطة بخنادق دفاعية، وتتميز بأبراج مراقبة، يتراوح عددها بين أربعة إلى خمسة أبراج، بحسب تخطيط القصر.



تمتد
التاريخية
ل بهذه
التحصينات الدفاعية إلى
النموذج الإسلامي الأول
في المدينة المنورة، حيث
قام الرسول صلى الله
عليه وسلم بحفر

الخندق في الجهة الشمالية للمدينة لحمايتها من الغزوات، وكان يمتد بطول 1300 ذراع وبعمق أربعين ذراعاً. وبالمثل، يعكس تخطيط القصور التواتية طبيعة البيئة الصحراوية التي كانت تشهد حروباً وغزوات متكررة، مما أدى إلى تبني أنظمة دفاعية مماثلة.

أما التخطيط الداخلي للقصر؛ فقد كانت المساكن متلاصقة، والأرقة الضيقة (كما هو موضح في الصورة، زقاق مسقوف داخل قبة في تمنطيط)^١، التي صُممَت وفق اعتبارات اقتصادية ومساحية؛ تحت هذه البيوت، توجد دهاليز صغيرة تُستخدم لأغراض التبريد وحفظ المنتجات، بينما يمتد تحت القصر نفق جامع يُستخدم كممر بارد في فصل الصيف الحار، مما يعكس ذكاء التصميم البيئي في العمارة التواتية.

يعتبر المسجد أهم مبنى داخل القصر، حيث يقع في موقع مركزي، وغالباً ما يكون بالقرب منه بئر احتياطي لمياه الشرب، ولم تكن مساجد قصر تمنطيط تحتوي على أماكن مخصصة للوضوء (الميضاة)، وهو عنصر معماري معروف في التراث الإسلامي، حيث كان المصلون يتوضؤون في منازلهم قبل التوجه إلى المسجد. ويعود ذلك إلى قرب المساكن من المسجد، بالإضافة إلى الحرث على ترشيد استهلاك المياه نظراً لندرتها وصعوبتها الحصول عليها؛ لم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على تمنطيط، إذ افتقرت بعض المساجد المبكرة في مصر أيضاً إلى الميضاة، مثل جامع عمرو بن العاص بالفسطاط عند بنائه، قبل أن تضاف إليه لاحقاً ميضاة ملحقة،

^١ المصدر: مذكرة بن سوسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجاً.

كما حدث في جامع ابن طولون.¹ أما الساحة المركزية الكبرى داخل القصر، فهي بمثابة السوق الرئيسي الذي يُستخدم لتبادل السلع التجارية، ما يجعل القصر وحدة متكاملة تجمع بين الوظائف السكنية، الدينية، والتجارية، ضمن تخطيط عمراني يتکيف مع التحديات البيئية والأمنية في المنطقة. ويمكننا إدراج بعض سمات العمارة الإسلامية في إقليم توات، والتي تستمد أصولها من المبادئ الإسلامية، بالإضافة إلى تأثرها بالظروف البيئية والاجتماعية للمنطقة، ومن أبرز هذه الخصائص:²

تشييد القصور فوق المرتفعات: تم اختيار الهضاب كموقع لإنشاء القصور لضمان الاستطلاع والكشف، مما يوفر رؤية واضحة للمناطق المحيطة ويعزز الجانب الدفاعي.

التخطيط المحمّن للمبني: صُممت القصور ضمن سور محاط بخندق وأبراج دفاعية في زواياه الأربع، وهو ما يُعرف بالقصر أو القبة، مما يعكس الطابع التحتصيني للمنطقة.

تخصيص غرف لاستقبال الضيوف: تضمنت البيوت التقليدية في توات حجرات منفصلة لاستقبال الضيوف، غالباً ما تكون معزولة عن باقي أجزاء المنزل، تعزيزاً لقيم الضيافة.

¹ بن سويسى،) محمد (، مرجع سابق، ص191.

² جعفري أحمد أبا الصافى، مرجع سابق، ص596-597.

تلاصق المباني والأزقة: أدى قرب البيوت من بعضها البعض إلى تعزيز الألفة وروابط الجيرة، مما ساهم في خلق بيئة اجتماعية متراقبة.



منظر عام لقصر تمنطيط تبدو فيه المساكن متلاصقة (المصدر: مقال هجيرة ت مليكشت" مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية بالجزائر- مساكن قصر تمنطيط")

اتخاذ المسجد مرکزاً رئيسياً: كان المسجد يُبني في قلب القصر، ليكون نقطة ارتكاز تخطيطية، حيث تنظم المساكن والمباني الأخرى حوله.

البساطة في التصميم الداخلي والخارجي: خلت العمارة التوأمية من الزخرفة والأشكال الهندسية المعقدة، باستثناء بعض المساجد التي احتوت على زخارف بسيطة.

التجانس في ارتفاعات المباني: التزمت الأبنية بمعايير موحدة من حيث الارتفاع، التزاماً بالقيم الإسلامية التي تحث على احترام خصوصية الجار وعدم التعدي على حقوقه البصرية.

استخدام الدهاليز والأنفاق: صُممَت هذه الممرات تحت الأرض لتوفير التهوية الطبيعية وتخزين المؤن، إضافةً إلى الحد من تأثير الحرارة الشديدة في فصل الصيف.

الالتزام بأداب الطريق: كان الحرص على نظافة الطرقات واحترام حق الطريق من القيم الأساسية التي انعكست في تخطيط الأزقة والممرات داخل القصور.

غير أن للعمارة الإسلامية أبعاداً أخرى، روحانية وأخلاقية أثرت على النسيج العمراني والمجتمعي في المنطقة، وهي التي شكلت هوية عمرانية متوافقة مع تعاليم الشريعة الإسلامية، ومن أبرز المبادئ التي انعكست في هذه العمارة:¹

الفصل بين الرجال والنساء: التزمت العمارة التوتالية بمبدأ الفصل بين الجنسين، حيث صُممَت المنازل بواجهتين وبابين مستقلين، أحدهما مخصص للرجال والأخر للنساء.

¹ جعفري أحمد أبا الصافي، مرجع سابق، ص 598-599

إكرام الضيف: كان من الشائع تخصيص غرفة مستقلة لاستقبال الضيوف، تقع غالباً في مقدمة المنزل، وتميز بسهولة الوصول إليها، حيث كانت بعض البيوت تترك بابها دون قفل لتسهيل دخول الضيف وخروجه.

الفصل بين الأبناء الذكور والإإناث: التزرت المنازل التواتية بهذا المبدأ عبر تخصيص غرف مستقلة لكل من الأولاد والبنات، غالباً ما كانت تضم ثلاثة أو أربع غرف، تشمل غرفة الضيوف، غرفة الوالدين، وغرفًا للأبناء. أما في المنازل الأصغر حجماً، فقد كانت غرفة الضيوف تُستخدم أحياناً كمبيت للأبناء الذكور.

الاقتداء بالتخطيط العمراني الإسلامي: استمدت العمارة التواتية تخطيطها العام من النموذج الإسلامي الأول؛ حيث شيد المسجد كمحور رئيسي داخل القصر، وأقيمت الحصون والخنادق لحماية القصور، مستلهمةً فكرة حفر الخندق حول المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

تم تقسيم الشوارع إلى رئيسية وأذقة ضيقة، وفقاً لما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تخطيط مدینيتي الكوفة والبصرة، حيث كان عرض الشارع الكبري 60 ذراعاً، والشارع الفرعية 30 ذراعاً، أما الأذقة فكانت عرض 7 ذرع.

مراجعة خصوصية الجار: التزم التخطيط العمراني بمراعاة ارتفاع المباني بحيث لا تسبب في التعدي على خصوصية الجيران، بما يتماشى مع التعاليم الإسلامية.

تعكس العمارة التواتية التفاعل العميق بين الدين والثقافة والبيئة، حيث لم تكن مجرد نمط عمراني، بل كانت انعكاساً لنظام اجتماعي وأخلاقي متكملاً، من خلال تصميمها المحكم، استطاعت هذه العمارة تحقيق التوازن بين المتطلبات الدفاعية والاحتياجات الاجتماعية، مع الحفاظ على القيم الإسلامية التي تشكل جوهرها.

ثالثاً- التعدد العرقي وانعكاسه على الهوية العمرانية في تمنطيط:

العمان في أي مجتمع ليس مجرد شكل مادي للبناء، بل هو انعكاس لهوية ثقافية متजذرة، تبلور من خلال تفاعل الموروثات الاجتماعية والتاريخية والبيئية. وفي تمنطيط، حيث تشكل التعددية العرقية جزءاً أصيلاً من تركيبتها السكانية، ظهر هذا التفاعل في ملامحها العمرانية والمعمارية، التي حملت بصمات البربر والعرب والأفارقة واليهود على حد سواء. وقد ساهم هذا التنوع في صياغة نمط عمراني متجانس، جمع بين التحصينات الدفاعية للقصور البربرية، وتنظيم المجال الإسلامي القائم على مركزية المسجد، إضافة إلى تأثيرات العمارة الإفريقية في الأبراج والأضرحة المخروطية، كما استلهمت بعض القصور تخطيطها الدائري من أساليب البناء اليهودي. هذا الامتزاج الثقافي لم يكن مجرد تأثيرات منفصلة، بل تماهت هذه الأنماط مع بعضها البعض لتشكل عمراً متكيفاً مع خصوصيات البيئة الصحراوية ومتطلبات السكان. فالقصور المشيدة فوق المرتفعات لم تكن مجرد تحصينات دفاعية، بل جسدت فهماً معمارياً نابعاً من الخبرة التراكمية لمجتمعات كانت تسعى إلى تحقيق الأمن والاستقرار. أما المساجد، التي كانت تشكل النواة المركزية لكل قصر، فقد

عكس الطابع الإسلامي في التخطيط العمراني، حيث نظمت حركة السكان وأدت دوراً محورياً في الحياة الاجتماعية. كما أن اعتماد الأزقة الضيقة والمتاشبكة لم يكن فقط نتيجة لضيق المساحة، بل كان أسلوبًا معماريًا يعزز التلاحم الاجتماعي، ويخلق مناخًا داخلياً يحمي من قسوة المناخ الصحراوي.

لقد أسهمت التقاليد الدينية والاجتماعية المختلفة في تشكيل البنية السكنية، حيث نجد الفصل بين الفضاءات الخاصة والعامة داخل المنازل، وهو انعكاس لمبادئ الخصوصية في الثقافة الإسلامية، بينما تبرز في بعض المباني تقنيات البناء الإفريقية التي تتجلى في استخدام المواد المحلية كالطين والأحجار، والتصاميم الهندسية التي تساعده على ضبط الحرارة. أما التأثيرات اليهودية فتتجلى في وجود أحياط خاصة داخل بعض القصور، إضافة إلى أساليب تخطيطية ركزت على الاستفادة القصوى من المساحات الداخلية. ويتبين أن العمارة في تمنطيط لم تكن مجرد انعكاس للبيئة الجغرافية أو الاحتياجات الوظيفية، بل كانت تعبرًا عن هوية مجتمعية تشكلت عبر العصور. فقد استطاعت مختلف الأعراق التي استوطنت المنطقة أن تترك بصمتها في هذا النسيج العمراني، ليس بطريقة متنافرة، بل ضمن انسجام تام يعكس روح التفاعل الحضاري. وهكذا، لم يكن العمران في تمنطيط مجرد تجمع للمباني، بل كان تجسيداً لعلاقات اجتماعية وثقافية، أكدت أن التعدد العرقي لم يكن عامل انقسام، بل كان قوة إبداعية ساهمت في بناء هوية عمرانية متكاملة، تتحدث عن تاريخ المدينة بقدر ما تعكس حاضرها.

الخاتمة:

بعد استعراض مختلف أنماط العمارة التي سادت في تمنطيط، يتضح أن التعدد العرقي لم يكن مجرد ظاهرة سكانية عابرة، بل كان عنصراً رئيسياً في تشكيل الهوية العمرانية للمدينة، مما منحها طابعاً مميّزاً يعكس التقاء وتأثير العديد من الثقافات داخل نسيج عمراني واحد. وقد أفرز هذا الامتزاج أنماطاً معمارية تتسم بالانسجام رغم تنوع أصولها، حيث جمعت بين التحصينات الدفاعية ذات الجذور البربرية، والتخطيط الحضري الإسلامي الذي تمحور حول المسجد، والخصائص الهندسية الإفريقية التي ظهرت في تصميم الأبراج والأضرحة، إلى جانب بعض التأثيرات اليهودية التي تجلت في تخطيطات الأحياء السكنية.

كما أن هذا التداخل العمري لم يكن مجرد مزيج اعتباطي، بل كان استجابة طبيعية لاحتياجات السكان ومتطلبات البيئة القاسية في الصحراء، حيث تم تطوير تقنيات البناء وأساليب التنظيم الفضائي لضمان التكيف مع الظروف المناخية وضمان استدامة الحياة. ولعل أبرز مثال على ذلك هو الاعتماد على أنظمة الري التقليدية مثل الفقاراء، واستخدام الدهاليز والأنفاق الداخلية داخل القصور لتوفير التهوية الطبيعية، بالإضافة إلى تشييد المباني بمواد محلية مثل الطين والأحجار، مما يعكس فهماً معمارياً عميقاً يتناسب مع طبيعة المنطقة.

إن الهوية العمرانية لتمنطيط ليست مجرد انعكاس لعوامل جغرافية أو اقتصادية، بل هي تعبير عن تاريخ طويل من التفاعل الثقافي والحضاري بين مختلف الشعوب التي سكنت هذه الأرض. فقد استطاع سكان تمنطيط

عبر العصور تحويل هذا التنوع إلى عنصر إثراء حضاري، ما جعل المدينة نموذجاً فريداً للتعايش الثقافي المتجسد في عمرانها. وهكذا، فإن دراسة هذه البنية العمرانية تكشف ليس فقط عن الجوانب الفنية والمعمارية، بل أيضاً عن البعد الإنساني والاجتماعي الذي جعل من تمنطيط مدينة تعكس في عمرانها روح التنوع والانفتاح، ضمن إطار ثقافي متماسك يحافظ على خصوصيتها وهويتها المتميزة.

قائمة المصادر والمراجع:

المخطوطات:

1- البكري، (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي)، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد السلام، نسخة الكترونية.

المصادر:

1- ابن بطوطة، (محمد بن عبد الله)، رحلة ابن بطوطة أو تحفة الناظار في غرائب الأمصار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1980.

2- ابن حوقل، (أبو القاسم) ، صورة الأرض، طبعة برلين ، 1938.

3- ابن خلدون ، (عبد الرحمن) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد السابع ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1981.

4- الأصطخري،) إبراهيم محمد الفاسي(، المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر عبد العالى، القاهرة، 1961.

5- العياشي،) أبو سالم (، رحلة العياشي (ماء الموائد)، تحقيق محمد حجي ، الجزء الأول، طبعة فاس الحجرية، المغرب ، 1977.

6- الوزان، (الحسن بن محمد)، وصف إفريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية، بيروت، 1983.

7- الطيب، (بن عبد الرحيم) ، البسيط في أخبار تمنطيط ، تحقيق فرج محمود فرج تابع لإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984.

المراجع:

1- أبو القاسم، (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول 1500-1830، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

2- جعفرى، (أحمد أبا الصافى)، من تاريخ توات أبحاث في التراث، الطبعة الأولى دار الحضارة، الجزائر، 2011.

3- حوتية، (الصالح)، توات والأزواب، ج 1 و 2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

4- حسانى، (مختار)، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، الجزء الخامس، دار الهدى، الجزائر، 2011.

5- فرج،) محمود فرج(، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.

المراجع الأجنبية:

Martin (A.G.P), *Les oasis sahariennes*, challamel, Paris ,1908. -1
J.C, (Echalier), *Villages désertiques et structures agraires anciennes*, Paris , -2
1972

Voguet, Élise. "Le peuplement du Touat au XIVe-XVle siècle : mémoire locale de lignages au sein d'un espace socio-culturel connecté." In *Marges impériales, terres d'empire. Échanges, interactions et constructions territoriales dans le monde méditerranéen*, edited by Ariane Boltanski, Christian Windler, and Florence Renucci. Paris: Éditions de la Sorbonne, 2023.

الرسائل الجامعية:

1- بن سوسيي،) محمد (، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا، من القرن (6هـ إلى 13 هـ [12 م إلى 19 م]), رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الآثار ، السنة الجامعية 2007.

المقالات:

1- البكري (بكري)، تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، مداخلة ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، 07-11-1993، العدد الأول، ص. 63.

2- الصديق (شياقة)، نمط العمارة القصورية في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مقال ضمن مجلة الحقيقة، العدد 25، سبتمبر 2013.

3- بلعالم (محمد باي) ، مقال بعنوان التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، أدوار . جعفري (مبارك)، حاضرة تمنطيط بمنطقة توات ومكانتها العلمية والاقتصادية خلال القرنين 09 و 10 هـ، مقال ألقى في الملتقى الدولي الأول الحواضر الجزائرية التأسيس والأدوار، جامعة أدرار 04 و 05 مارس 2020.

4- شاطو (محمد)، أهمية تمنطيط دورها في تجارة القوافل خلال الفترة الحديثة، مجلة المواقف، العدد التاسع، ديسمبر 2014، 291-303.

ملامح التنظيم العمراني والمعماري للمدينة في المغرب الأوسط

د/ حفيظة هادي

جامعة سطيف

مقدمة

يعد الموروث المعماري من أكبر المؤشرات على عراقة تاريخ أي أمة من الأمم، وأصالة حضارتها، كما أنه أحد أهم الخصائص المميزة للمجتمعات البشرية في أطوار تقدمها وانحصرها، ودليل على حسن تنظيماتها في كافة النواحي، وأكبر اثبات على صدق ما ورد عن تلك الحضارة في المدونات التاريخية، فهو السجل الذي نستقي من خلاله تاريخ العصور المتعاقبة وما عرفته من تقدم وتأخر أو تدهور وتخلّف، وتغيرات عامة طرأت عليها من مرحلة إلى أخرى باعتبارها انتاج فني تضع فيه كل أمة خبراتها ومكتسباتها المعمارية والتقنية والفنية. ولأن المدينة هي الوعاء الحضاري لهذا التراث المعماري ارتأينا من خلال هذه الدراسة أن نرسم صورة عن التنظيم العمراني في المغرب الأوسط من خلال خطة المدينة الإسلامية، ونرصد أنواع العمارة بها باعتماد تقارير الأبحاث الأثرية، والكتابات التاريخية، وتتبع مراحل تطورها منذ النصف الثاني من القرن 1هـ/7م الذي بدأ باستقرار الفاتحين في الحصون والقلاع حيث أنشئت المدينة وتوزعت حول المسجد الجامع، ومقر الحكم (دارة الإمارة) ونظمت خططها وفق طريقة قبلية، مشكلة وحدات صغيرة تنتظم فيها المساجد والأسوق، ثم خلال القرن 2هـ/8م الذي يمثل مرحلة جديدة في تمصير بلاد المغرب الأوسط

وإطباعها بالطابع الحضاري الجديد سواء ببناء مدن جديدة، أو تكييف أخرى قديمة بما يتواافق وقيم الدين الجديد، واتسمت ببناء القصر في الوسط الذي أصبح المبني الأساسي المنفصل تماماً عن المسجد الجامع ومنه تنطلق شوارع رئيسية تحدد جزراً سكنية تؤوي رجال البلاط والإدارة والجند، أما التطور الأخير فكان مع نهاية القرن القرن 5هـ / 11م تنااسب مع وصول سلالات محلية إلى السلطة محلية من غير الفاتحين العرب لعبت دوراً مهماً في تمصير هذه المدن بتعزيز دفاعتها العسكرية بتشييد القلاع كانت مقراً للسلطة، وألفت مدينة حقيقة داخل المدينة، حيث كيف المشهد العمراني مع الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لكل مرحلة. ولدراسة الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية ماهي مراحل تطور التنظيم العمراني للمدينة في المغرب الأوسط؟ ولتلمس جزيئاته طرحنا الأسئلة التالية فيما تمثلت ملامح العمارة وخصائصها المعمارية والفنية في كل مرحلة؟ وهل حملت في طياتها تعبيراً عن كنه الهوية المحلية.

أولاً ماهية ونشأة المدينة الإسلامية

تعتبر المدينة واحدة من أهم الكيانات الحضارية في العالم، حيث تشكل مركزاً رئسياً للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تطورت عبر العصور لتصبح نقطة جذب أساسية للسكان، ومحطة تجمع الثقافات وتنصهر فيها الأفكار، ومن بين أرقتها وشوارعها ينبعث وهج الحضارة، وفي هيكلها تتجلّى معارف البشر، فهي أكثر من مجرد تجمع سكاني. ويعد دراسة تخطيط المدن من أهم الدراسات في تحديد وتعريف

المدينة من حيث طريقة بنائها، ووظيفتها، وأهم القواعد التي سارت عليها في ظل الأحكام والقوانين،

وبناء على اعتبارات معينة. يرجع أصل كلمة المدينة في اللغة العربية، إلى فعل مدن بالمكان الذي أقام به، ومنه سميت المدينة، وجمعت بالهمز على المدائن، ومعنى مدن المدائن أي مصر الأمصار¹. جاءت كلمة مصر في القرآن الكريم بمعنى المدينة لقوله تعالى: "أَتَسْتَبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِّي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ"² ويقصد مصراً في هذه الآية الوطن أو البلد أو المدينة كما تعني المدينة الحصن الذي يبني في أصطبة الأرض ومدن أثارها، والمدينة تعني الأمة³، ومن اللغويين من أرجع أصلها إلى لفظ "دين" الذي يعني القانون عند الأشوريين والأكاديين ، أما عند الآراميين والعربين فتعني القضاء⁴، وهذا ما يوافق أن كل مدينة تخضع لنظام القانون والسلطة، وتطبع كلمة المدينة وحدها التي تشير في آن واحد إلى المدينة التي بناها النبي صلي الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة إلى يثرب وتم تحويل تلك الواحة الصغيرة إلى مدينة بمفهوم حضاري، والمدينة

¹ نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (مرتب ترتيباً ألف بائياً وفق أواىل الحروف)، أرانس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص. 1069.

² سورة البقرة، الآية 61.

³ مجد الدين لفiroز أبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1980، ص. 1518.

⁴ مصطفى عرباوي، الخصائص العامة لخطيط المدينة الإسلامية "مدينة فاس نموذجاً"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ص. 75.

بمعناه العام الطابع المركزي لظاهرة العمران في الحضارة الإسلامية، إذ سعى الرسول الكريم لتطبيق قيم وتعاليم الدين لتهيئة مجتمع إسلامي جديد، ولعل هذا تزامن مع إهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك تدريجياً إلى تكامل مراكزها، حيث شهدت البداية الأولى للعمل المعماري للرسول الأعظم بناء المسجد الجامع، الذي يعد نواة المدينة الإسلامية ومركز ثقلها الذي تعددت وظائفه بين الصلاة والتعلم والتشاور في مختلف الأمور^١، إلى جانب مساجد أخرى بلغ عددها تسع في خطط المهاجرين^٢، واشتملت المدينة على ساحة بفضاء واسع تقام عليها صلاة العيد، عرفت "بمصلى العيد"^٣، ونظمت خططها وجعل لكل قبيلة خطة مع ترك لكل قبيلة حرية تنظيم خطتها والبناء والتعمير وفقاً لظروفها وإمكانياتها لتنذيب الفوارق القبلية وتكريس مبدأ التاخي بينها بعد أن كانت مقسمة إلى وحدات سكنية متباينة ومتناشرة تسكنها بطون القبائل وأصبحت تجمعها مدينة واحدة^٤ ونظرًا لأهمية السوق في استقرار المدينة واستكمالاً لمرافقها ومصدراً للكسب والتجارة والحرف^٥، قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحديد مقر السوق وجعله في مركزها بجانب المسجد الجامع ، لتحقيق

^١ خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ، كتاب الأمة ، قطر، 1997م، ط.1، ص48

^٢ عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار المعارف، الكويت، 1988، ص50

^٣ خالد محمد مصطفى عزب، المرجع السابق، ص.28

^٤ عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص53

^٥ يحيى الشامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1993، ط.1، ص42

سهولة الوصول إليه وعدم تفويت مواعيد الصلاة^١ وخصص في عهده درا لنزول الضيوف وإستقبال الوفود^٢، واتخذت المدينة مارستاننا (دار المرضى والعلاج والتطبيب والتداوي) ، وشملت حبساً للمخالفين والمعاقبين^٣، مما أعطها صبغة وطابع سياسي، وربطت المراكز العمرانية بشوارع وطرق، تبدأ الشوارع الرئيسية من المسجد الجامع بإعتباره مركز المدينة، تتفرع عنها شوارعاً أخرى فرعية مختلقة منازل الأنصار والمهاجرين لتسهيل الوصول إلى المركز (المسجد الجامع)، إختلفت مقاييسها بإختلاف حاجة المرور إليها كان عرض الطريق الرئيسي حوالي عشرة أذرع والفرعية بين خمسة وستة أذرع^٤ وجعلت معسكلات للجند خارجها تبعد عنها بثلاث أميال^٥، عندما ألحت الحاجة للدفاع عن المدينة وتأمينها، قام الرسول صلى الله عليه وسلم مع المسلمين بحفر خندق في الواجهة الشمالية

^{١١٠} عайд وسعي سحاب، العناصر الأساسية في تخطيط المدن العربية الإسلامية، مجلة الأدب، بغداد، 1436هـ/2015م، عد. 112، ص 432.

^٢ محمد عبد الحفيظ الكيتاني الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تج. عبد الله الخالدي، دار الأرقم للطبع والنشر، بيروت، ج 2، ص 51

^٣ المصدر نفسه، ص 327

^٤ عبد الله كامل موسى، الآثار الإسلامية بالجزيرة العربية والشرق والمغرب خلال العصرين النبوي والراشدي، مكتبة زهراء الشرق للنشر، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص 113.

^{٥١٤} محمد عبد الحفيظ الكيتاني، المصدر السابق، ص 237

المفتوحة من المدين وضعت لها حجارة من الواجهة الداخلية للسور¹ ومع ذلك فالنموذج الجديد من التنظيم العثماني هو الذي ولد خارج خارج شبه الجزيرة العربية وهو الذي كن نميل إلى اعتباره مثلاً أعلى تحت التسمية العامة للمدينة الإسلامية حيث شكلت الوعاء المادي للحضارة الإسلامية وال المجال الأساسي الشاهد على تطورها عبر مختلف الأزمنة، فلم تكن مجرد ظاهرة جغرافية بل هي أولاً وقبل كل شيء ظاهرة دينية عرفت بالتغيير والتطور حسب ماجاء في الشريعة الإسلامية، إذ هي إنعكاساً لنظام عقائدي واجتماعي وثقافي وطيفها الحضاري ما هو إلا نتيجة لتعايش الإنسان مع بيئته الحضارية²، مما أكسبها طابعاً مميزاً عن غيرها من المدن الأخرى كما يبدو من خلال تخطيطها وعمارتها متخذة طابعاً كلاسيكيَا لا يتغير³. فلقد أسس المسلمون الحريصون على المحافظة على خصوصيتهم القومية والدينية مدننا الجديدة في البلدان التي فتحوها إنطلاقاً من نوع الوظيفة التي كانت عليها وقت تأسيسها عرفت بالمعسكرات أو الأ MCS أو الأقصى أقيمت حول مكان الصلاة (المسجد الجامع) وحول مقر الأمير ونظمت أحياها حسب طريقة قبلية، لقد نمت هذه المعسكرات وأصبحت ذات تجمعات سكنية ومرافق عمرانية (البصرة والковفة في العراق والفسطاط في

¹ عدنان علي الفراجي ، غزوة الأحزاب (الخندق) أسبابها، طبيعتها، نتائجها، "دراسة وصفية تحليلية"، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، كلية التربية، 2019، عد.14، ص 39

² مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية للنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلان، بغداد، 1982، ص. 21.

³ اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 7.

مصر والقิروان في افريقيا) وقد نافس هذا النمط الإسلامي نمط آخر من المدن القديمة ذات التقليد الإغريقي الروماني كدمشق أو الإسكندرية، وقد استعمل هذا النمط ذو المخطط القائم على مربعات منسقة، والتخطيط المستقيم للشوارع والبوائك الطويلة ذات الأعمدة في تأسيس مدن إسلامية جديدة (قصر الحيرا الشرقي في الشام) كما لاتزال تشهد على ذلك آثار بعض الواقع ولا يدل على الديانة الجديدة سوى المسجد الجامع في وسطها عند تقاطع الخطين العمودي والأفقي أو إعادة استخدام أماكن العبادة القديمة كما هو الحال في استعمال كنيسة يوحنا المعمدان في دمشق، أو سانتا فانسان في قرطبة، لكن مع أواسط القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي نجد أغلب التجمعات تأقطبت في مجمعات القصور التي شيدتها الحلفاء العباسيين في العاصمتين العباسيتين بغداد 758م وسامراء وسار على نهجهم فيما بعد الخلفاء الفاطميون والأميون في قرطبة بالأندلس وأغالبة في افريقيا (العباسية ورقادة)، حيث أنشئت هذه المدن في أماكن خالية من أي أثر عمراني، غير بعيد عن عواصم قديمة مثل رقاده الأغلبية ثم صبرا المنصورية الفاطمية الغير بعيدة عن القิروان، ومدينة الزهراء غرب وشرق قرطبة، ومدينة القاهرة شمال الفسطاط، تخضع هذه المنشآت في أغلب الأحيان لتخطيط صارم يتسم ببناء القصر في الوسط، الذي سيعتبر المبنى الأساسي المنفصل تماماً عن المسجد الجامع، ومنه تنطلق شوارع مستقيمة تحدد جزر سكنية تحوي رجال البلاط والإدارة والجند. ومع نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بدأ التطور الأخير للمدينة الإسلامية وتماشي ذلك مع وصول العسكريين إلى السلطة من غير العرب من أترال وآكراد في الشرق وببرير في الغرب وما

عرفته منطقة الحوض المتوسط من هجوم شامل للحملات الصليبية حيث أخذت المدن هذه المعطيات الجديدة بعين الاعتبار في تخطيطها وعمرانها وذلك عن طريق تعزيز دفاعتها من خلال تشييد أو إعادة تشييد الأسوار التي تعتمد عموما على حصن سمي قلعة في المشرق، ومن أمثلة القلاع الإسلامية قلعة حلب¹ وقلعة الجبل في مصر²، وسميت قصبة في الغرب الإسلامي ومنها قصبة مدينة فاس في العهد المرابطي³، وقلعة بني حماد، وقصبة بجایة.

ومع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي في الوقت الذي كادت فيه المدن تخرج من هذه الأسوار مع ازدياد الأحياء بسبب الكثافة السكانية، وترجمت بالميل إلى التميز الاجتماعي أو القومي أو الديني بظهور الأحياء المقفلة، وبكتافة الأحياء التي قضت أحيانا على استقامة الشواطئ، وهي صو المدينة التي أراد المستشرقون الترويج لها خلال النصف الثاني من القرن العشرين بأنها مدينة غير منتظمة في عمرانها بواجهاتها، وشبكة طرقها وأزقتها المقفلة. وعموما فإن المياني الدينية المركزية هي التي طبعت المدينة منذ الفترة الإسلامية حتى يومنا بطبعها، وقدمت لنا تحفا فنية

¹ لطيفة بوروبه، قلعة حلب الأثرية في ذاكرة التاريخ، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ص 217.

² عبد الرحمن زكي، قلعة الجبل صلاح الدين، دار النيل للطباعة، 1950م، ص 4

³ محمد القاضي، القلاع والقصبات في المغرب الإسلامي، رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم العربي،

الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث، البحرين 2018م، ص 167.

ماتزال شاخصة (قبة الصخرة، الجامع الأموي، جامع القىروان، وسليمانية سنان باشا في اسطنبول، واندثرت القصور لبنائها بمواد هشة أو هجرت أو دمرت بسبب الاضطرابات السياسية التي عرفها العالم الإسلامي مشرقاً ومغارباً. وكان عدد المساجد الجامعة في البداية محصوراً في مسجد واحد في كل مدينة بينما تكاثر عدد المساجد والمصليات في الأحياء بسبب زيادة عدد السكان، واتساع جغرافية المدن، وسيطرت على المظهر العمراني بتعدد قبابها وارتفاع مآذنها، وقد المسجد الذي كان مركزاً للتعليم الأساسية وظائفه الفكرية اعتبراً من القرن السادس المجري الثاني عشر الميلادي، وانتشرت المدارس التعليمية: إلى جانب البيمارستانات، التكايا التي عرفت في بلاد المغرب بالزوايا والأضرحة بسبب تطور حركة الصوفية. لقد ارتبط نمو المدينة الإسلامية، وتحكم في تطورها بجملة من العوامل منها قووة السلطة وطول الفترة الزمنية، وعوامل أخرى جغرافية كوفرة الماء ولهذا نجد معظم المدن والحواظر أستمدت على ضفاف الأنهر الأساسية كمدينة بغداد على نهر دجلة والفسطاط القريبة من البحر الأحمر، ومدينة تونس، المهدية وبجاية على البحر المتوسط ومدينة تمہرت الرستمية على نهر مينا، وقلعة بنی حماد على وادي فرج، و لندرة المياه في بعض المدن كالقىروان تم التغلب على ذلك ببناء الأحواض والمواجل وغيرها. كما شكلت المسالك والطرق البرية احدى الأولويات لهذه المدن لأهميتها في تطور النشاط الاقتصادي حيث كانت محطات أساسية، زودت بخانات على امتداد طرق القواقل التجارية، وداخل المدن استخدمت كفنادق، ومستودعات ومحلات للبيع، إلى جانب انتشار الفنادق عند المرافق أو أبواب المدينة للإقامة، وممارسة التجارة، أما على الصعيد الداخلي فانتشرت الأسواق المتخصصة

حول المساجد، والدكاكين على جوانب الشوارع ذات الأروقة أو خارج أسوار المدن ويتعلق الأمر بالصناعات المؤذية، وخضعت لنظام وقانون الرقابة من طرف المحاسب.

ثانيا التطور العمراني للمدينة في المغرب الأوسط

إن دراسة التاريخ دون إنجازات عمرانية يبقى ناقصا، حيث يشكل العمران أحد الشواهد المادية والعينية التي تتضمن ما تركه السلف من منشئات معمارية تتعلق بالمدن التي استقروا فيها، وهي نتاجاً لتطور المجتمع الذي لا يمكن فصله عن السياق التاريخي الذي تشكلت فيه المدن وتطورت، وغيرها من المداخل المعرفية الجغرافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والأثرية، ومن هذا المنطلق ارتينا أن نرسم صورة ولو محدودة للخارطة العمرانية لبلاد المغرب الأوسط، حيث شكلت المدينة كغيرها من بلاد العالم الإسلامي محور التحول الحضاري الكبير بعد الفتح الإسلامي واستقرار الفاتحين المسلمين، مما يسمح بمعارفة ما أضافه المسلمون، وكيفية تكيفها وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، بدءاً بالاحفاظ على ما وجدوه من مدن قديمة وانتهاءً باستحداث مدن جديدة، بما تشمله من مرافق متعلقة بمركزية المسجد الجامع ودار الامارة، وغيرها من المرافق منذ النصف الثاني للقرن الأول الهجري السابع الميلادي حيث نلمس بداية تحول طابع عمران المنطقة من النمط الروماني إلى النمط الإسلامي، وتسجيل نمواً وتطوراً في المدن والعمaran بعد القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، الذي سيبلغ أوجه خلال العصور المعاشرة حيث استكملت بلاد المغرب الأوسط تشكيلها التام من الناحية التاريخية

والحضارية كما تعكسه كثرة المدن المنتشرة في أنحائه وغناها بالعمaran، ورغم صعوبة الموضوع فقد تمت الاستعانة بالمصادر التاريخية والكتب الجغرافية والرحلات التي زودتنا بمعلومات عن الجانب العمراني من خلال ذكر مرافق المدن ووصف أحياها، وأسوارها، أبوابها، ومساجدها، وأسوقها، وتحصيناتها، مما يقرب لدينا الصورة والمستوى الذي كانت عليه، دون أن ننسى أهمية التقارير الأثرية في هذا المجال، علماً أن هذه الإشارات اقتصرت على المدن التي كان لها علاقة بالأحداث السياسية البارزة، والكيانات المختلفة، أما غير هذه فجاءت بطريقة عرضية لا أكثر مما يزيد من صعوبة البحث وتبع مراحل تطورها بدقة ويزداد الأمر تعقيداً كلما اقتربنا من الفترة المبكرة للفتح الإسلامي.

تميزت المرحلة الأولى بسيادة نوعاً من مدن - الحصون فقد سبق للمنطقة أن عرفت مرحلة من السيطرة البيزنطية التي تركت خاصة في المدن ومثال ذلك مدينة ميلة المدينة- الحصن حيث حظي المغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي بشرف احتضان أول إمارة في عهد القائد أبو المهاجر دينار في إحدى القلاع الدفاعية البيزنطية، التي حولت إلى مدينة إسلامية، وأصبحت منطلقاً لحملاته التوسعية في المغرب الأوسط، وأسس فيها مرفقين أساسين من مراافق المدينة الإسلامية هما المسجد ودار الإمارة على أنقاض كنيسة بيزنطية حوالي عام 59هـ/678م، ومن خصائصه المعمارية صغره، وبساطة بنائه، يعكس نمط المساجد الأولى كجامع القیروان والزيتونة في مرحلة الفتح في مرحلة. ومع أواخر القرن الأول الهجري تبدأ مرحلة جديدة تتمثل في مرحلة حكم الولاة في بلاد المغرب وتستمر حتى

قيام الدولات المستقلة، وأهم ما ميز الجانب العمراني هو انتقال بلاد المغرب الأوسط من مرحلة المدينة الحصن إلى مرحلة المدينة الإسلامية، كمدينة القبروان التي أسسها القائد عقبة بن نافع في 50هـ التي أنشئت في البداية كمعسكرات، ثم تطورت إلى مراكز إدارية، ومن الأمثلة على ذلك مدينة طبنة عاصمة إقليم الزاب التي شكلت نموذجاً حياً لتعامل الفاتحين مع المدن القديمة التي وجدوها أثناء الفتح والفترة التي أعقبتها واتخذوها مقراً لهم، محصنة بسور، فتحت به خمسة أبواب، واتخذ بها قصراً لإقامة الحاكم من الحجارة القديمة وداخل القصر مسجد جامع، إلى جانب الأحياء السكنية والشوارع التي كان لها دور في تنظيم خططها.

لقد تميزت الفترة التي تلت مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ببداية تغلغل الإسلام وحضارته، مع تحول تدريجي من مرحلة الحكم البيزنطي إلى مرحلة الإنصهار في العالم الإسلامي وتشكيل ما أصبح يسمى فيما بعد بالغرب الإسلامي وظهور كيانات سياسية مستقلة لأسباب سياسية ودينية بدأت كنواة عمرانية لتأخذ ملامح المدينة نفسها وكان أول ما يبدأ به في تخطيط هذه المدن دار الإمارة كمقر للحاكم على بعد أمتار عن المسجد الجامع ومثال ذلك المدينة الحاضرة تبرت، حيث رأى عبد الرحمن بن رستم بعد أن بويع بالإمامنة سنة 161هـ في الظروف التي يعرفها الجميع أن يتخد لنفسه حاضرة، سرعان ما ارتفت إلى عاصمة كان يباشر فيها مهامه بالحكم، ويخط فيها كامل المرافق العمرانية الازمة، فاستعان بأهل

الاختصاص والخبرة في تحديد موقعها^١، في مكان وسط بين التل والصحراء ونقطة وصل بين القوافل التجارية وبين جبل جزول وجبل سوفجيج مما أكسما حصانة طبيعية، فضلاً عن وفرة المياه(نهر مينا، نهر تاتش) وخصوصية التربة طبيعياً، أما اجتماعياً فيسكنها عدد موفور من القبائل الإباضية. وهي من أهم المدن الإسلامية نشأة في المغرب الإسلامي خاصة والمشرق عامه بلغ شأنها أنذاك شأوا كبير ولقبت ببغداد الصغرى، مما جعل المؤرخون والجغرافيون يولون عناية كبيرة في وصفها وتخطيط عمرانها. كانت هذه المدينة بسيطة في مراحلها الأولى^٢ ولم تمضي عشرة سنوات حتى خطت خطوات ملموسة نحو الرخاء، وهاجر إليها المشارقة والمغاربة والأندلسيون، كما قصدها أرباب الحرف، التجار، الفنانين، والعلماء والمناوئين السياسيين، وسكنها اليهود والنصاري، وظلت متصلة دينياً وفكرياً وسياسياً بالتنظيمات السرية للخوارج في البصرة، التي تمدتها بالأموال والرجال مما أسهم في اتساع دائرة عمرانها المتاثر بالتقاليد المعمارية العباسية في بغداد، والأموية في الشام، وكان أول ما بناه عبد الرحمن بن رستم المسجد الجامع من الخشب المقطع من موضع المدينة، مكوناً من

^١ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ / 296م)، دار القلم، الكويت، 1408هـ ، ط. 3، ج 1، ص 39.

^٢ وهذا ما تأكّد من خلال إشارة بعض المصادر التاريخية عن بناء عبد الرحمن بن رستم لداره ومشاهدة الوفد الشرقي الذي جاء لتقديم يد المساعدة وهو فوق سطحها، وعندما أذن لهم بالدخول لم يجدوا إلا رجلاً جالساً على حصیر وسيفه ورممه وفرسه مربوط.

أربعة بلاطات¹ ثم شرع في بناء مسكنه بجانب المسجد وقام بتنظيم خطط المدينة بتوزيع الأراضي على الناس وأمرهم بالبناء بتشكيل أحياءا سكنية منها: حي القرويين، حي الكوفيين، حي البصريين... وكان لكل حي رحبة ومسجدًا وبذلك تعددت المساجد وأصبح لكل مذهب وفرقة مسجدها بعد أن ازدهر عمرانها²، إلى جانب الكتاتيب (المدارس القرآنية) لتعليم اللغة العربية لحفظ القرآن، كتلك التي اكتشفت بمحاذة مسجد سدراته³، التي انتقل إليها الرستميون بعد سقوط دولتهم على يد الفاطميين، وكشفت عنها فرقة تنقيب جزائرية سنة 1977م، مثلت المساكن أهم المظاهر العمرانية والحضارية بها، فهي ذات طابع إسلامي مغلق من الخارج، ومنفتح على الداخل حفاظا على خصوصية سكنيه، جسد فيه الجانب المعنوي والجانب المادي في الابداع العماري الاسلامي محسدا المرجعية والأصل في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم⁴، فقد خضعت هذه المساكن في تهرّب

¹²³ أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، ج.1 تح. جمال طلبة، دار الكتب العلمية ط.1، 2003م ص. 250.

²⁴ ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية 196-160هـ / 777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، 1985م، ص. 278، 277.

³²⁵ الواقعة جنوب عرب ورقلة بالقرب من وادي مانة، كانت منطقة عبور للقوافل التجارية القادمة من السودان، استقر بها المسلمين منذ وقت مبكر، هاجر إليها الرستميون الفارين من تهرّب بعد سقوطها على يد الفاطميين، في القرن 10هـ / 777م وبقوا هناك مدة ليست بالطويلة، لتهاجر جماعة منهم إلى بسبب الظروف الطبيعية القاسية إلى منطقة وادي ميزاب غردية.

⁴ ²⁶ قام الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء بيوتا تكون مسكنًا له، ولزوجاته، تمثل نموذجاً للمسكن الإسلامي وتجسيد لمبادئ الإسلام وقيمته كان عددها تسعة، تمثل نموذجاً للمسكن الإسلامي وتجسيد لمبادئ الإسلام وقيمته خطت من الجهة الشرقية

كغيرها من المدن الإسلامية الأخرى كفاس والقيروان وغيرها في طريقة بناءها لمقاصد الشريعة الإسلامية، بالرغم من اختلافها من منطقة إلى أخرى حسب الظروف الطبيعية والمادية، فكانت في البداية الأولى نموذجاً للبناء الأفقي لقلة عدد السكان مما يجعلهم غير ملزمين لبناء الطوابق¹، حفاظاً على خصوصية المساكن الواطئة ومتلاصقة تجسیداً لمبادىء الإسلام المسلم أخوه المسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض، ومتباہة في عناصرها الأساسية و مظہرها العام كما دلت على ذلك الأبحاث الأثرية من خلال الأسبار التي قام بها كادني Cadenet سنة 1958-1959م في محیط المدينة وكشفت على بنایة مستطيلة، مكونة من ثلاثة غرف متالية مستطيلة بأبواب بها بقايا جصية مطلية بالدهان، ومبلاطة بقطع آجرية تشرف على فناء واسع مبلط بالحجارة، الذي سنه الرسول صلى الله عليه وسلم عند

للمسجد، لم يكن السقف فيها بالعلی، لكل بيت مدخل، وبها فناء يحتوي على مكان للغسل، وآخر للطبع، أما الفناء العام بين كافة البيوت إحتوى على فضاءات مشتركة بينهم منها مكان لمبيت الحيوانات ومشربة (عبارة عن غرفة أوى إليها النبي عليه السلام عند ما اعتزل نساؤه، وخيمة تذهب إليها زوجاته عندما يأتيه الصحابة، والكتيف الذي أصبح أهم العناصر المعمارية في البيوت بعد ما كانوا يلجؤون إلى أماكن في الخارج تسمى المناصع. كما وجد في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها سهوة (فجوة صغيرة في جدار البيت توضع فيها مختلف الأشياء) إذ عد منزلها نموذجاً لمنازل الزوجات الأخريات والذي شرف الرسول صلى الله عليه وسلم على بنائه بنفسه: حفصة العمري، بیوت الرسول صلى الله عليه وسلم ثانی ابداع في العمارة الإسلامية، هندسة الرافدين، 2010، ع2، ص 111، 112؛ محمد بن فارس الجميل، بیوت النبي صلى الله عليه وسلم وحجراتها وصفة معيشته فيها (بیت عائشة نمة ذجا)، جداول للنشر والترجمة، بيروت، 2016، ط1، ص 75، 77

¹ محمد عليلي، فلسفة العمran الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التارخية الأثرية، 2018، عد.2، ص 61

بنائه الأول، في أول التصميمات والتخطيطات الإسلامية السكنية^١، احتوت عليه المساكن الأموية والعباسية، والفارطمية يتوسط الدور، والقصور، ويعود وجوده ضرورياً لما يوفره من تنظيم وسيرورة الحركة في المسكن، ومنع وصول الضوضاء للحجرات^٢، وتأمين خصوصية الأفراد، وتقليل الحرارة، وتوفير الإنارة والإضاءة الطبيعية. وقد تم الكشف في مدينة سدراته عن مجموعة من المساكن العامة والخاصة، ورغم قلتها فإنها أعطت صورة واضحة على النمط المعماري الإسلامي للبيت الإسلامي ذو الصحن الوسطي المكشوف، المحاط بالغرف المكسوة جدرانها بطبقة من الجص المحفور بزخارف مختلفة. وقصران أروع المباني المكتشفة لاحتواها على أربعة وثلاثون غرفة مزينة بلوحات جصية تحمل زخارف كتابية وهندسية ونباتية متنوعة^٣. ولأهمية السوق في العمران الإسلامي زودت المدينة بالأسواق نسبت إلى أصحابها (سوق إبراهيم، سوق ابن جاللة ، ابن وردة مقدم العجم)^٤، أهمها السوق الكبير الذي تشرف عليه قصبة عبد

^١ هبة عبد الله محمد وأخرون، الفناء وأهمية الوظيفة في العمائر الدينية والمدنية خلال العصر الإسلامي، المجلة الدولية للدراسات السياحية والضيافة، 2022، ع، 1، م 2، ص 23

^٢ مجري محمد عبد الرحمن الحريري، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، تق: محمد سعيد حسن الفارسي، الشركة للتوزيع، مكة المكرمة، ط 1 ، 1989 ، ص 2

^٣ محمد الطيب عقاب، التراث المعماري في مدينة سدراته التاريخية، حوليات المتحف الوطني للأثار، عد 11، مطبعة سومر بئر خادم الجزائر، 1422/2002م، ص.28-40

^٤ إبراهيم بحاز المرجع السابق، ص.176.

الرحمان بن رستم المعروفة بالمعصومة التي ذكرها الإدريسي^١ ولتنظيم المدينة اهتم الفقهاء الإباضيون بوضع القوانين على أساس الشريعة الإسلامية، ومنها نظام الحسبة التي تجلت بصفة أكثر داخل الأسواق كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه، ثم صارت نظاماً إدارياً مع تطور الدولة الإسلامية، لدرجة أن أحد الأئمة الرستميين وهو أبو اليقظان مارس هذه الحرفة^٢، وأسندت لصاحب الشرطة في عهد الامام أبي حاتم بعد ظهور المنكر والفسق في المجتمع التميري^٣، ومن المراقب الذي خدمت هذه المهنة نجد السجن، وشيدت فيها دار للقضاء، ودار للزكاة ، حيث كان الأئمة الرستميون يجلسون في المساجد للنظر في أمور الناس، وكانت تهرت منارة للعلم مزودة بمكتبة سميت "المعصومة"، وانتشرت فيه دور نسخ الكتب ونشرها، والحمامات التي فاق عددها 12 حماماً^٤، كشفت عن أحد其 الحفريات الأثرية لسنة 1990-1980 م بخصائصها المعمارية، والفنادق والخانات للسكن والتخزين الطعام والمؤن^٥، ولوفرة المياه بها من عيون وأنهار ذكرت في المصادر التاريخية والجغرافية، اهتم الأئمة الرستميين

^١ أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسني الأدريسي نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نش. هنري بيراس، كلية الآداب بجامعة الجزائر 1957 م، ص. 66.

^٢ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ترجمة محمد ناصر وإبراهيم نحاز، دار الغرب الإسلامي، ص. 73.

^٣ ^٤ عبد الكريم يوسف جودت ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة الدراسات الكبرى، ص. 33.

^٥ البكري، المصدر السابق ، ج 2، ص .250.

^٦ فطيمة مطهري، مدينة تهرت الرستمية (دراسة تاريخية حضارية 2-3 هـ / 8-9 م) ، مذكرة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بالقайд، تلمسان، 2009 – 2010 م، ص 342.

بنظام الري الذي شمل الدور والأحياء والبساتين والحقول باستعمال نظام الأرقاء على الأنهار لدفع المياه^١ ونظام التويبة في توزيعها كما كان سائداً في ورقلة كما جاء ذكره في كتاب القسمة وأصول الأرضين للفرسطائي. ولتأمين المدينة بنيت فيها العديد من القلاع والأسوار التي تتخللها أبراجاً، وزودت بأربعة أبواب: باب الصفا من الجهة الشرقية للنزهة والتسلية، باب المنازل من الجهة الجنوبية، للعاملين في البساتين، باب الأندلس شمالاً للسفر وباب المطاحن غرباً للحبوب وطحنها ، حيث كان خص كل باب بنشاط م فالأول مخصص للتنزه، والثاني للعاملين في البساتين، أما الثالث للسفر والأخير^٢، يصفها ابن حوقل "... ذات سور بها الكثير من الناس فيها جامع وفي المحدثة جامع وكل إمام وخطيب والتجار والتجارة وأهم المياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين وحمامات وخانات...".^٣

بدأ التطور الأخير للمدينة في المغرب الأوسط مع نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بقيام إمارات محلية، كان لهم دوراً كبيراً في تمدين المدن، وبناء نمطاً جديداً من المدن، بنيت في موقع مرتفعة، وبأشكال أشد ضيقاً، أحاطت بسور يعتمد عموماً على حصن، يشرف على مدينة سكنية هي مقراً للسلطة الحاكمة كضرورة للدفاع والحماية من الخطر الخارجي، عرفت بالقصبة في بلاد الغرب الإسلامي، تمثله قلعة بني حماد نتيجة للدور العسكري الذي طغى عليها أكثر من أي شيء آخر ، بسبب الفترات العصبية التي عرفها المغرب الأوسط، لكن اسمها تعدى

^١ ابن الصغير، المصدر السابق، ص. 35 - 36.

^٢ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.34.

^٣ ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، بيروت، ص.39.

الدور المجازي لمعنى الحصن أو القلعة لترتقي إلى اسم المدينة بكل ما تضمنته من مرافق إدارية وسياسية واقتصادية، ومنشآت عسكرية ودينية ومدنية مثلت أكمل تركيبة عمرانية، رعيت في بنائها الحصانة الطبيعية لوقوعها في جبل المعاضيد بسلسلة الحضنة شمال شرق مسيلة، بنيت على هضبة صخرية يصل ارتفاعها 950م، مسندة لقمم جبلية، شمالاً جبل تاقربوست على ارتفاع 1480م، وغرباً جبل قورين وشرقاً وادي فرج المحصن بسلسلة من الخواصر الجبلية، مما جعلها في موقع دفاعي حصين، يصعب الوصول إليه إلا منفذ وحيد يتبع وادي فرج جنوباً¹. لم تكن لهذه المنطقة أهمية كبيرة إلا بعد أن ارتبط تاريخ القلعة بمؤسسها حmad بن بلقين بن زيري بن مناد بن عطية، من قبيلة تلقاته الصنهاجية الذي شيد بها قلعته سنة 398هـ / 1007م، وأصبحت عاصمة لبلاد المغرب الأوسط قاطبة، خاصة بعد سقوط القิروان على يد القبائل الهمالية، ورحيل جل أهل إفريقيا إليها²، عن حmad بن بلقين بإرساء قواعد دولته، وأصبحت المدينة مهيئة للسكن، ولجا إلى تعميرها، فذكر ابن خلدون: "أن حماداً بعد أن اخترط مدينة القلعة سنة ثلا ثمائة وثمان وتسعين نقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة (البويرة حالياً) وجراوة من المغرب الأقصى، وتم بناؤها

¹ Lcien Golvin, Recherches archéologiques à la qual'a des banu Hammad, G. P Maisonneuve et Larose, Paris, 1965, P.19.

² أبي عبد الله محمد ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوكبني عبيد وسيرتهم، تح. جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص. 72

وتمصيرها على رأس المائة الرابعة^١، كما استقبلت المدينة هجرات من افريقيا بسبب المجاعات عام 395هـ/1004^٢، ومن قرطبة بالأندلس بعد الحرب الأهلية المعروفة بالفتنة البربرية^٣، فأخذت المدينة في النمو والاتساع بتزايد عدد السكان واستقطابها للحركة الاقتصادية وهذا ما جعل الإدريسي يصفها "ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرًا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكنا"^٤. وتواصلت هذه الهجرات من افريقيا بعد سقوط القيروان حيث فر الكثير من أهل الثراء من التجار والحرفيين والعلماء إلى القلعة، ليضيفوا لها قوة اقتصادية وازدهارا اجتماعيا وثقافيا لم يشهده المغرب الأوسط من قبل وصفها الإدريسي : "هي قلعة كبيرة ذات مناعة وحصانة، تمصّرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقيا وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة"^٥. حيث ساهم هذا التنوع في التركيبة البشرية المكونة من العناصر المحلية والوافدة والأقليات اليهودية والمسيحية في

^١ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1983م، مج. 6، ص. 323.

^٢ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويiri، نهاية الآرب في فنون الأدب، ج. 24، تتح. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1983م ص. 278.

^٣ عبد العزيز الفيلالي قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، عد. 7، 1427هـ/2006م، ص. 10.

^٤ الإدريسي، المصدر السابق، ص. 109.

^٥ ياقوت الحموي معجم البلدان، ج. 3، بيروت، 1990-1993، ص. 398.

التطور العمراني بحملهم خبراتهم ومعارفهم في مجال المعماري والفنى فتطورت القلعة في جو التعزيز السياسي والاقتصادي لحكامها وطموحاتهم في تأسيس دولة قوية وبناء عاصمة تصاهي غيرها من الحواضر الإسلامية، ويعزى إلى الناصر بن علاء الناس 454هـ/1062م تشييد أسوارها واستكثار المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن ورحل إليها من الثغور الدانية والقاسية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب المصانع لنفاق سوق المعرف والحرف والصناعع¹ كما كان ابنه المنصور مولعاً بالبناء، فهو الذي حضر ملك بني حماد، وتألق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه والرياض والبساتين فبني في القلعة قصر الملك والمئار والكوكب وقصر السلام والعروسين وبلارة وجدد جامعها الكبير². شاهدة بذلك على تطور عمراني وحضاري كبيرين، نتيجة الظروف البيئية الحيوية والأمنية بعد حصول الهيئة الاجتماعية، وقد ارتبط تخطيط القلعة كمدينة إسلامية بمضامين سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ودينية، وتطابق مع الشروط والمعايير التي حددها منظري العمران لكمال المدينة الإسلامية: أن يسوق لها الماء إذا بعد في أنهار وحياض؛ تخطيط الطرق والشوارع؛ بناء جامع للصلوات في وسط المدينة ليقرب لجميع الناس؛ أن يضع لها أسواقاً في أماكن مختلفة؛ أن يسكن القبائل في أحياء خاصة بها؛ أن سكن الملك في أفسح أطرافها ويحيط حاشيته وأجناده به؛

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، مج 6، ص 323

² نفسه، ص. 358

أن يحيط المدينة بسور ؛ أن يسكن بها أهل الحرف والعلوم^١. واحتوت المدينة على منشآت هامة من قصور وحصون، ومساجد وأحواض وجسور ومرافق أخرى، تحكم في التوزيع العمراني طبغرافية موضعها، فبدت على شكل مصاطب تشبه مدينة الزهراء بقرطبة، وصمم التنظيم المعماري فيها على أساس أحيا سكنية، أقيم في كل حي قصرا، وفي القسم الأعلى امتد قلب المدينة حيث قصر البحر والمسجد الجامع، أما القسم الجنوبي المنبسط فخصص للأسواق التجارية. لارتباطها بشبكة المسالك والطرق التي ساهمت في التطور الاقتصادي وربط علاقات تجارية مع بلدان المغرب والشرق والسودان تعدت إلى دول شمال المتوسط، وأحيطت بسور دفاعي محكم طوله 7 كلم وعرضه 120-160م، فتحت به ثلاثة أبواب: باب الأقواس من جهة الشمال الشرقي، وباب الجنان من الغرب وباب جراوة جنوبا وحسب ابن حماد الصنهاجي أن القلعة وسورها بناها أحد العبيد المسيحيين يدعى بونياس^٢، ودعمت المدينة برجا مكونا من قاعتين متناضدين القاعة السفلية مربعة الشكل طول ضلعها 20م، سقفها مقبب ومتقاطع وأركانها على شكل كوات نصف دائيرية، استخدمت كمخزن للأسلحة أو سجن، بينما القاعة العلوية ذات شكل صليبي طول ضلعها 5م يعلوها سطح فيه مرآة للمراقبة وتبادل الإشارات الضوئية على منوال مرآة شوف الرياض بعاصمتهم الثانية بجایة تأكيدا على قوة الدولة، في وسط

^١ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تتح معي هلال السرحان، دار النهضة

العربية، بيروت 1988م ، ص.163-164

^٢ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق

المدينة بني المسجد الجامع الذي يعد ثان أكبر جامع في المغرب الأوسط بعد مسجد المنصورة في تلمسان، يعود تاريخ تأسيسه إلى تاريخ تأسيس القلعة سنوي 398-400هـ / 1010-1007م، وهو ذو شكل مستطيل طوله حوالي 63.20م وعرضه 53.20م، به بيت للصلوة مكونة من 13 أسكوبا و8 بلاطات عمودية على جدار القبلة وفي الجهة المقابلة ترتفع مئذنته، وهي ثاني أقدم مئذنة في المغرب الأوسط بعد مئذنة جامع سidi أبي مروان بعنابة، بارتفاع 24.70م، طول ضلعها 6.50م، حيث لفت بشموخها وإتزانها انتباه كثير من المؤرخين والجغرافيين أمثال ابن خلدون واعتبرها من البناءات العظيمة لهندسته المتقدمة لقوله "والصناجين أثراهم باد إلى اليوم في صومعة قلعة بني حماد"¹ وأصبحت نموذجاً للمآذن الموحدية والمرينية والزيانية²، يوجد بالجامع مقصورة مكونة من 5 بلاطات و4 أساكيب وخزان للمياه في الركن الشمالي الشرقي، ومنه تنطلق الشوارع إلى قصور الحكام الغير بعيدة عنه بأفسح أطراف المدينة المحاطة بمساكن رجال الإدارة والجند، تميزت بدقة التخطيط وروعه التزيين الفني متاثرة بالطابع الهندسي المشرقي وتحديداً العباسي³، وانتقلت هذه التأثيرات عن

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، مج. ص. 381-382.

² محمد لخضر عولي، مئذنة قلعة حماد بين القبروان وقرطبة، التراث الأثري عمران وعمارة.. فن وصناعة، مجلة

الثقافة، وزارة الثقافة، عد. 16 ، أكتوبر 2007م ص. 81.

³⁵⁴ المنظمة داخل سور محصن بأبراج في شكل مصاطب تظهر فيها الحدائق التي أصبحت جزءاً جوهرياً منها، ومكوناً من قاعة العرش بنفس النمط قاعات العرش الأموية تعلوها قبة مركبة، ومصلى وإيوان على التراث الساساني، له مدخل للسقيفية مع وجود فناء المكشوف كما في قصر الصحن بمدينة رقاد الأغلبية، المتأثر بعمارة

طريق الفن الأغليبي¹، حيث بنيت بمدينة القلعة عدة قصور كشفت عنها التنقيبات الأثرية وجاءت مطابقة لأوصاف المؤرخين والجغرافيين، من أهمها قصر البحر الذي كان مقراً للسلطة، فيذكر صاحب كتاب الاستبصار: "ولبني حماد بالقلعة مبانٌ عظيمة وقصور منيعة متقدمة البناء عالية السناء منها قصر المسمى بدار البحر، به صهريج في وسطه تلعب فيه الزوارق، وماه كثیر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف، به قصور غير هذا ومبانٌ عجيبة، وفيها آثار لالأول عجيبة"² حيث أخذ القصر مساحة ضخمة في بنائه³. وكان تخطيطه الهندسي مختلفاً عن غيره من حيث الشكل والحجم بقاعاته المستطيلة

القصور المشرقية من خلال التخطيط ومكوناتها المعمارية، ومن حيث الشكل فهو نموذجاً للقصور العباسية، لكن بحجم أقل.

ذو الشكل المربع بجدرانه المحسنة بأبراج ومدخل منكسر واحد في منتصف إحدى الجدران وقاعة العرش بثلاث بلاطات بنفس نمط قاعات العرش الأموية تعلوها قبة كما في القصور العباسية بسامراء وقصر العاشق غيره و ويقابلها مصلى كما هو موجود في كل القصور الأموية والعباسية والفناء المكشوف ولاستقبال الضيوف زود القصر باباً يوان به مدخل للسقيفه كما في مجالس أبواب مدبية ببغداد وباب العامة في سامراء وقاعات الإستقبال في أبواب القصور الأموية وكانت الغرف إما مستطيلة أو مربعة متصلة بباب واحد يفصلهما رواق، أو بسيطة كل غرفة بباب. أسماء عمارة، عمارة القصور الأميرية بـإفريقية في العصر الوسيط "قصر الصحن نموذجاً"، دراسات في آثار الوطن العربي، عد. 20، ص. 436 ، 439

² صاحب كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص. 168.

³ عبد الحليم عويس، دولة بنى حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائري، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، الإسكندرية، 1411هـ/1991م، ط. 2، ص. 276.

والصلبية المزينة بمشكواط أو بدونها¹، تتوسطه بركة طولها حوالي سبعة وستون مترا، وعرضها سبعة وأربعون مترا وعمقها مترا وستون سنتمرا، تحيط بها بعض القاعات والرواقات المزданة بأبدان الزخارف الفنية كالرخام المنقوش²، إلى جانب مرفق أخرى، والكثير من الصهاريج والأحواض، حيث كيف موقع المدينة على سفح الجبل وبمحاذاة واد فرج مع نظام المياه ليشمل كل أنحائها باستعمال القنوات، وأحيط القصر بالبساتين³، أما قصر المنار فتميز بتخطيط معماري، وأسلوب فني مغاير لباقي القصور، بوجود برج للمراقبة (برج المنار) واحتواء هذا المجمع ثلاث بنايات متلاصقة: البناءة الجنوبية المركزية، والبناءة الجنوبية الشرقية والبناءة الجنوبية الغربية، ومصلى صغير لا تتجاوز مقاساته 1.80 على 1.70 م وهو بذلك يعد أصغر مصلى في العالم الإسلامي وتحلل القصر أحواضا من الأزهار والأشجار المثمرة ونافورات المياه من كل الجهات، ومن حيث التصميم الهندسي فقد تميزت هذه القصور بداخلها المتقدمة، يلهمها رواق منكسر، يؤدي إلى السقيفة⁴، تقوم مقام غرفة الاستقبال مزودة

¹ رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وأثارها، ديوان المطبعات الجامعية، الجزائر، 1397 هـ/1977 م، ص 269.

² محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015، ص 225.

³ Lucien Golvin , Le Maghreb central à l'époque des Zirides, art et métiers graphiques, Paris 1957

⁴ تعتبر عنصرا معماريا بارزا في تصميم البيوت الإسلامية مشرقا ومغاربا، ظهرت فكرة السقيفة في العصور الإسلامية المبكرة، وفي بداية الإسلام، كانت محل اللقاءات

بدلات للجلوس والانتظار، وتنفتح على الفناء الذي يتوسط المبنى مباشرةً بواسطة باب وعلى مجنحات الفناء تتوزع الغرف على الجهات الأربع، بشكل مستطيل تتميز بكبر طولها، وصغر عمقها، وتحتوي بعض القصور على غرار قصر المنار على أحواض مائية من الرخام الأبيض، ولعل أهمها حوض البناء الغربية الذي تزيقه أربع تماثيل لأسود ويدركنا مشهدنا بنافورة قصر الحمراء بغرناطة، إلى جانب استعمال كotas بخلفيات مسطحة أو نصف دائرة في الواجهات الخارجية للقصور، تشبه كotas الحراسة في الثكنات العسكرية اليوم استعملت في تبليط أرضياتها المريعات الخزفية الملونة والقطع الرخامية إلى جانب الحجارة والحصى والأجر بصورة أقل في البناء، أما خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي فنجد هذه القصور ضمن أسوار كبيرة مكونة من وحدات مرتبطة فيما بينها بالحدائق والباحثات من دون تنظيم محوري تمثلها قصور قلعة المشور بتلمسان الزيانية، والقصور العثمانية منذ القرن العاشر الهجري السادس عشر حتى القرن التاسع عشر مكونة من قاعة العرش، ومقر الحريم، والبيوت والمطابخ والاسطبلات والأكشاك كما قصر الداي حيث عكست هذه القصور عصرية وتطور الفن المعماري في المغرب الأوسط، وكانت شاهداً حياً على فترة زاخرة بالإبتكار والتجديد الفني. أما بالنسبة

والجماعات "كسقية بني سعادة" التي شهدت إجتماعاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تطورت وظيفتها مع مرور الوقت وأصبحت جزء لا يتجزأ من تصميم العمارة المدنية الإسلامية، فظهرت في بلاد الغرب الإسلامي خلال مرحلة الفتوحات وإنشار الإسلام ذلك في القرن الأول والثاني الهجري: أحمد زكي محمد، تطور شكل السقية التي تتقدم المساجد العثمانية "دراسة تحليلية مقارنة"، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، عد. 18، ص. 34.

للسماكن فهي قائمة على ما هو متواثر منذ القديم حيث كشفت الأبحاث الأثرية في منطقة سيدى مسید بقسنطينة على مسكن نوميدي بمخطط بسيط مكون من غرفة واحدة أو غرفتين أو ثلاثة غرف مع وجود فناء ومدخل يشبه المخططات في الفترة القديمة،¹ ظلت هذه هي الأسس العامة للمسكن لبلدان الحوض الغربي للمتوسط عبر مختلف العصور كصفة متجلزة تحت تأثير العوامل المناخية، وبعد مجيئ الإسلام تأثر المسكن بالدين الإسلامي الذي أدخل مفاهيم جديد في التنظيم الاجتماعي بمراعاة الجيرة وخصوصية الحياة الأسرية بعزل المرأة وفصل مجالس الرجال على النساء² وحافظ على الفناء الوسطي المكشوف، وأضيفت السقيفه لانتظار الغرباء حتى يؤذن لهم بالدخول تطبيقاً لتعاليم الدين الحنيف والمرء المنكسر، وخلت الغرف إلا من فتحات صغيرة أعلى الجدران باستثناء الطابق السفلي المطل على الفناء، ومن أمثلة ذلك ما كشفت عنه الحفرية الانقاذه لسنة 1977-1984م بالقلعة البيزنطية بمدينة سيتفيس الرومانية احدى عشر منزل تعكس هندستها بوضوح الطابع الإسلامي من حيث الشكل المخطط العام الرباعي والفناء الوسطي والمدخل الخارجي بممر منكسر تتعدى منه رؤية ما يجري في الداخل حفاظاً على حرمة الأسرة المسلمة، وتضم الأجنحة غرف النوم وأخرى للاستقبال بها دكة للجلوس،

¹ Djehida Mehntel, L'habitat numide en Algérie l'exemple de cirta et Tiddis "DIE NUMIDER" 40 ans après, bilan et perspectives des recherches sur les Numides, actes de colloque international,Tunis27-29 novembre 2019, P.379

² صالح يوسف بن قربة، علم الأثار والهوية المغربية، دار الهدى، عين مليلة الجزائر

وللمنزل مطبخا به موقد وبيت للمؤون بها مطمورة وحفر لثبت الجرار الكبيرة لحفظ المواد الغذائية، كما يوجد بالمنزل اسطبل للحيوانات، شيد بالطوب المقوى وبالحجارة، وسقف منحني ومازال هذا النمط مجسدا في المساكن التقليدية. وظللت هذه القصبات تسكن من جديد باستمرار حتى نهاية العصر الوسيط وظللت الاعمال الأساسية التي خضعت لها محصورة في ترميم أعلى البروج والجدران وفي إعادة ترميم قصور جديدة ومساجد وحمامات داخل هذه الأماكن الدفاعية تلبية لطلبات المحتل الجديد الحريص على ترك بصماته على هذه المباني كما هو الحال بالنسبة لقصبة بجاية التي أسست في العهد الحمادي واستغلت خلال العهد الموحدي والحفصي وأثناء الاحتلال الإسباني والوجود العثماني، إلا أن تطور المدفعية مع بداية القرن الخامس عشر أدى إلى تحول عميق في الهندسة المعمارية العسكرية بتعدد المعاقل المتقدمة والخنادق وادخال الطين المدكوك بصورة كثيفة لمقاومة نيران الخصم.

الخاتمة

مما تقدم يبدو جلياً تأثير الدين الإسلامي في عمران وتنظيم المدينة الإسلامية في المغرب الأوسط، من خلال ما أمله من ضوابط حول تفاصيل التخطيط والقواعد الفنية، كما أن تأثير السلطة الحاكمة كان أساسياً إلى جانب تأثير البيئة الجغرافية والتقاليد الموروثة عن البيئة المحلية، واتبعت المدينة في المغرب الأوسط تخطيطاً يكاد يكون واحداً كما يبدو من خلال تشابه، وتناسق وانسجام مكوناتها ظلت راسخة حتى فترة متأخرة في المساكن التقليدية ذات التقاليد الفنية المحلية الضاربة في القدم، والطابع العربي الإسلامي الذي انتقل مع الفتح الإسلامي، والذي يعكس كنه هويتنا الثقافية.

القائمة الببليوغرافية المعتمدة

- ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، بيروت.
- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح وتح محمد ناصر وإبراهيم نحاز، دار الغرب الإسلامي.
- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1983 م
- أبي عبد الله محمد ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح. جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م
- اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م.
- أسماء عمارة، عمارة القصور الأميرية بإفرقية في العصر الوسيط"قصر الصحن نموذجاً، دراسات في تاريخ الوطن العربي' ، عد. 20،
- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نشر. هنري بيراس، كلية الآداب بجامعة الجزائر 1957 م
- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، ج.1.تح. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م
- الجميل محمد بن فارس، بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وحجراتها وصفة معيشته فيها (بيت عائشة نمة ذجا)، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2016
- الجوهرى نصر اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (مرتب ترتيباً ألف بائياً وفق أوائل الحروف، أرانس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2009
- الحريري مج리 محمد عبد الرحمن ، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، تق: محمد سعيد حسن الفارسي، الشركة للتوزيع، مكة المكرمة، 1989 م
- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ/ 296م) ، دار القلم، الكويت، 1408هـ

- الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015م
- العمري حفصة، بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم ثانية إبداع في العمارة الإسلامية، هندسة الرافدين، 2010م
- الفراجي عدنان علي، غزوة الأحزاب (الخندق) أسبابها، طبيعتها، نتائجها، "دراسة وصفية تحليلية"، مجلة مجلة الدراسات التربوية والعلمية، كلية التربية، 2019
- الفروزآبادي مجد الدين، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1980م.
- الفيلي عبد العزيز، قلعة بنى حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ / 11م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 2006م
- القاضي محمد ، القلاع والقصبات في المغرب الإسلامي، رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم العربي،
- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تح مجید هلال السرحان، دار النهضة العربية، بيروت 1988
- الكيتائي محمد عبد العي الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تح. عبد الله الخالدي، دار الأرقم للطبع والنشر، بيروت 2003
- الموسوي مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الآرب في فنون الأدب، ج.24، تح. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1983م
- بن قرية صالح يوسف، بن قرية صالح يوسف ، علم الآثار والهوية المغربية، دار الهوى، عين مليلة الجزائر 2012م.

- بحاز ابراهيم، الدولة الرسمية 160-196هـ / 777-909 م، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، 1985 م
- بوروبية لطيفة، قلعة حلب الأثرية في ذاكرة التاريخ، جامعة الجزائر، معهد الآثار، بوروبية رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وأثارها، ديوان المطبعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ / 1977 م
- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر
- زكي، عبد الرحمن قلعة الجبل صلاح الدين، دار النيل للطباعة، 1950 م
- سحاب عايد وسيعى ، العناصر الأساسية في تخطيط المدن العربية الإسلامية، مجلة الأداب، بغداد،
- عبد العزيز الفيلالي قلعة بنى حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ / 11 م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، عد. 7، 1427هـ / 2006 م
- عبد الله محمد هبة وآخرون، الفناء وأهمية الوظيفة في العمائر الدينية والمدنية خلال العصر الإسلامي، المجلة الدولية للدراسات السياحية والضيافة، 2022 م
- عرباوي مصطفى ، الخصائص العامة لخطيط المدينة الإسلامية "مدينة فاس نموذجاً" ، مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحسن الثاني، المغرب
- عزب خالد محمد مصطفى، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ، كتاب الأمة ، قطر، 1997 م
- عليلي محمد، فلسفة العمران الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية، 2018
- عولوي محمد لخضر ، مئذنة قلعة حماد بين القبروان وقرطبة، التراث الأثري عمران، عمارة، فن وصناعة، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، عد. 16، 2007 م
- عويس عبد الحليم ، دولة بنى حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائري، مكتبة نيراس الصفا التاريخية، الإسكندرية، 1411هـ / 1991 م

- مطهري فطيمة ، مدينة تهرت الرستمية (دراسة تاريخية حضارية 2-3 هـ / 8-9 م)
 ، مذكرة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بالقайд، تلمسان، 2009 –
 2010 م
- مؤلف مجہول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نش وتع: سعد زغلول عبد
 الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985
- عبد الله كامل موسى، الآثار الإسلامية بالجزيرة العربية والشرق والمغرب خلال
 العصرين النبوي والراشدي، مكتبة عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار المعرفة، الكويت، 1988 م
- عقاب محمد الطيب ، التراث المعماري في مدينة سدراته التاريخية، حوليات المتحف
 الوطني للأثار، عد 11، مطبعة سومر بئر خادم الجزائر، 1422/2002 م، ص. 40-28.
- ياقوت الحموي معجم البلدان، ج. 3، بيروت 1990-1993،
- حيي الشامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1993 م

- Mehntel Djehida, L'habitat numide en Algérie l'exemple de cirta et Tiddis
 "DIE NUMIDER" 40 ans apres, bilan et perspectives des recerches sur les
 Numides, actes de colloque international,Tunis27-29 novembre 2019, P.379
- Golvin Lucien, Le Maghreb central à l'époque des Zirides, art et métiers
 graphiques, Paris,
 1957
- Golvin Lucien, Recherches archéologiques à la qual'a des banu Hammad, G.
 P Maisonneuve
 et larose, Paris, 1965

المنشآت الدينية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

د. مهدية طبي

جامعة خميس مليانة

مقدمة:

كانت ولا تزال المعالم الدينية من الأماكن المقدسة التي تحظى بالاهتمام ليس من طرف الحكام فحسب بل من طرف كافة المسلمين أيضا، لما لها من دور في المجتمعات الإسلامية فهي المركز الحيوي للمدينة وقلب وفكر مجتمعها من بينها المساجد. ومن خلال هذه الدراسة نريد توضيح بعض النقاط الأساسية التي تخص هاته المساجد بمدينة الجزائر في الفترة العثمانية بغض النظر عن المذهب الذي تتبعه، أهمها وأماكن تواجدها بمدينة الجزائر، ودراسة إحصائية ووصفية وتعريفية لبعضها من خلال المصادر المعاصرة للفترة والوثائق الأرشيفية، ودورها والقائمين على تسييرها في الفترة العثمانية.

1- المساجد المالكية:

1-1 الجامع الأعظم: من خلال الكتابات التاريخية يرجح أن تأسיס الجامع الأعظم يعود الى القرن الخامس هجري 5/11م، تزامنا مع عهد

المرابطين⁽¹⁾ ، لكن هناك بعض الدراسات تشير أنه شيد قبل الوجود المرابطي حيث قام هؤلاء بترميمه وأعطوا له طابع العمارة المرابطية⁽²⁾ ، ولا نملك تاريخ مضمبوط لسنة إنشائه إلا ما وجد مكتوب على منبره الخشبي الذي يعود إلى سنة 409هـ-1018م، وأيضاً ما دون على جدرانه والتي تشير إلى أن أباً تاشفين الزباني هو من أتم بناء منارة الجامع.⁽³⁾

ويعد منبر الجامع الأعظم من أقدم المنابر في العالم الإسلامي⁽⁴⁾ ، وموقعه الممتاز ومساحته الكبيرة جلب بها أنظار الرحالة من بينهم المؤرخ المغربي حسن الوزان حيث قال " ... ويشاهد من جملة بناءاتها - يقصد مدينة الجزائر-جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر أمامه ساحة جميلة

¹ ((نعيمة بوحمسوش ، الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2013-2014، ص 29.

- عبد الجليل التميمي، وثيقة على الأماكن المحسبة باسم الجزائر الأعظم بمدينة الجزائر، ع 5، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1980، ص 10.

²) Samia Chergui, *les mosquées d'Alger, construire gérer et conserver XVI – XIX siècles*, Pups Maison de la recherche, université Paris Sorbonne, paris, 2011, p 27.

³((. Albert Devoulx, *les édifices religieux de l'ancien Alger*, typographie bastide, Alger, 1870, p94.

-Henri Klein , *feuillets dél –djedair le comité du vieil Alger*, V1, 1910 , p64
-. Pierre boyer *la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française*, éd hachette. Paris, 1963, p 77.

⁴ نعيمة بوحمسوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 31.
- عبد الرحمن الجيلالي، *الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريًا وتاريخيا*، مجلة الأصالة، ع 8, 1972، ص 126-127

جدا اتخذت على سور المدينة ذاتها التي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر....)¹ كما وصفه التمغروطي والذي قال " ...ثم دخلنا الجزائر يوم السبت الثامن ذي القعدة ليلة بقية من شهر غشت⁽²⁾ وهي عامرة كثيرة في الأسواق بعيدها، كثيرة الجندي حصينة، ... وفيها المسجد الجامع واسع، أمامه مالكي المذهب...⁽³⁾ ويمتد الجامع الأعظم من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وقبلته بالجنوب الشرقي وهو قائم على شاطئ البحر⁽⁴⁾ ، أما واجهته الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية تحتوي على اجنبية أخرى تابعة للمسجد منها الجنينية وهي عبارة عن ساحة ومباني بسيطة يشغلها أعيون المسجد والمفتى، بالإضافة إلى مصلى ثانوي للصلوة على الأموات وأجنبية خاصة بمؤذنين وموظفي المسجد وساحة كبيرة تحتوي على المراحيل وأماكن لل موضوع، بالإضافة إلى بطارية فيها مدافن للدفاع على المسجد والمدينة⁽⁵⁾ . وللجامع الأعظم تسعه أبواب، خمسة منها في الواجهة الشمالية الغربية وهي باب الجنينية وباب البوائل والثالث بناء الفرنسيون ويعرف الباب الرابع بالفواردة والخامس بباب الصومعة، وهذا الباب ينفتح على رواق البحري، والواجهة الشرقية وجد بها بابان واحدة تسمى بباب الجنائز وباب

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الأفريقي، وصف إفريقيا، محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط.2، ج.2، بيروت، 1983، ص.37.

² المواقف باليلاطي يوم السبت 8 سبتمبر 1590م.

³ علي بن محمد التمكروتي، النفحۃ المسکیۃ فی السفارۃ التركیۃ، تق تج عبد اللطیف الشاذلی، المطبعة الملكیة، الرباط، 2002، ص 128-129.

⁴ نعيمة بوحنشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 31.

⁵ () Albert Devoulx, *les édifices*, op.cit., p96-97.

الطحطاحة وهذا البابان ينفتحان على ساحة المدافع⁽¹⁾ ، وخصوصية الجامع الأعظم عن بقية المساجد الأخرى أنه يحتوي على اثنين وسبعين عمودا، مكونا من الحجارة والاجر المملوء مغطاة بطبقة من الجبس والجير وينفصل كل عمود عن الآخر بثلاثة فاصل أربعة 3,4 مترا ، وقد تعرض الجامع الأعظم لعدة أضرار جراء تعرض مدينة الجزائر للقصف من قبل السفن الأوروبية، وهذا لقربه من البحر من بينها الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1683م⁽²⁾ ، وقد رمم عدة مرات جراء هذه الهجمومات الأجنبية.

1-1-1-كيفية تسيير وإدارة مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

تأتي مؤسسة الجامع الأعظم في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين⁽³⁾ ، وهذا يعود للدور الذي كان يلعبه هذا

¹((Albert Devoulx, les édifices ibidem, p97.

- Albert Devoulx, *El Djzair histoire d'une cité dicosium à Alger*, Edition critique présentée par Bedredine belkadi et Mustapha Ben hamouche, éd Enag, p49-50.

² عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية ومؤسساتها، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007، ص 279-280.
البير دوفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمت من مصطفى احمد بن حموش وبدر الدين بالقاضي، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2004، ص 38.

Albert Devoulx, *les édifices*. Op.cit., p105-

³ ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 حتى القرن 19، مجموعة دراسات أكاديمية وبحوث علمية، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 68.

الجامع في الحياة الثقافية والدينية بسبب كثرة عدد المالكية في الجزائر⁽¹⁾، ويعد أول إسهام في الوقف لصالح الجامع الأعظم في النصف الأول من القرن السادس عشر في سنة 947هـ/1540م⁽²⁾، وكانت مداخيل هذه المؤسسة كبيرة وتتوفر مدخولا سنويا قدر سنة 1837 م بـألف ومائتين فرنك⁽³⁾ (1200)، وقد بلغت عدد أوقاف مؤسسة الجامع الأعظم بخمسة مائة وخمسين وقفا، والتي شملت مختلف العقارات بمدينة الجزائر وفحوصها⁽⁴⁾. ويستفاد من مردود أوقاف الجامع الأعظم في صيانة المسجد والعقارات التابعة له وشراء ما يحتاجه من حصائر وزيوت للإنارة وبعض الخدمات الضرورية له، وإن فائض مردود أوقافه يعتبر هاما رغم هذه المصارييف والنفقات حيث تم إنشاء زاوية ملحقة بالجامع الأعظم سنة 1039هـ/1629م، تتالف من طابقين من الغرف لإيواء المدرسین والطلبة وأماكن للقائمين على الزاوية بالإضافة إلى دورات المياه وأماكن للوضوء.⁽⁵⁾

¹ ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر، نفسه، ص 68.

² غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 280-281.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 269.

- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية العقارية، مرجع سابق، ص 90.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر، مرجع سابق، ص 68.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، مرجع سابق، ص 289. وانظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 90.

كان يتولى إدارة وتسخير مؤسسة الجامع الأعظم مجموعة من الموظفين يتصدرهم الفتى المالكي والذي كان في نفس الوقت إمام وخطيب في صلاة الجمعة والعيددين، بالإضافة إلى مساعدين للمفتى⁽¹⁾، كما تولى ثلاثة وكلاء تسخير هذه المؤسسة بإشراف الفتى المالكي، واحد مكلف بتسخير أوقاف المسجد والمراقبة العامة لهذه الوقفيات ويسمى بالوكيل الرئيسي، والثاني يشرف على أوقاف المؤذنين والثالث يشرف على أوقاف الحزابين، وكل وكيل يمارس المهام الموكلة إليه باستقلالية تامة عن بقية الوكالء، وقد فاق عدد الموظفون بمؤسسة الجامع الأعظم عن ستين موظف⁽²⁾، منهم إمامين وتسعة عشر مدرسا وثمانية عشر مؤذنا وثمانية حزابين وإحدى عشر قيما مكلفين بإنارة وصيانة وتنظيف المسجد⁽³⁾

دوره: 1-2

لقد كان للجامع الأعظم دورا مهما في الجانب الاجتماعي والديني والتعليمي والقضائي والسياسي، وكونه من أقدم المساجد بمدينة الجزائر فإنه احتل مكانة مهمة جدا مقارنة بالمساجد الأخرى. فالدور الديني

¹ أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م*، ط 1، ج 1، دار البصائر 2007م، ص 31.

² ناصر الدين سعيدوني، *الوقف في الجزائر*، مرجع سابق، ص 68.

³ (Albert Devoulx, *les édifices*, op.cit., p122

- ومن خلال بعض الدراسات استنتجنا أن فيه اختلاف في عدد موظفو الجامع الأعظم بين البر دوفو في كتابه المؤسسات الدينية والاستاذة بوحموش في كتاب الدولة الجزائرية الحديثة ورسالة الدكتوراه وكتابات الأستاذ ناصر الدين سعيدوني والأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في مقاله حول الجامع الأعظم في مجلة الأصالة

والتعليمي للجامع الأعظم وزاويته هو الإشراف على نشر وتنشيط الوعي الديني والمحافظة عليه، وايضا التركيز على تلقين مبادئ الكتابة والقراءة ومعرفة العلوم الإسلامية كالنحو والصرف والبيان والحساب والأصول والفقه، وبالجامع الأعظم مكتبة زاخرة بالكتب والمخطوطات، والتي ساهمت بتدعم الجانب التعليمي بتكوين الطلاب والمدرسين⁽¹⁾، وكان هنا التكوين على يد مجموعة من العلماء والمدرسين منهم محمد بن الشاهد والذي كان حزابا في نفس الوقت بالجامع الأعظم⁽²⁾، ومن علماء الجامع الأعظم نجد محمد الزروق بن عمار الأندلسي الذي تولى الفتوى المالكية في الربع الأول من القرن السابع عشر وعزل من منصبه، ورغم ذلك فإنه بقي يسعى لخدمة الجامع الأعظم بإصلاح ما يهدم منه بعد الحملات التي كانت تستهدف مدينة الجزائر⁽³⁾، كما تولت أسرة ابن عمار الأندلسية الفتوى لعدة سنوات إلى غاية النصف الثاني من القرن 18⁽⁴⁾، وقد برزت أيضا عائلة قدورة في مجال الإفتاء المالكي وأبرزهم سعيد بن الحاج قدورة سنة 1618م⁽⁵⁾، والذي تناوب مع أحمد ابن عمار الأندلسي الفتوى المالكية

¹ عبد الجليل التميي، وثيقة عن الأملك المحبسة، مرجع سابق، ص.157.
عبد الجليل التميي، وثيقة عن الأملك المحبسة ، نفسه، ص ص 13-10.

² نعيمة بوحمسوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 100.

³ بن المفتى حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتى في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها تج فارس كعوان، دار الحكمة، الجزائر، ص .96.

⁴ نعيمة بوحمسوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 101.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج 1، مرجع سابق، ص .357.

بالمسجد حتى وفاة هذا الأخير⁽¹⁾، كما تولت عائلة النيقرو⁽²⁾ الأندلسية الإفتاء بالجامع الأعظم، منهم محمد بن ابراهيم⁽³⁾ بن أحمد بن موسى النيقرو بين سنتي 1738م و1740م⁽⁴⁾، وفي نفس الوقت كان مدرسا في جامع ميزومورطو⁽⁵⁾، وفي بعض الأحيان إماما بجامع القشاش، وايضا راويا

¹ نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 101.

² تارة ترد في الكتابات بالنيقرو وتارة أخرى بالنicro لكن اللقب المتداول في العقود بالنicro وهي من العائلات الأندلسية المنتقدة في العهد العثماني انظر ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج 1، مرجع سابق، ص 240.

³ الوالد ابراهيم بن النيقروا كان إماما بمسجد ستي مريم سنة 1092هـ-1681م انظر: .62AOM 1MI B30 Z

-Albert Devoulx, *édifices religieux*, op.cit., p54.

-وفي وثيقة مؤرخة في شهر صفر 1098هـ/1686م ورد اسم ابراهيم النيقرو كإمام ايضا لمسجد ستي مريم ونص الوثيقة كالتالي " بمسجد ستي مريمومة الذي يقوم فيه الان الفقيه الأجل السيد ابراهيم بن النيقرو" ، ويشير العقد أيضا الى حضوره مع ابنه محمد في أحد جلسات المجلس العلمي للنظر في نزاع كان بين المفتي الحنفي احمد النيار والملاكي احمد قدورة انظر:

ا وج م ش ع 55 و 40

- ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي، سبق ذكره، ص 102.

- فوزية لزغم، البيوتات والاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 1246-925هـ/1520-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران ، 2013-2014م، ص 97.

⁴ ورد ذكر محمد بن ابراهيم النيقرو مرة واحدة في الوثائق انظر: ا وج م ش ع 135/134 و 52

- فوزية لزغم، البيوتات والاسر العلمية، مرجع سابق، ص 97.

⁵ هو مسجد الذي بني من طرف الداي حسين ميزومورطو سنة 1685م، وأصبح ملحق لمستشفى عسكري وفي سنة 1836م تحول الى ملكية إدارة المدينة ثم هدم بعد ذلك انظر:

راويا للحديث بزاوية الأندلس في شهر رجب ورمضان، وكان ابنيه احمد ومحمد فالاول إماما بمسجد ستي مريم⁽¹⁾ ويسرد الحديث بزاوية الأندلس⁽¹⁾، والثاني مدرسا مكان ابيه بجامع حسين ميزومورطو.⁽²⁾

- مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال خطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، تر، تح، تع، مصطفى احمد بن حموش، دارالأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 88-89.

¹ بالإضافة الى هذا الاسم أطلق عليه بعد ذلك اسم مسجد بن النيكرو نسبة الى عائلة ابن النيكرو الأندلسية، ويقع في شارع باب الوادي، وقد سعي هذا المسجد من طرف امرأة صالحة تدعى ستي مريم وأصبحت بعد ذلك مالكة لهذا المسجد، وهذه المعلومات تحصل عليها محافظ الأرشيف الباحث دوفوا من آخر وكيل لمسجد ستي مريم وهو السيد مصطفى بن النيكرو، بشهادة إسلامه وهذه السيدة أندلسية الأصل، كانت تملك ثروة طائلة وخصصت نسبة منها لبناء أو إعادة بناء هذا المسجد وعينت أحد من افراد العائلة ليكون المشرف على المسجد، واشترطت ان تكون الوكالة بعدها لأحفاده.

ويصنف هذا المسجد في المرتبة الثانية، صغير الحجم دون مئذنة، وكانت عائلة بن النيكرو تقوم بإدارة شؤونه ما يقرب قرنين من الزمن ويرجح البير دوفوا ان بناء هذا المسجد واتخاذه لهذا الاسم بعد سنة 1092هـ/1681م بناء على عقد وقف مؤرخ في النصف من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، والذي ورد فيه اسم المسجد وأشار العقد الى موقعه بالقرب من باب الوادي⁽¹⁾، ومن خلال عقد آخر موثق بالمحكمة الحنفية بمدينة الجزائر في بداية شهر رجب من سنة 1070هـ/1660م والخاص بنفس المسجد ويشير الى وجوده لكن قبل ترميمه من طرف هذه السيدة ولم يكن يسمى كذلك، وهذا التاريخ الذي أخذ به بعض المؤرخين كتاريخ لبناء هذا المسجد. وكان للمسجد ملحقات تابعة له منها مدرسة تعلو حانوتين بالقرب منه، واتخذت الاسمين مدرسة ستي مريم والنيكرو على طريق باب الوادي، وكان المكان يدعى بسويفة بباب الوادي بالقرب من دار النحاس، ويضم هذا المركب احباسا تتكون من ثلاثة من الدور وأربعة عشر حانوتا، وقد قدرت مداخيل هذه الأحباس سنة 1834م بمبلغ 1261

وكان الجامع الأعظم مقصدًا من جانب العلماء المغاربة للتواصل العلمي مع أهل العلم الذين يدرسون فيه⁽³⁾ والأمر كذلك بالنسبة للعلماء التونسيين⁽⁴⁾ كما كان مقر إحياء المناسبات الدينية كليلة القدر، وأيضا

فرنك بعد تهدم ثمانية مباني محبسة عليه، وقاعة الصلاة تملك بابين واحدة مخرجها على شارع باب الوادي والأخرى على شارع سيدى فرج، وتحول هذا المسجد في الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي إلى إدارة عسكرية، وفي سنة 1837⁽⁰⁾ قامت إدارة الجسور والطرقات بهدم جزء من مسجد النيقرو والسبب أنه كان يحتل مساحة مهمة من ممر الشارع الرئيسي، أما الجزء المتبقى منه والمقدر بـ 58,89 م² فقد تم مصادرته وبناءه دار كانت تحمل رقم اربعين على شارع باب الوادي ورقم اثنان على شارع سيدى فرج حيث تقع بابها انظر:

() Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P 53-54 -55 -.

-Albret Devoulx, *Les édifices*, in. R.A.N°10, 1866, P286.

-مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 25-

-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1854م، ج 5، مرجع سابق، ص 18.

-ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1954-1830م، ج 3، مرجع سابق، ص 38.

¹ ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي، مصدر سابق، ص 112 .

- فوزية لزغم ، البيوتات والاسر العلمية ، مرجع سابق، ص 97-98.

² نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 102 .

-ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي، مصدر سابق، ص 112 .

³ ابن زاكور الفاسي المتوفي (1120هـ/1708م) رحلة ابن زاكور المسمة نشر ازاهر البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الاعيان، الناشر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 45-76.

⁴ أمينة سليمة صاري، طبقات فقهاء المالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير للشيخ عبد الرحمن الثعالبي ت 1470هـ/875م دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة

ذكر ابن حمادوش أنه بالجامع الأعظم يتم قراءة وسرد صحيح البخاري ، كما ان للجامع الأعظم أيضا دور اجتماعي ايضا ، حيث كان مقر إيواء وإطعام فقراء الأندلس الوافدين إلى الجزائر قبل وبعد الحكم العثماني، والتي تزامنت مع الفترات الأولى بعد سقوط الأندلس وهذا يتضح من خلال الاحباس المشتركة بين الجامع الأعظم والأندلسيين⁽¹⁾ ، كما كان مقر انعقاد جلسات المجلس العلمي وهي أعلى هيئة قضائية في الجزائر، حيث يقوم هذا المجلس بالفصل في المنازعات والخلافات والنوازل الفقهية⁽²⁾ التي عجزت عن حلها المحكمتين الحنفية والمالكية، وحسب الباحث مصطفى بن حموش فإن هذا المجلس يضم مفتياً وقاضيان حنفيين ومالكيين، وكانت الريادة للمفتي الحنفي باعتباره مذهب السلطة⁽³⁾

الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2011/2010، ص 60.

¹ وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية 2016/2017، ص 66.

- مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة في الإسلام، نموذج الجزائري في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والتوزيع، ط 1، دبي 1999، ص 120.

² وافية نفطي، الوقف، مرجع سابق، ص 66.

³ (Pierre Boyer, "contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger XVI – XIX siècles", R.O M M, N 1, Aix en Provence, 1966, P 27.

- مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة، مرجع سابق، ص 89.

ويحضر جلسات المجلس ملحق عسكري برتبة يياباشي⁽¹⁾، وهذا لتمثيل السلطة واضفاء الهيئة على المجلس أمام أفراد المجتمع⁽²⁾ ، بالإضافة الى أعضاء آخرين ملحقين بالمجلس يتراوح عددهم من إثنين الى ستة أعضاء وفي بعض الأحيان أكثر، وهم يتغرون من جلسة الى أخرى وهذا حسب القضية المطروحة ويعتبرون أهل خبرة وليس قانونيين⁽³⁾ ، ومن القضايا المعالجة في جلسات المجلس العلمي تلك المتعلقة بالوقف منها خصومات حول ملكية الحبس وإصلاح العقارات المحبسة وأيضا الرجوع في الحبس وأيضا بعض القضايا حول البيع والإرث... إلخ⁽⁴⁾ . ويكمّن الدور السياسي للجامع الأعظم في كونه كان يشكل منبرا سياسيا معارضًا في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهذا ما انعكس مباشرة على الأهالي، والأستاذ عبد الجليل التميي يوضح مدى الغليان الذي حدث في

¹ الياباشية فرقه عسكرية تضم أقدم ضباط المدفعية أو البلوكاشية، وهي لفظة عثمانية مركبة من يايا نقصد به راجل أو جندي مشاة وباشي قائد أو امر وهم مستشارو الديوان وكانوا يرافقون الداي في الحفلات العمومية ويساعدون الاغا في حل الأمور العقدية انظر: غطاس وآخرون، الدولة العجزائية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 80.

- أمين محزز، اوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدييات (1671-1830م) دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفتر المواجبات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 2، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2019/2020، ص 428.

² مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة، مرجع سابق، ص 19.

³ مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة نفسه، ص 92.

⁴ نعيمة بوحنشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص ص 53-70.

-Mustapha Ben Hamouche, « hanafisme malikisme et gestion urbaine cas d'Alger à l'époque ottomane », RHM. N 93/94, Tunis, 1999, PP 103/104.

أواخر فترة حكم الدياي حسين وكان ذلك بسبب إقالة المفتين والقضاة منهم المفتي المالكي بالجامع الأعظم مصطفى بن الكبابطي بعد أن اتهم من طرف الجنرال بوجو⁽¹⁾ بتحريض الجزائريين على مقاومة الاحتلال الفرنسي، مما أدى إلى نفيه إلى فرنسا.⁽²⁾

2-1 مساجد أخرى: لقد سجلنا مجموعة هامة من المساجد المالكية هي الأخرى استفادت ونالت حظها من الوقف الأندلسي، ومن بين هذه المساجد نذكر:

2-1-1 جامع سيدي رمضان: يعتبر مسجد سيدي رمضان من المساجد المهمة من حيث موقعه وتاريخه فهو يقع في القصبة القديمة أي في الأحياء العليا للقصبة، وقد حافظ على اسم تواجده في البدايات الأولى للعهد العثماني وهذا من خلال أول عقد تحصل عليه دوفوا⁽³⁾ والذi Devoulx

¹ بوجو هو سياسي وكاتب وضابط وعسكري فرنسي المعروف بالدوقة دي زلي، ولد في 15 أكتوبر سنة 1784م، ترقى إلى رتبة ماريشال فرنسا سنة 1843م، تولى الحكم في الجزائر في ديسمبر 1840م، وتوفي بداء الكولييرا سنة 1849م انظر بسام العسل، الماريشال بيجو 1784م / 1849م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1983م.

² عبد الجليل التميي، وثيقة أملاك، مرجع سابق، ص 12.
-J-F Aumerat, le bureau de bienfaisance musulman, typographie Adolphe Jourdan, 1900, P 12

³ البر دوفوا هو محافظ الأرشيف الوطني عينته السلطات الفرنسية بعد احتلالها للجزائر وقام بمسح كامل للوثائق العثمانية وتنظيمها والبحث فيها ويعتبر أول مهندس ارشيفي للرصيد العثماني بداية الاحتلال وللتعرف على حياته انظر:

يعود تاريخه الى سنة 959هـ/1551م⁽¹⁾، وربما تاريخه يعود الى ما قبل وصول العثمانيين لعدم وجود أي إشارة به تدل عن تاريخ تأسيسه، بالإضافة الى طابعه العماني الذي يتتشابه مع العمارة الاسلامية (المراطبية). وبالنسبة لطريقة بناءه فهو مشترك في الهندسة مع مجموعة من المساجد منها الجامع الأعظم ومسجد القشاش فتشابه في السقوف القرميدية الحمراء والتي تنقسم إلى تسع مسطحات في جانبيين متقابلين وبه ثمانية عشر عموداً من الحجارة تبعد عن بعضها بحوالي ثلاثة أمتار، وفي واجهته يوجد باب ليس صغيراً وغرفة مخصصة للخطيب وبها عين ماء ومكان للوضوء وغرفة تخص ضريح الولي سيد رمضان⁽²⁾، وللمسجد أشخاص قائمين عليه من بينهم وكيل وإمام يقوم بإلقاء خطبة الجمعة ومؤذنين لسائر أيام الأسبوع وثلاثة مؤذنين لصلاة الجمعة وستة حزابين وخمسة قراء لكتاب تنبية الانام وصحيح البخاري، وأخر لقراءة كتاب التوحيد وعدد من القراء خلال شهر رمضان وقارئ آخر لكتاب الولي الصالح سيد عبد الرحمن⁽³⁾. وقد تولى الأندلسيون الإمامة بمسجد سيد رمضان، حيث ذكرت العقود أن المكرم الفقيه أحمد بن المرحوم الفقيه منصور الأندلسي تولى منصب الإمامة بهذا المسجد إلى ما قبل 986هـ/1576م⁽⁴⁾،

- Alain Messaoudi **les arabisant et la France coloniale savants conseillers médiateurs (1780-1930)**, Lyon, ENS édition ,2015 :» Devoulx Joseph Marie Albert (Marseille 1826, Alger 1876

¹ مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 121.

² بن حموش، نفسه، ص 121-122.

³ () Albert Devoulx, **Les édifices**, op.cit., PP 226- 228.

⁴ AOM 1Mi B16 Z33.

كما نجد هيئة قائمة على نظافته وصيانته تمثل في مسؤول على مجموعة من الموظفين، وكناس وشغال ومنظف للمراحيل، كما كان للمسجد أحجام يصل عددها إلى خمسين عقار، تصرف وارتها على مختلف احتياجات المسجد.⁽¹⁾

2-2-جامع سيدى عبد الرحمن الثعالبى : اعتبر الباحث دوفوا أن مسجد سيدى عبد الرحمن الثعالبى من بين المساجد الأقل أهمية، وهذا نسبة إلى مساحته حيث يعتبر أصغر المساجد ولا تتجاوز مساحته 36م²⁽²⁾ ، وأقدم وثيقة تخص هذا المسجد تعود إلى سنة 978هـ(1570-1571م)⁽³⁾ ، ولا تذكر العقود علاقة الولي الصالح سيدى عبد الرحمن الثعالبى بالمسجد هل هو المؤسس له أم كان إماماً به؟ وحسب دوفوا فإنه سمي كذلك نسبة لدار قديمة هدمت بفترة قريبة للتاريخ المذكور سابقاً وهي مجاورة للمسجد ويقال أنها مكان إقامة الولي الصالح سيدى عبد الرحمن الثعالبى .⁽⁴⁾ أما القائمين على إدارة هذا المسجد فعدهم أربعة منهم وكيل وإمام الذي كان في نفس الوقت مؤذن بالمسجد وحزابين اثنين، وأخر وكيل لهذا المسجد كان السيد الحاج حسين بن كراوش والذي احتفظت عائلته بهذه الوظيفة من بعده مدة قرنين إلى ثلاثة من الزمن⁽⁵⁾ ، مع العلم ان مهام

¹ مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 122.

² Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P128.

³ مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 55.

⁴ Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P 128.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 32.
55مراجع سابق، ص مصطفى احمد بن حموش مساجد مدينة الجزائر -

وكيل هذا المسجد لم تكن كبيرة بحكم أن عوائد أوقافه كانت قليلة⁽¹⁾ ، وقد احتل هذا المسجد مساحة من شارع شاتر تحت رقم ستة وستون، ثم رقم سبعة وهدم سنة 1859 م وأقيم في موقعه حديقة عامة تابعة لمقر السكرتير العام للحكومة الفرنسية.⁽²⁾

2-1-3-مسجد سيدي الهبي : بني مسجد سيدي الهبي على يد مامي رايis⁽³⁾ ويعتقد دوفوا بتحفظ كبير أن تاريخ بناء المسجد يعود إلى سنة 1505هـ/1648م استناداً إلى جمعه عدداً من الأحرف المكتوبة على لوحة بهذا المسجد⁽⁴⁾ ، وبعد فترة أصبح هذا المسجد يدعى مسجد حزب الله وهو نسبة إلى فقيه يدعى سيدي محمد بن حزب الله⁽⁵⁾ وكان أيضاً من الحزابين في هذا المسجد⁽⁶⁾ ، وفي عام 1649م/1648 حدّد موقعه بالقرب من سويقة عمور ثم بعدها في حومة تبرغوثين بالقرب من سوق الكتان، وسيي سيدي الهبي نسبة إلى الوكيل الذي كان يدير شؤونه⁽⁷⁾ وفي نفس الوقت هو أحد

-Albert devoulx, *Les édifices*, op.cit. p128

¹ Albert devoulx, *Les édifices*, Ibidem, p128

² مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص.55.

³ مامي رايis هو شخصية لم نعرف عنها الكثير سوى تشابهه في الأسماء مع بعض الرياس عاشوا في نهاية القرن 15 م

⁴ Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., pp 220-222.

- البير دفولكس، خطط مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص .48.

⁵ مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص.115.

⁶ AOM 1Mi B05 Z10, م ش ع 39 و 10

1. وج

⁷ مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص.115.

الشيخ العلامة القاطنين بحومة تبرغوثين⁽¹⁾، وحافظ على هذه التسمية لفترة طويلة من الزمن حيث في القرن 18م كان اسم سيدى الهدى معروفا في الأوساط العلمية⁽²⁾، وفي سنة 1830م احتل المسجد رقم سبعة من شارع لالير، واستعمل كمقر إداري عسكري ثم أصبح مدرسة أهلية فرنسية عربية مشتركة، ثم هدم سنة 1855⁽³⁾ بعد فتح السلطات الفرنسية لشبكة الطرقات الجديدة وسمى مكانه شارع نابوليون.⁽⁴⁾

2-1-4 مسجد البطحا : ويسمى هذا المسجد نسبة إلى الحي الذي يتواجد فيه وهو البطحا⁽⁵⁾، ويسمى أيضاً بمسجد ساباط الحوت نسبة إلى سوق الحواتين القريب منه⁽⁶⁾، ونسب إلى هذا الاسم بسبب وجود رسومات للسمك والحوت بداخله⁽⁷⁾، وسمى أيضاً بمسجد أبركان، وهو من بين المساجد التي لا تحمل مئذنة ولها مدرسة ملحقة به⁽⁸⁾، وأخذ المسجد رقم ثمانين من شارع القناصل بعد الاحتلال وحول في البداية إلى مخزن الرزع⁽⁹⁾، ثم تحول ما بين 1845-1838م إلى ثكنة عسكرية⁽¹⁾، ثم صودر

¹Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P 223.

²أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج 5، مرجع سابق ص 51.

³أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1900م*، ج 3، مرجع سابق، ص 40.

⁴مصطفى احمد بن حموش، *مساجد مدينة الجزائر*، مرجع سابق، ص 115.

⁵Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P76.

⁶أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج 5، مرجع سابق، ص 24.

⁷مصطففي احمد بن حموش، *مساجد مدينة الجزائر*، مرجع سابق، ص 41.

⁸Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P76.

⁹مصطففي احمد بن حموش، *مساجد مدينة الجزائر*، مرجع سابق، ص 41.

بسبب قدمه وأصبح أيلا للسقوط سنة 1854م، ثم تهدمت حيطانه الداخلية وأصبحت واجهته في السنة الأولى للاحتلال مخزنا موقعه في شارع القناصل.⁽²⁾

- 2-1-5 مسجد عبد الرحيم : أسس مسجد عبد الرحيم من طرف اندلسي يدعى مصطفى بن محمد الأندلسي المدعو ابن كرمونة⁽³⁾ وهذا من خلال عقد يعود تاريخه إلى أواخر ربیع الأول من سنة 1089هـ/1678م⁽⁴⁾ ، وذكر على أنه بني حديثا حيث ورد ذلك في العقد بعبارة "..... المحدث بناءه أعلى الحمامات بالقرب من ضريح سيدی محمد الشریف....." وهذا تزامنا مع تاريخ الوثيقة، وتبلغ مساحته 47,50 م² ، وفي سنة 1830م حدد موقعه عند تقاطع شارع دامفروفيل وشارع ابديرام⁽⁶⁾ ، وسمي أيضا بمسجد

¹) J-F Aumerat, *la propriété urbaine à Alger*, RA, 1898, P 183.

- أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج 5، مرجع سابق ص 24.

² مصطفى احمد بن حموش، *مساجد مدينة الجزائر*، مرجع سابق، ص 41.

-Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P76.

³ وقد ذكره دوفوا بابن كرونبا.

-Albert Devoulx, *Les édifices*, ibidem., P246.

⁴AOM 1Mi B45 Z99 ()

AOM 1Mi B70 -

-بناءه تزامن مع ولاية الدياي الحاج محمد التريكي 1681-1671م انظر محمد حاج سعيد، *مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها دورها وعماراتها*، مذكرة نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1، 2014/2015، ص 97.

⁵ Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P246.

⁶ مصطفى احمد بن حموش، *مساجد مدينة الجزائر*، مرجع سابق، ص 137.

الحمامات نسبة إلى وجوده أعلى حمامين عند باب الجديد⁽¹⁾، وتسميته مسجد عبد الرحيم يعود إلى أحد الوكلاء الذي كان يقوم بإدارته⁽²⁾، وجدد هذا المسجد سنة 1839/1840م من طرف علي بن محمد النجار شاوش سيدى محمد الشريف⁽³⁾، وقد هدم في شهر نوفمبر 1850م لأنه كان على وشك السقوط ووقع جزء منه أرضا في الطريق العام والجزء الباقي فقد دخل في أرض تابعة لدار بشارع دامفروفيل.⁽⁴⁾

وذكر ادريان بيربروجر (Berbrugger) أن هذا المسجد هو نفسه مسجد وضريح سيدى محمد الشريف، فظنه هذا ظهر بعد تهديم المسجد سنة 1850م، واطلاعه على اللوحة التذكارية ووجد عليها اسم سيدى محمد الشريف، فاعتقد أنه نفس المسجد⁽⁵⁾، ويصنف من مساجد الأحياء

¹ Gabriel Colin, *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie*, éd Ernest Leroux Paris, 1901, P281.,

² أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج 5، مرجع سابق، ص 63.

³ سعيد بو زينة، *المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني*، دراسة تاريخية معمارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص 44.

⁴ Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P246.

- المصطفى احمد بن حموش، *مساجد مدينة الجزائر*، مرجع سابق، ص 137.

⁵ Adrien berbrugger, *bibliothèque-musée d'Alger, Livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements*, Imprimerie Bastide, Alger, 1860 1861, P139.

الأحياء لصغر حجمه⁽¹⁾. وعلى غرار المساجد هناك ضريح و زاوية الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الشعالي، حيث يعتبر من أهم الأضرحة بمدينة الجزائر والتي أصبحت تعرف باسمه "مدينة سيدي عبد الرحمن"⁽²⁾ نسبة إلى الشيخ العالم سيدي عبد الرحمن بن عمر بن مخلوف الشعالي⁽³⁾، من مواليد مدينة يسرى الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر يعود أصله إلى قبيلة الشعالية⁽⁴⁾، وبعد مدينة الجزائر خرج إلى المشرق لطلب العلم في بداية القرن التاسع هجري فمر بمدينة بجاية واحتل بعلمائها و فقهائها منهم الفقيه عبد الرحمن الوغليسي .

وفي سنة 1406 م سافر إلى تونس وكان له لقاء مع مجموعة من العلماء منهم عيسى الغبريني والأبي، والبرزلي، ثم واصل رحلته إلى القاهرة فلقي

¹ Albert Devoulx, *épigraphie indigène du musée archéologique d'Alger suivie d'un musée mural à Alger*, Typographie et lithographie à Jourdan, Alger 1874, P70-71.

² يعود نسبه إلى جعفر بن أبو طالب وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عمر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفصل بن عبد البر بن قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب انظر:

-Gorguus « *Bouras historien inédit de l'Afrique septentrionale* », R.A, V5, 1861, p 121.

³ قبيلة الشعالية حكمت متيبة إلى نهاية القرن الثامن هجري الذي شهد فيه ملاحقة السلطان أبو حمو الثاني أحد حكام الدولة الزيانية لهم وقضى عليهم انظر محمد بن أحمد أبو راس الناصري، *عجائب الأسفار ولطائف الأخبار*، ج 1، مصدر سابق، ص 71-70

⁴ Gorguus « *Bouras* », R.A, op.cit., p122.

الشيخ ولی الدين العراقي وأخذ منه في علوم الشريعة، وعند ادائه لفريضة الحج كان له لقاء مع علماء آخرين في الحجاز، ثم عاد الى تونس من جديد وكانت له فرصة الاحتكاك بالشيخ أبي عبد الله محمد بن مرزوق والذي أخذ منه بالمجلس الذي يتراوح عدده من إثنين الى ستة أعضاء وفي بعض الأحيان أكثر، وهم يتغرون من فترة الى أخرى إجازة لتعلم مختلف فنون المعرفة.⁽¹⁾ وتوفي الشيخ عبد الرحمن الثعالبي سنة 875هـ/1470م⁽²⁾، وقد ترك ما يزيد عن تسعين مؤلفاً⁽³⁾ ، ودفن بمقبرة الطلبة بمدينة الجزائر⁽⁴⁾ ، وقد نصب زاوية سيدى عبد الرحمن في سنة 1108هـ/1696م بأمر من الداي الحاج أحمد المصلى (العلج) خارج باب الوادي، حيث كانت ملجا علمياً ثقافياً ومحط رجال العلم ، وتشمل مسجداً صغيراً له منارة مربعة الشكل، وله قبة كبيرة وبداخلها قبر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي مجموعة من المقابر لشخصيات منها الداي عمر باشا والدai مصطفى باشا، بالإضافة إلى بيوت ومنازل خاصة بالوكيل وبقية مستخدمي الضريح بالإضافة إلى مراقب آخرى كاماكن لاستقبال المحتاجين والأهالى

¹ مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 150-151.

² جمال بوحجو، الذهب الابريز في تفسير واعراب بعض أبي الكتاب العزيز للإمام أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي ت 875 دراسة وتحقيق من سورة يونس الى سورة القصص، مذكرة لنيل شهادة درجة الماجستير في العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر 1، 2016-2017، ص 22.

³ جمال بوحجو، الذهب الابريز، نفسه، ص 23.

⁴ زايدى كريم " الإمام الثعالبي ومنهجه في تعامله مع القراءات في نفسيره الجواهر الحسان" ، نماذج منتخبة -مجلة البحوث والدراسات، ع 1، مج 15، جامعة حمة لخصر الوادي، 2018، ص 21.

وعابري السبيل ومقببة في الخارج تابعة للزاوية وأماكن لل موضوع⁽¹⁾ ، ويعتبر ضريح سيدي عبد الرحمن الشعالي من بين الأضرحة التي تتمتع بشهرة كبيرة داخل القطر الجزائري وخارجها، حيث كانت تونس ترسل حمولة زيت باسم ضريحه⁽²⁾ ، ويعد أحد المزارات الكبرى بمدينة الجزائر.⁽³⁾

2- المسجد الحنفية:

2-1 جامع السيدة: ان مسجد السيدة يعتبر من أقدم المساجد الحنفية، وهذا عكس ما يتداول في الكتابات التاريخية على ان جامع القايد صفر هو اولهم، ويعود بنائه الى ما قبل سنة 1528 م أي الى الفترة الأولى لانضمام الجزائر للدولة العثمانية، بناء على ما هو مبين في احدى وثائق المحاكم الشرعية⁽⁴⁾ ، وفيه يؤدي الداي وحاشيته والشخصيات الهامة صلاة الجمعة ، فاحمد الشريف الزهار يشير بان بنائه وتشييده يعود الى فترة سابقة للوجود العثماني من طرف امرأة ثرية وهي بنت مولاي الناصر حاكم

¹ Albert Devoulx , *les édifices religieux de l'ancien Alger*, R.A, T 7, 1863, P 178.

² ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، 2006/2007، ص 35-36.

³ للمزيد أكثر حول زاوية وضريح سيدي عبد الرحمن الشعالي انظر:
- عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الشعالي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

⁴ (AOM, 1MI. B 28. Z 55

بجایة⁽¹⁾، وموقعه من القرب من دار الامارة وسوق الخضارين، وهو مسجد صغير انيق البناء يحتوي على قاعة كبيرة مغطاة بالحصیر وقطع السجاد و به آيات قرآنية منقوشة على الحائط⁽²⁾. وحسب دوفو فان مظهره الخارجي لم يكن مثيراً للانتباه فهو واقع في وسط التجمعات السكنية ومحاط بمنازل المتدخلة، وبابه من الخشب ويقع في الجهة الغربية ومقابل لساحة القصر، اما مظهره الداخلي به رسومات انيقة وعشرين عمود من الرخام الأبيض⁽³⁾، وهناك وصف اخر بانه يحتوي على خمسة أبواب ثلاثة منها مقابلة لدار الامارة وباب اخر لناحية بيت المال وباب اخر يؤدي الى سكة الصاغة، وبه نفق يؤدي الى دار الامارة⁽⁴⁾. اما بداية تسييره من قبل مؤسسة سبل الخيرات⁽⁵⁾، فتعود الإشارة الأولى لها الى سنة 1672 م⁽⁶⁾ ،

¹ احمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، تح احمد توفيق المدنى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ، ص 32-31.

² كاثكارت، مذكرات اسير الدياي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 97-98.

³) (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p154

تح احمد توفيق المدنى احمد الشريف الزهار، احمد شريف الزهار، مذكرات⁽⁴⁾ (مصدر سابق، ص 81)

⁵ سبل الخيرات مؤسسة وقفية أسسها الولاة العثمانيون في الجزائر أواخر القرن 16 م خصصت عوائدها لصالح المساجد الحنفية انظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 158 - 159-

⁶) (Zahra Zakia, *Alger à Istanbul, la fondation de waqf des subul al khayrat et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII siècle à la colonisation française)*, thèse de doctorat, mondes arabe musulman et sémitique, Aix Marseille. -

وقد قام ناظر بيت المال صاري مصطفى اغا سنة 1700/1701 م بناء مكتب أي مدرسة ملحقة بالجامع لتعليم الأطفال ، وقد تعرض مسجد السيدة بحكم قريه من البحر الى تحطم بعض اجزائه جراء الحملات الأوروبيه على مدينة الجزائر، منها حملة دوكين الفرنسية سنة 1683م،⁽¹⁾ لذلك قام الداي حسين ميزومورطو بتجديده وترميمه في سنة 1688 م ، وتعرض لأضرار اثناء حملتي دون اوريلي الأولى والثانية سنة 1783-1784م، وفي سنة 1785 جاءت اهم محاولة لتجديد المسجد من طرف الداي محمد بن عثمان باشا⁽²⁾ ، وقام بتوسيعه بضم مجموعة من الحوانين كانت مجاورة له⁽³⁾ ، وقد احتفظ مسجد السيدة بدوره كمسجد للحكام الى غاية سنة 1817 م⁽⁴⁾ ، لما نقل الداي علي خوجة مقر اقامته الى أعلى القصبة اصبح جامع القصبة مركزا لصلاحة الحكم . ويعتبر جامع السيدة من اول المؤسسات الدينية التي تعرضت للهدم من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م، مع المنازل المجاورة له غير انهم وجدوا صعوبة في إزالة منارته التي بقيت قائمة الى غاية 1832 م، والهدف من تهديمه لترك مساحة مكشوفة داخل المدينة للتجمع والدفاع في حالة وقوع تمرد من طرف السكان المحليين⁽⁵⁾

¹⁾ (Zahra Zakia, *Alger à Istanbul*, ibidem, p65

²⁾ احمد الشريف الزهار، مذكريات، مصدر سابق، ص 24.

³⁾ (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p153

⁴⁾ (Tal shuval, *la ville d'Alger vers la fin du XVIII Siècle population et cadre cadre urbain*, paris, CNRS, 1998 ,192

⁵⁾ (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p156

2- جامع القايد صفر: يعتبر جامع القايد صفر ثانى المساجد الحنفية التابعة لمؤسسة سبل الخيرات، اذ يرجع تشييده الى سنة 1534م، واستغرق بناؤه حوالي تسعة أشهر، وقد قام ببنائه عبد الله صفر وهو مسيحي اعتنق الإسلام ثم أعتقه خير الدين بارباروس فأصبح يسمى القايد صفر بن عبد الله، وقد اهله المame باللغة العربية وتعمله فيها من ان يصبح حزابا⁽¹⁾ ، ومكان بنائه كان في الجهة العليا من المدينة⁽²⁾. وتعود الإشارات الأولى في الوثائق الشرعية لجامع القايد صفر الى ما قبل سنة 1544م⁽³⁾ ، وفي سنة 1826م قام الداي حسين بتهديمه كليا وإعادة بنائه في نفس السنة⁽⁴⁾ ، وكان مسجد صفر لا يفتقد للأناقه حتى بعد تجديده فكان به ثمانية أعمدة كبيرة ومستديرة أربعة منها من الرخام والأخرى من الحجر⁽⁵⁾ ، اما محرابه فهو مزين باللونين الأبيض والأزرق والامر كذلك بالنسبة للنوافذ، كما تم تزيين الجزء العلوي من المسجد بالقرميد الأخضر⁽⁶⁾ ، وهو من المساجد القليلة التي سلمت من التهديم اذ بقي قائما الى يومنا هذا.

جامع الجديد : يعد الجامع الجديد ثالث واهم مسجد حنفي تابع لمؤسسة سبل الخيرات، وسمي كذلك تفريقا له عن الجامع الأعظم

¹) (Albert devoulx, *les édifices*, Ibidem. , pp 240 -241.

² نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة ، 1979م، ص 162.

³) (AOM 1MI B55 Z130

⁴ احمد الشريف الزهار، مذكرات، مصدر سابق، ص 166.

⁵ وهيبة خليل، أطلس المعالم الدينية الإسلامية بمدينة الجزائر جرد وإحصاء،

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار الإسلامية ، 2008/2009، ص 51-67.

⁶) (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p 246

القريب منه⁽¹⁾، وقد سماه الفرنسيون بجامع المسمكة⁽²⁾، وقد بني بالأمر الصادر من الجيش الإنكشاري في سنة 1656م⁽³⁾، على أنقاض مدرسة تدعى بمدرسة المولى أبو عنان او المدرسة العنانية⁽⁴⁾ او زاوية مولاي أبو عنان⁽⁵⁾، المتواجد بالقرب من باب البحر والبادستان والقهوة الكبيرة⁽⁶⁾، وهي المنطقة التي تجمعت فيها مختلف المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

بلغت مساحة الجامع الجديد 1371كلم⁽⁷⁾، وهي ليست كلها مساحة المدرسة بل اضيف إليها شراء عقارات محيطة بها تم الحقها بالجامع⁽⁸⁾، أما من حيث هندسته وتصميمه فإنه يشبه المساجد العثمانية. وبدأ ت الأشغال في بناء الجامع الجديد سنة 1656م شهرين بعد قرار الجيش ببنائه، أما المشرفين على بنائه من أصحاب الرتب السامية من الجيش الإنكشاري والأندلسيين ومؤسسة سبل الخيرات، وحضور الجيش الإنكشاري كان تمثيلاً للسلطة بضمان السير الحسن للأشغال والشهر على تمويله والاشراف على حساباته لا أكثر، لأنهم ليس لديهم معرفة في أمور البناء، أما فيما يتعلق بالجانب الهندسي فقد ذكر كلاين اسم

¹ نور الدين عبد القادر، صفحات، مرجع سابق، ص 55

²) (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p133

³) م ش ع، ب ب، ع 33، س 423.

⁴) (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p140

⁵) (Ibidem. , p142

⁶) وج، م ش ع 36.63 (. ، 34،

⁷) (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p133

⁸) (Ibidem. , p140

المعماري الذي صممه مجهول⁽¹⁾ غير ان احدى دفاتر البايلك اشارت الى ان العملية تمت بإشراف أحد الاندلسيين وهو الحاج إبراهيم أمين البنائين⁽²⁾ ، و يعتبر المسجد الوحيد الذي بني بطريقة جماعية اما بقية المساجد فكانت كلها بمبادرات فردية⁽³⁾ وحظي الجامع الجديد بأهمية بالغة في أوساط الطبقة الحاكمة، فهو الجامع الأساسي وال رسمي للأترال العثمانيين بالجزائر ومقر المفتى الحنفي، إذا تعقد فيه جلستان في الأسبوع اين تعرض عليه مختلف المسائل خاصة ما يتعلق منها بالوقف والعنااء والمعاوضة ، وكان للمفتى اليid الطولى اذ ما حصل خلاف بينهم وبين مفتى المذهب المالكي، كما كان لهم تأثير على الباشوات خاصة في العهد الأول عندما كان القاضي الحنفي يأتي من إسطنبول مثله مثل البasha، وقد حظي الجامع الجديد باحترام رئاس البحر أيضا الذين كانوا يحيونه بطلقات مدفعة عند الذهاب الى الجهاد املا منهم في تحقيق النصر⁽⁴⁾ وقد كان قرباش أفندي اول من تولى الخطابة بالجامع الجديد بعدها تعرض للنفي، وتولى مكانه مسلم أفندي، ثم أصبح مفتيا بعد حسين أفندي، وبذلك جمع بين وظيفتي الإفتاء والخطابة واستمر الامر على هذا المنوال حتى من جاء بعده⁽⁵⁾ ونظرا

¹⁾(-Henri Klein , feuillets dél –djezair le comité du vieil Alger , op.cit. , 1910 , p177

² وج، ب ب، ع 33، س 325/423

³⁾ (Albert devoulx, les édifices, op.cit. , p140

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج 1، مرجع سابق، ص 259.

⁵ بن المفتى حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتى في تاريخ باشوات، مرجع سابق، ص .88

لوقوع الجامع الجديد بالقرب من البحر فانه تعرض الى تهدم بعض اجزائه إثر الحملات الأوروبية على الجزائر، كحملة دوكين الفرنسي سنة 1682م، التي أدت الى تهدم جزء منه، ورغم ذلك يبقى الجامع الجديد من المساجد القليلة التي سلمت من التهديم بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما أحدثت فيه السلطات الفرنسية تغييرات طفيفة فمنبر المسجد المصنوع من الرخام كان سابقا في جامع السيدة، وفي سنة 1854م نصب في اعلى منارته الساعة التي كانت في دار الامارة⁽¹⁾ وكان للجامع الجديد أربعة أبواب وتم اغلاق الباب المواجه للجنوب الغربي من طرف الإدارة الفرنسية⁽²⁾ وهناك أيضا بعض المساجد الحنفية الأخرى منها مسجد كتشاوة والذي يعتبر الخامس المساجد الحنفية بمدينة الجزائر بعد جامع السيدة وجامع صفر والجامع الجديد وجامع شعبان خوجة التابعين لمؤسسة سبل الخيرات⁽³⁾ بالإضافة الى جامع الشبارلية وجامع دار القاضي وجامع القصبة، ويعد مفتى المذهب الحنفي المشرف الأساسي على مؤسسة سبل الخيرات، ويتولى أيضا الإفتاء والإماماة ومقره بالجامع الجديد وهو المسجد الرئيسي لتابع المذهب الحنفي بمدينة الجزائر⁽⁴⁾. وليس هناك تاريخ مضبوط لبناء مسجد كتشاوة لكن حسب عقد يعود الى سنة 1021هـ(1612-1613م) فإن هذا

¹ نور الدين عبد القادر، صفحات، مرجع سابق ص 158

²) (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p136

³ غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 258.

⁴ زكية زهرة، حول الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر من خلال ثلاثة نماذج من الوثائق، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات انسانية (ع خ)، جامعة الجزائر، 2001-2002،

ص 157.

المسجد كان موجودا في هذا التاريخ⁽¹⁾، وتم ترميمه من طرف الدي حسن⁽²⁾، حيث قام بإعادة بنائه وتوسيعه وصممه على نموذج جامع السيدة سنة 1794/1795 م⁽³⁾ بالموقع المسمى كجاوة بالقرب من ضريح الولي سيدى دادة⁽⁴⁾، وقد وقف الدي حسن أيضا عدة عقارات بالمدينة

¹ Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P164.

- ويعتبر من بين المساجد الذي كان في الأصل زاوية وتسى بزاوية كجاوة ثم تحول إلى مسجد انظر صبرينة لنوار، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرنين 18-17، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل (العراق)، 2018، ص 120

² الدي حسن دامت ولاليته سبع سنوات من 1791 م إلى 1798 م، وتعتبر فترة حكمه في الجزائر فترة استقرار سياسي، وهو مرمم جامع كتشاوة وأيضا استرجع مرسى القالة من الفرنسيين وسلم مدينة وجدة للمغاربة، وتوفي بعد سوء التداوي لالتهاب على مستوى الرجل أدى إلى اصابته بمرض الغنغرينة (انظر: احمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف، مصدر سابق، ص 67-68. وعائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 59).

- HD de Grammont, *histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830*, op.cit., pp 346-354

- وتزامن حكمه للجزائر مع تحرير وهران من الإسبان انظر: محمد بن احمد ابي الراس الناصري، *عجائب الاسفار ولطائف الاخبار*، ج 2، ترجمة محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC ، ص 82-181.

³ Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P164.

- أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج 5، مرجع سابق، ص 38.

⁴ وحسب الباحثة نفيسة دويدة فان الأهداف المرجوة من زيارة هذا الضريح كانت صحية علاجية نفسية واجتماعية ودينية انظر نفيسة دويدة، *المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية*، مجلة انسانيات ، 2015، ص 26-27. وبالنسبة لكجاوة (كتشاوة) هي هضبة كانت يرعى فيها الماعز. عقيل نمير، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، أوقاف مؤسسة سبل الخيرات

على مسجد كتشاوة، واستفاد منها الخطيب المؤذن والهزابين والفراشين والشعالين والفقهاء، وأما باقي المداخل فتصرف على القناديل والزيت والفرش ... الخ^١، وقد حول المسجد الى كاتدرائية كاثوليكية في السنوات الاولى للاحتلال الفرنسي، وجرت عليه تعديلات كثيرة وهدمت بعض اجزائه وأصبح يسمى موقعه بعد الاحتلال بشارع الديوان⁽²⁾، وهناك أيضا مسجد جامع دار القاضي ومسجد حسين ميزومورطو وجامع عبدي باشا وجامع خضر باشا وجامع علي باشا نقسيس . وبالنسبة لمصير هذه المؤسسات الدينية بعد الاحتلال الفرنسي فإنها كانت آيلة للزوال، وهذا من خلال ما اعتمدته سلطات الاحتلال اتجاه هذه المؤسسات، التي قامت بمصادرتها والاستفادة من عائداتها وابعادها عن وظائفها الاصلية⁽³⁾ إلا ان بعضها مازال قائما الى يومنا هذا .

من خلال المساجد الحنفية، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات إنسانية (عدد خاص)، جامعة الجزائر، 2002-2001، ص 131.

^١ مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 69.

² Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P170.

³ فلة موساوي القشاعي، " تحطيم التراث الثقافي العثماني في الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي (1830-1962م)"، مداخلة مقدمة في الندوة الدولية التراث بحوض البحر الأبيض المتوسط: واقع الحال والتنمية والثمين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، 2019.

الخاتمة :

المسجد مكان للعبادة والاعتكاف والصلوة، ولم يقتصر دوره فقط على ذلك بل أصبح مكان للتربيـة والتـعلـيم والتـوجـيه الـديـني والـاخـلاـقي وقد عـرفـت مدـيـنـة الجـزاـئـر عـدـد كـبـير من المـسـاجـد المـالـكـيـة مـنـهـا وـالـحنـفـيـة، حيث لـعـبـت دورـكـبـير في تـنشـيـط الحـيـاة الـعـلـمـيـة وـالـاجـتمـاعـيـة، فـقـد كانـت تـدرـسـ فـيـهـ مـخـلـفـ الـعـلـوم إـسـلامـيـةـ، كـمـا شـارـكـت مـسـاجـد مدـيـنـة الجـزاـئـر في نـهـضـةـ الثـقـافـة وـتـطـوـيرـ الـعـلـومـ وـتـخـرـجـ الـعـلـمـاءـ فـقـد كانـت حـقاـ مـراـكـزـ اـشـعـاعـ ثـقـافـيـ سـاـهـمـتـ فـيـ اـزـهـارـ الـحـرـكـةـ التـعـلـيمـيـةـ، كـمـا كـانـ لـهـا دورـ فـيـ تـرـسيـخـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ إـسـلامـيـةـ وـتـنـشـيـطـ الـدـرـاسـاتـ الـفـقـهـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ، كـمـا اـعـتـبـرـتـ مـجاـلسـ لـلـشـورـىـ يـعـقـدـ فـيـهـاـ المـجـلـسـ الـعـلـمـيـ لـلـفـصـلـ فـيـ الـقـضـائـاـ الـفـقـهـيـةـ، وـ يـسـهـرـ عـلـىـ تـسـيـرـ الـمـسـاجـدـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـوـظـفـيـنـ، وـيـتـمـ يـتـمـ تـموـيلـ الـمـسـاجـدـ وـمـوـظـفـيـهاـ مـنـ عـوـائـدـ الـأـوقـافـ، وـمـا يـمـكـنـ قـوـلـهـ انـ مـسـاجـدـ مدـيـنـةـ الجـزاـئـرـ خـلـالـ الـعـهـدـ العـثـمـانـيـ تـمـيـزـتـ بـمـيـزةـ خـاصـةـ عـنـ الـفـتـرـاتـ السـابـقـةـ كـوـنـهـاـ جـمـعـتـ بـيـنـ الـجـانـبـ الـعـلـمـيـ وـالـدـيـنـيـ.

القائمة الببليوغرافية المعتمدة

وثائق الأرشيف:

- ا و ج، ب ب، ع 33، س 423/325
- ا و ج، م ش ع 36 و 34,43
- ا و ج م ش ع 10 و 39
- ا و ج م ش ع 134 و 52
- ا و ج م ش ع 55
- ا و ج م ش ع 63 و 69
- AOM 1Mi B05 Z10
- AOM 1Mi B16 Z33.
- AOM 1MI B30 Z62
- AOM 1Mi B30 Z62,
- AOM 1Mi B45 Z99
- AOM 1MI B55 Z130
- AOM 1Mi B70
- AOM 1MI B 28 Z 55

القائمة الببليوغرافية باللغة العربية:

- ابن زاكور الفاسي المتوفي (1120هـ/1708م) رحلة ابن زاكور المسماة نشر ازاهر البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الاعيان، الناشر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- التمكروتي علي بن محمد ، النحفة المسكية في السفارة التركية، تق تج عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002.
- التميي عبد الجليل ، وثيقة على الأملال المحسبة باسم الجزائر الأعظم بمدينة الجزائر، ع5، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1980.
- الجيلالي عبد الرحمن ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماري وتأريخيا، مجلة الأصالة، ع 1972,8.
- الزهار احمد الشريف ، مذكريات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، تج احمد توفيق المدنى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- العسلي بسام ، الماريشال بيوجو 1784 م / 1849 م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2، بيروت ، 1983 م.
- القشاعي فلة موساوي ، " تحطيم التراث الثقافي العثماني في الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي (1830-1962م)" ، مداخلة مقدمة في الندوة الدولية التراث بحوض البحر الأبيض المتوسط: واقع الحال والتنمية والثمين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.
- الناصري محمد بن احمد ابي الراس، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار، ج2، ترجمة محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC .
- الوزان الفاسي الحسن بن محمد المعروف بليون الافريقي، وصف إفريقيا، محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، ج2، بيروت، 1983.
- بن الفتى حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن الفتى في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها تج فارس كعوان، دار الحكمة، الجزائر، ص 96.
- بن حموش مصطفى احمد ، السلطة والمدينة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والتوزيع، ط1، دبي 1999.
- بن حموش مصطفى احمد ، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، تر، ترجمة، مصطفى احمد بن حموش، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- بوجو جمال ، الذهب الابريز في تفسير واعراب بعض أبي الكتاب العزيز للإمام أبي زيد عبد الرحمن الشعالي ت 875 دراسة وتحقيق من سورة يونس الى سورة القصص، مذكرة لنيل شهادة درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2016-2017.
- بوحشوش نعيمة ، الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2013-2014.
- بودريعة ياسين ، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبایلک مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، 2006/2007.

- بوزينة سعيد ، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة تاريخية معمارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.
- حاج سعيد محمد ، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها دورها وعماراتها، مذكرة نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1، 2014/2015.
- خليل وهيبة ، أطلس المعالم الدينية الإسلامية بمدينة الجزائر جرد وإحصاء، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار الإسلامية ، 2008/2009.
- دوفولكس -البير ، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجم تع مصطفى احمد بن حموش وبدر الدين بالقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004.
- دويدة نفيسة ، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة انسانيات ، 2015.
- زايدى كريم " الإمام الثعالبى ومنهجه فى تعامله مع القراءات فى نسخه الجواهر الحسان" ، نماذج منتخبة -مجلة البحوث والدراسات، ع 1، مج 15، جامعة حمة لخصر الوادى، 2018.
- زهرة زكية ، حول الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر من خلال ثلاثة نماذج من الوثائق، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات انسانية (ع خ)، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م ، ط 1، ج 1، دار البصائر 2007م، ص 31.
- سعيدوني ناصر الدين ، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 حتى القرن 19 ، مجموعة دراسات أكademie وبحوث علمية، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- صاري أمينة سليمة، طبقات فقهاء المالكية من خلال مخطوطات الجامع الكبير للشيخ عبد الرحمن الثعالبي ت 1470هـ/875م دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2011/2010.
- عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة ، 1979م.
- غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية ومؤسساتها، سلسة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007.
- قسم عبد الرزاق، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- كاثكارت، مذكرات أسير الدياي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي السياسي 1246-925هـ / 1520-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران ، 2013-2014.
- لنوار صبرينة، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرنين 17-18، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل (العراق)، 2018.
- محزز أمين ، اوحاق الإنكشارية ببايلة الجزائر في عهد الديايات (1671-1830م) دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفتر المواجبات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 2، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2019/2020.
- نفطي وافية، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية 2016/2017.
- نمير عقيل، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات إنسانية (عدد خاص)، جامعة الجزائر، 2002-2001.

القائمة библиография باللغة الأجنبية:

- Aumerat J-F, **la propriété urbaine à Alger**, RA, 1898.
- Aumerat J-F, **le bureau de bienfaisance musulman**, typographie Adolphe Jourdan, 1900.
- Ben Hamouche Mustapha , « **hanafisme malikisme et gestion urbaine cas d'Alger à l'époque ottomane** », RHM. N 93/94, Tunis, 1999
- berbrugger Adrien, **bibliothèque-musée d'Alger, Livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements**, Imprimerie Bastide, Alger, 1860 1861.
- Boyer Pierre, "**contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger XVI – XIX siècles**", R.O M M, N 1, Aix en Provence, 1966
- Chergui -Samia, **les mosquées d'Alger, construire gérer et conserver XVI – XIX siècles** Pups Maison de la recherche, université Paris Sorbonne, paris, 2011.
- Colin Gabriel. **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie**. éd Ernest Leroux Paris, 1901,
- Devoulx Albert , **épigraphie indigène du musée archéologique d'Alger suivie d'un musée mural à Alger**, Typographie et lithographie à Jourdan, Alger1874.
- Devoulx Albert, **les édifices religieux de l'ancien Alger**, R.A, T 7, 1863.
- Devoulx Albert, **El Djzair histoire d'une cité dicosium à Alger**, Edition critique présentée par Bedredine belkadi et Mustapha Ben hamouche, éd Enag
- Devoulx -Albert, **les édifices religieux de l'ancien Alger**, typographie bastide, Alger, 1870,
- Devoulx Albret, **Les édifices religieux de l'ancien Alger**, R.A. N°10, 1866.
- Gorguos « **Bouras historien inédit de l'Afrique septentrionale** », R.A, V5, 1861

- Klein Henri , **feuillets dél –djezair le comité du vieil Alger** ,V1, 1910.
- Messaoudi Alain **les arabisant et la France coloniale savants conseillers médiateurs (1780-1930)**, lyon, ENS édition ,2015 : » Devoulx joseph Marie Albert (Marseille 1826, Alger 1876 .
- Pierre boyer **la vie quotidienne à Alger a la vielle de l'intervention française**, éd hachette. Paris, 1963.
- shuval Tal, **la ville d'Alger vers la fin du XVIII Siècle population et cadre urbain**, paris, CNRS, 1998 .
- Zakia Zahra , **Alger à Istanbul. la fondation de waqf des subul al khayrat et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII siècle à la colonisation française)**. thèse de doctorat. mondes arabe musulman et sémitique. Aix Marseille.

تجليات الهوية الجزائرية في عمارة المسكن (قراءة في القيم الإسلامية والأبعاد الثقافية)

ط د/ عيشش أمنية

المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية دار القرآن

مقدمة

تعتبر الهوية المعمارية تعبير عن الثقافة المحلية، البيئة، واحتياجات المجتمع. هي نتيجة تفاعل طويل الأمد بين الإنسان وبئته، بحيث تعكس العمارة طريقة حياة الناس، تقاليدهم، ومعتقداتهم. في نظر المهندس حسن فتحي ، العمارة لا ينبغي أن تكون مجرد شكل مادي أو استجابة جمالية، بل يجب أن تكون مرتبطة بظروف المكان (مثل المناخ ومواد البناء المحلية) وأن تعبّر عن القيم الثقافية والاجتماعية، فالعمارة ليست مجرد بناء، بل هي وسيلة لنقل القيم الثقافية والدينية التي تميز مجتمعًا عن آخر. من هذا المنطلق، تُعد الهوية عاملاً أساسياً في تشكيل العمارة، حيث تعكس الأنماط المعمارية القيم المشتركة بين الأفراد، بما في ذلك القيم الإسلامية التي تؤطر السلوكيات اليومية وتوجه العلاقات الاجتماعية.

تُعد العمارة الجزائرية مراةً تُبرز خصوصية ثقافية واجتماعية نابعة من تفاعل القيم الإسلامية، العربية، والأمازيغية. حيث تنقل المساكن القيم الدينية والثقافية من خلال التصميم والعلاقة مع البيئة، يتجلّى انعكاس الهوية في عمارة المسكن الجزائري من خلال تحقيق الانسجام بين الوظيفة والقيم الرمزية. تُظهر دراسة عمارة المسكن الجزائري في الفترة الإسلامية،

التأثير العميق للبيئة الطبيعية والمعتقدات والقيم الدينية والعادات المحلية على التصميم المعماري للمسكن، إلى جانب القيم الإسلامية التي توجه استخدام المواد المحلية وتحديد وظائف الفضاءات، يمكن استنتاج مدى تجذر قيم القرآن الكريم والسنّة النبوية في العمارة التقليدية، حيث تتجلى في الأنماط الهندسية والتصاميم الموجهة نحو تحقيق التوازن بين الجمال الوظيفي والرمزي. وتعتمد الدراسة على منهج تاريخي وصفي تحليلي، يُستخدم فيه توثيق التطور التاريخي للمسكن الجزائري وتحليل الأبعاد الدينية والثقافية المؤثرة على تصميمه. تشمل الدراسة مصادر أرشيفية ونصوصاً فقهية وأمثلة ميدانية لمساكن تقليدية في مختلف المناطق. حيث تهدف الدراسة إلى إبراز العلاقة بين القيم الإسلامية والثقافة المحلية في تشكيل عمارة المسكن الجزائري، وتسلیط الضوء على عناصر التصميم التي تعكس الهوية الوطنية. كما تسعى إلى تعزيز فهم التراث المعماري كوسيلة لبناء مستقبل معماري مستدام يحترم الخصوصية الثقافية. وتفيد النتائج على أن القيم الإسلامية والاجتماعية تلعب دوراً جوهرياً في تشكيل الهوية المعمارية للمسكن الجزائري. تظهر هذه القيم في التصميمات التي تحقق الخصوصية، الانسجام مع البيئة، والتعبير عن الروح الجماعية، مما يجعل العمارة التقليدية مرآة تعكس هوية المجتمع الجزائري وقيمه الأصلية.

يُعد الفكر الإسلامي أحد الركائز الأساسية التي شَكَّلت معايير العمارة عبر العصور، حيث استطاع أن يرسخ قيمًا ومبادئ متأصلة تنعكس بعمق في تصميم المسكن وتكوينه. يتناول هذا البحث تأثير الفكر الإسلامي على

عمارة المسكن، كمفهوم يرتكز على إبراز الهوية الثقافية والتراثية من خلال التصميم المعماري، فضلاً عن استعراض مبادئ التصميم وفق التشريع الإسلامي. ويطرق البحث إلى تحليل المفهوم الإدراكي لعمارة الهوية وتبيان كيفية استمدادها من الأطر الفكرية والدينية الإسلامية، مستندين في ذلك إلى المصادر الشرعية والترااث العماني الإسلامي. كما سيتم تناول المبادئ الأساسية للتصميم الإسلامي؛ منها التوازن والاعتدال، والوظيفية المستدامة، واستخدام المواد والتكنيات التي تراعي متطلبات البيئة والمناخ المحلي. أما في الجزء التطبيقي، فسيتم تقديم دراسة حالة لمساكن تقليدية في مدینتي قسنطينة وتلمسان، اللتين تعدان من أبرز المدن الجزائرية ذات الإرث العماني الغني. ومن خلال تحليل المخططات المعمارية، وتنظيم الفضاءات، و اختيار المواد، ستُستعرض كيفية تجسيد المبادئ الإسلامية في هذه النماذج التقليدية، مع تسليط الضوء على نقاط الالتقاء والاختلاف بين العمارة التقليدية والاتجاهات المعاصرة. ويهدف البحث إلى تقديم رؤية نقدية شاملة تُبرز الدور الفاعل للفكر الإسلامي في تشكيل هوية المسكن، وتوفير إطار نظري وعملي لاستلهام تجليات التراث الإسلامي في مشاريع السكن المعاصر، بما يُسهم في إثراء الحوار بين الماضي والحاضر وتحقيق استدامة بيئية وثقافية في العمارة الحديثة.

مشكلة البحث

تشكل العلاقة بين الفكر الإسلامي والعمارة موضوعاً بحثياً معقداً ومثيراً للاهتمام، إذ يظهر تأثير المبادئ والقيم الإسلامية-مثل الوحدة، الاعتدال، والخصوصية-على ملامح التصميم المعماري. تكمن مشكلة البحث في

استقصاء كيفية تجسيد هذه المبادئ في عملية الإبداع المعماري، وكيف ساهمت هذه القيم في تشكيل النماذج المعمارية التقليدية والمعاصرة، مما يستدعي تحليل العوامل المؤثرة لتحديد مدى تأثير الفكر الإسلامي على العمارة بصورة شاملة.

أهداف البحث:

- تحليل المبادئ الأساسية للفكر الإسلامي وتحديد كيف تُترجم إلى معايير تصميمية في عمارة المسكن.
- دراسة توزيع الفضاءات الداخلية لتقدير مدى تجسيد التصميم للمقتضيات الإسلامية.

أهمية البحث:

- إثراء المعرفة النظرية والعملية حول تأثير الفكر الإسلامي على التعبير المعماري، مما يعمق فهم العلاقة بين التراث الديني والثقافي والابتكار في التصميم.
- توفير إطار تحليلي يمكن المصممين والباحثين من إعادة النظر في النماذج التقليدية وتطبيق مبادئ تراثية متजذرة تتوافق مع متطلبات العصر الحديث.
- المساهمة في تعزيز الهوية الثقافية من خلال دمج القيم الإسلامية في العمارة، ما يدعم الاستدامة البيئية والاجتماعية في المساحات المعيشية.

١. الفكر الإسلامي في تصميم المسكن

الفكر الإسلامي هو منظومة متكاملة من المبادئ والأفكار والقيم التي تستمد أصولها من النصوص الشرعية الأساسية – القرآن الكريم والسنة النبوية – ومن اجتهدات العلماء عبر العصور. يشمل هذا الفكر كل جوانب الحياة؛ من العقيدة والعبادة إلى الأخلاق والفقه والفلسفة والسياسة، مما يجعله إطاراً شاملأً لفهم الكون ودور الإنسان فيه. يتميز الفكر الإسلامي بتركيزه على توحيد الله وتحقيق العدالة والرحمة والاعتدال، ويسعى إلى بناء مجتمع قائم على التكافل الاجتماعي والإنسانية^١. كما يتفاعل هذا الفكر مع تحديات العصر الحديث، محافظاً على جوهره الروحي والأخلاقي مع استيعاب التطورات العلمية والثقافية، ليظل مرجعاً دينياً وفكرياً يُشكل الهوية الفردية والجماعية في المجتمعات الإسلامية. ويشكّل الفكر الإسلامي قاعدة نظرية أساسية تُليم التصميم المعماري باعتباره تعبيراً فنياً عن القيم والروح الإنسانية. إذ يستمد التصميم المعماري معانيه من منظومة من المبادئ التي ترتكز على الوحدة والاعتدال والتوازن، ما يتبع للمصمم دمج الجمال والوظيفة في مساحة تعكس الهوية الثقافية للمجتمع. وتعمل هذه المبادئ على توجيه عملية الإبداع من خلال استلهام أفكار وقيم المجتمع المسلم، مما يؤدي إلى تصاميم تتجاوب مع الاحتياجات المجتمعية بطريقة تحافظ على مبادئهم وخصوصياتهم. بهذا الصدد، يُعتبر الفكر الإسلامي بمثابة مرجعية فكرية تدعو إلى إعادة النظر في الأساليب

^١ العمارة في الإسلام: تحليل لتصميم المسكن الإسلامي في ظل المفاهيم التصميمية المعاصرة

التقليدية وتطوير نماذج تصميمية تواكب التحولات المعاصرة مع الحفاظ على الروح والقيم الأصيلة^١. ويؤثر الفكر الإسلامي بشكل مباشر وخاص على المسكن من خلال توفير إطار روحي وأخلاقي واجتماعي للتصميم. وبذلك، يتحول المسكن إلى تعبير فني عن الهوية والقيم الثقافية للمجتمع، مستجيباً لاحتياجات الساكنين بطريقة متوافقة مع المبادئ الإسلامية.^٢

2. مفهوم المسكن سكن الشيء سكوناً ذهبت حركته وقد استقر وثبت. والمسكن في اللغة من سكن السكون بعد الحركة. قال الله تعالى ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)) سورة إبراهيم الآية 37 ويشتق مصطلح "المسكن" من الجذر "سكن"، الذي يشير إلى الاستقرار والسكون³، فيعرف في اللغة بأنه المكان الذي يستقر فيه الإنسان، أي البيت أو المأوى الذي يوفر له الراحة والأمان، حيث يجد السكن والسكنية

. قال الله تعالى ((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُيوْتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيوْتًا تَسْتَخِفُوهُمَا يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ لَا وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)) سورة الانعام الآية 80 على هذا ان الخالق سبحانه وتعالى قد جعل لعباده في البيوت سكنا لهم يؤتون بها

^١ مشموش، م. (2015). الفكرة العمرانية الإسلامية وأثرها على تخطيط المدن وعماراتها: دراسة حالة مدینتين تلمسان والجزائر والموزجا

^٢ نوفل، إ. م. ح.. القيم الإسلامية في عمران المدينة اجامعة أسيوط

^٣ الغامدي، ح. ب. س. ب . السكن في القرآن: دراسة بلاغية

ويسترون وينتفعون بها موفه لهم السكينة والاطمئنان. والمراد هنا هو اطفاء السكينة والطمأنينة على الفرد في بيته ، ويقول ابن القيم جوزيه في وصفه للمسكن ايام الرسول عليه الصلاة والسلام لما علم صلی الله عليه والسلام "انه على ظهر سير ، وان الدنيا مسافر ينزل فيها مدة عمر ، ثم ينتقل عنها الى الاخرة ، لم يكن من هديه ولا هذه اصحابه من تبعه الاعتناء بالمساكن وتشييدها وتعليقها وزخرفتها وتوسيعها ، منازل تقي الحر والبرد ، وتستر عن العيون وتمنع من ولوج الدواب ، ولا يخاف سقوطها لف्रط ثقلها ، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها ، ولا تعثوا علىها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها ، وليس تحت الارض فتؤذي سكانها ، ولا في غايه الارتفاع عليه ، بل وسط ، وتلك اعدل المساكن وانفعها ، واقلها حرا وبردا ولا تضيق عن ساكنها فينحصر ، ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة فتاوى الهوام في خلوها ، فيها كنفه تؤدي ساكنها برائحتها ، بل رائحتها من اطيب الروائح ، لأنه كان يحب الطيب ، ولا يزال عنده ، وريحة من اطيب الرائحة ، وعرقه من اطيب الطيب ، ولا ريب ان هذه من اعدل المساكن وانفعها وافقها للبدن وحفظ صحته .¹ وبالتالي فإن المساكن في صدر الاسلام كانت تفي بالضروريات ولا تمتد الى الكماليات مما لا حاجه له.

يعتبر المسكن الوحدة العمرانية الأساسية التي توفر البيئة المعيشية الملائمة للفرد أو الأسرة، فهو لا يعتبر مجرد مبنى مادي، بل يشمل مجموعة من العناصر المادية والمعنوية التي تلبى الاحتياجات الوظيفية والاجتماعية والبيئية. ويعد المسكن إطاراً متكاماً يعكس هوية المجتمع وتراثه، ويساهم

¹ ابن القيم الجوزية). منازل السائرين. الرياض: دار الكتب العلمية.

في تنظيم العلاقات الاجتماعية وتشكيل سلوكيات الأفراد، من خلال تنظيم الفضاءات الداخلية والخارجية بما يضمن الخصوصية والاستدامة البيئية والاقتصادية¹. وحسب د. فاضل حسن شريف فالدار تشمل الأرض والفضاء، بينما البيت والمسكن يشار لهما بالفضاء. وإذا كانت عائلة تسكن في بناء يحوي على غرف نوم كثيرة فيمكن أن يطلق عليه دار ومسكن منزل. ويعتبر الدار منزل إذا سكن أو اقيم فيه لفترة، وفيه حرية الحركة². وقد عرف "جورج بيار" المسكن أنه عنصر أساسى للارتباط بين الفرد والأسرة والوسط الاجتماعى، وهو يصنع نموذج من الإنسانية . وفي مفهوم آخر يعتبر المسكن على أنه مكان يوفر الراحة ووظائف مهمة، فهو نمط تنظيمي لحياة الناس في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، فالمسكن هو خلق مساحة يومية للعديد من العلاقات الأسرية، حيث يعيش الفرد حب وود اتجاه مسكنه ومن يشاركونه المسكن وبهذا يكون اتجاهه خصوصية و مميزات هندессية تعزز ملامح الألفة بين أفراد الأسرة فيه.³

يشكّل الفكر الإسلامي قاعدة نظرية أساسية تُهيّم التصميم المعماري باعتباره تعبيراً فنياً عن القيم والروح الإنسانية، لذا فإن تصميم المسكن وعمارته ينبغي أن ينعكس فيها الفكر الإسلامي وتعاليمه، فالمساكن تلبى احتياجات وتطلعات الناس في مجتمع معين. ولقد حدد الإسلام الأسس والقواعد الخاصة للمجتمع موضحاً نظام حياته وطريقه عيشه وأداب

¹ وليد أحمد. (2001، 15 مارس). رسم بدران أصولية فكرية تضبط مفهوم المسكن المعاصر. جريدة الشرق الأوسط.

² فاضل حسن شريفأحاديث نبوية متداولة في مصادر أتباع أهل البيت.

³ George, P. (1958). *Notions générales sur l'habitat*. n.p.

سلوكه، البيت في الإسلام يعتبر وحده اجتماعيه لا ينفصل فيها البناء عن الأسرة التي تقيم فيه، وهذا ما يسمح لمواجهه المتطلبات الحياتية للأسرة في ضوء التعليم والقيم الإسلامية، في هذا البحث نحاول استنباط واستخلاص بعض المقتضيات والأسس التصميمية الواجب توفرها في مسكن المسلم كما املتها علينا الشريعة في ضوء القرآن والسنة النبوية.

3. أسس ومبادئ تصميم المسكن في الإسلام

قال الله سبحانه وتعالى ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) تدل هذه الآية على ان الإسلام منهج حياه وتقتضى التوحيد المطلق والعبودية الخالصة لله تعالى ، واذا كان الإسلام منهجاً كاملاً للحياة، فان العمارة تختص بالمكان الذي تمارس فيه هذه المنهجية¹ ، بحيث تتحقق فيها الحياة الطيبة والاستقرار النفسي ولذلك فهي جزء من حيز هذه الشمولية العامة لهذا الدين الحنيف . لذلك تصميم المسكن وعمارته من الداخل والخارج يجب ان ينعكس فيما منهج الإسلام وتعاليمه، نقدم أسس ومبادئ تصميم المسكن من المنظور الإسلامي.

والاسلوب الذي تبعناه لمعرفه المعاير والأسس التصميمية للمسكن مبني على توضيح المنهج الإسلامي الذي ينبع من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الى جانب توجهات علماء المسلمين الافضل، وبناءات على هذا نقوم بتوضيح تأثير هذا المضمون على شكل المسكن وتصميمه.

¹ وزيري، ي. (1992). التعمير في القرآن والسنة. القاهرة: مكتبة مدبولي.

● الخصوصية

الخصوصية هي الحالة التي يتمكن فيها الفرد أو الأسرة من الحفاظ على مساحتهم الخاصة بعيداً عن التدخل الخارجي غير المرغوب فيه من قبل المجتمع، مما يتيح لهم ممارسة حياتهم الشخصية بحرية ضمن إطار يحترم الحدود الاجتماعية. وفي العمارة، تُعد الخصوصية مبدأً أساسياً يوجّه تصميم المباني والفضاءات الداخلية؛ إذ يُراعى تنظيم المساحات بحيث تُفصل المناطق الخاصة عن العامة، ما يُساهم في خلق بيئة معيشية آمنة ومرحية توازن بين الانفراد والتفاعل الاجتماعي، وتعزز الهوية الثقافية للمجتمع من خلال الحفاظ على خصوصياته وتفرد़ه.^١ ويمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام :

ـ خصوصية بصرية

ـ خصوصية سمعية

ـ خصوصية حركية

ـ خصوصية معيشية

^١ نوفل، إ. م. ح.). القيم الإسلامية في عمران المدينة جامعة أسيوط.



● الخصوصية البصرية

قال الله تعالى ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَخْفَظُوا فُرُوجَهُمْ هَذِهِ أَرْكَانٌ لَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)) الآية 30 سورة النور. ويقصد بها تأكيد مبدأ غض البصر سواء من الجيران او الضيوف الاجانب وهم من لا يحل لهم شرعاً مقابله نساء المنزل ، بالإضافة الى ان الانسان بفطرته يحتاج الى تحول دون المتطلفين وكشف اسراره واسرار عائلته خارج نطاق المنزل¹ ، من اجل الحفاظ على مبدأ الخصوصية البصرية ابتكر المعماري الذي تمكنه من ذلك:

¹ وزيري، ي. (2008). العمران والبنيان في منظور الإسلام. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- المدخل المنكسر حتى لا يفتح مباشره على الفراغ المعيشي.
- تصميم المسكن على فناء داخلي بحيث تنفتح عليه اغلب غرف المسكن في حاله وجود المساحة الكافية.
- واجهات صماء نادرا ما تحتوي على نوافذ وان وجدت يتوجب مراعاة فتح النوافذ بالدوري الارضي اعلى من مستوى النظر.
- فصل غرف استقبال ضيوف عن صلاه المعيشة الاسرية ومجالس النساء.
- مراعاة فتح النوافذ بحيث لا تكون مقابل لفتحات الوحدات السكنية الاخرى ، من خلال بعض المبتكرات مثل المشربيات . سطح المنازل كمساحات خاصة وتسويتها بارتفاع مناسب يحجب الرؤية من وإلى الآخرين.

● الخصوصية السمعية

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَأَتَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ)) سورة الحجرات الآية 12 .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تبغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله ولا يحرره، النقوى ها هنا التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره، والمراد بها حفظ اسرار المنزل وتأكيد مبدأ احترام الغير وعدم التجسس على خصوصياتهم، ومن بين الحلول التي وجدتها المعماري المسلم: استخدام الجدران المزدوجة او

العوازل الصوتية بين الوحدات السكنية حيث نلاحظ استخدام سميكه في العمارة التقليدية مما كان يخدم العزل الصوتي.

● الخصوصية المعيشية

قال الله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ مَّنْ قَبْلِ صَلَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِّنَ الطَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ هَلْ يُسَمِّنُ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْمُ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ هَذِهِ الْآيَةُ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (سورة النور الآية 58)
هذه الآية توضح الأدب الأسري وأصول الاستئذان في الإسلام. وعن الرسول صل الله عليه وسلم ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سَنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشَرٍ وَفَرِقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)) رواه جد عمرو بن شعيب ويقصد بها الفصل في الخصوصيات الداخلية للمنزل من حيث النوم أو الأنشطة المختلفة، بالإضافة إلى الفصل بين الذكور والإناث في غرف النوم، كما يحث القرآن الكريم على القيم السليمة من حيث فصل الابناء عن غرفه الوالدين، ومن هنا يمكن ان نستخلص: فصل غرف نوم الابناء عن غرف نوم الوالدين، وضرورة وجود أكثر من غرفتين مخصصة للإناث وغرفة مخصصة للذكور.

● الخصوصية الحركية

وهي تعني الفصل وعدم الاختلاط بين الرجال والنساء الاجنبيات فراغ واحد تنفيذه لقوله تعالى ((وَإِذَا سَأَلُتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِّنْ وَرَاءِ

حجَّابٌ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقْلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)) سورة الأحزاب الآية 53 ، وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس معها ذو حرم " و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يخلو رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان " من هنا كان لزاما على المهندس توفير الشروط تراعي هذه الخصوصية -توفير غرف مستقلة استقبال الضيوف منفصلة عن غرف المعيشة الداخلية الخاصة باهل المسكن، وتوفير دورة مياه مخصصة للضيوف ان أمكن.

● أفضلية المسكن الواسع

قال الله تعالى ((أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعُنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعُنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمْرُوْا بِيَنْكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَسَّرُتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)) سورة الطلاق الآية 6 وهذه الآية تدل على التوسيعة على المطلقة كيف للأسرة التي تعيش معا في بيت واحد ، وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم " المرء المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني " وهذا يسمح لنا بان نستخلص أن توسيعة المسكن مرغوب فيها اذا كانت في قدر المستطاع دون إسراف او تكلف حتى تتيح التمتع بمعيشة مريحة ، وتسمح بتوفير وتطبيق الحلول التي تطرقنا اليها سابقاً للحفاظ على الخصوصية كالفصل بين الذكور والبنات ، الفصل بين مكان استقبال الضيوف وما كان المعيشة وما الى ذلك . وتوسيعه المسكن يحقق ما تدعوه اليه الشريعة اذا كان في المستطاع ، اما اذا لم تكن لضيق ذات اليد يكلف

الله نفسا لا وسعها ، ويكون في هذه الحالة نوعا من انواع الترف المرغوب

^١ فيها لكنها غير ضرورية

● توفير مكان للضيافة

في سيره النبوية للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حثنا على الكثير من مكارم الأخلاق التي تؤثر في حياة الفرد والمجتمع، ومن اهمها إكرام الضيف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته" ، قالوا: وما جائزته؟ قال: " يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة عليه" [رواه البخاري ومسلم]. وفي رواية أخرى عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: "الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمنه" قالوا: يا رسول الله وكيف يؤتمنه؟ قال: " يقيم عنده ولا شيء له يقربه به" [رواه مسلم]. لذلك من المستحسن توفير الضيافة بالمسكن في حدود المستطاع بحيث ينطبق عليه توفير الخصوصيات البصرية والسمعية.

● افضلية توجيه الغرف نحو القبلة

قال الله تعالى ((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلِّوْا وُجُوهُكُمْ شَطْرَهُ)) سورة البقرة الآية 150 إذا كانت البيوت مخصصة للسكن، فيجوز فيها الصلاة وفقاً لطول الرسول صلى الله عليه وسلم " بالصلاحة في بيتكم فان خير صلاة المرء في بيته إلا

^١ حيري، م. (1989). أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية (الطبعة الأولى). مكرمة: الشركة السعودية للنشر.

المكتوبة " وفي ذلك ترغيب بصلاح النوافل بالمساكن ليعمها الخير وتحفها الملائكة، يراع في تخطيط المسكن الاسلامي ان يكون توجيهه اتجاه الكعبة المشرفة، حيث يؤدي هذا التوجيه الى اداء الصلوات سواء بالمسجد او المنزل بسهولة ويقلل من شبهات التوجه الخطأ في الصلاة او حدوث اختناقات والزوايا المائلة التي تنشأ في الكثير من أماكن الصلاة¹

● التسخير

قال الله تعالى ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُءَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) سورة الجاثية الآية 13. وحسب تفسير ابن الطبرى "نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضيل به عليكم " الانسان مستخلف في الأرض ومكلف بإعمارها ويحمل أمانة الخلافة وحسب الأستاذ علي جمعة فالإنسان يحمل أمانة الخلافة التي أنعم الله تعالى بها عليه، فقد سخر الكون وجميع نعمه لتكون في خدمة الإنسان. وبناءً عليه، تقع على عاتقه مسؤولية الحفاظ على هذا النظام الكوني واستغلال موارد الطبيعة بما يليق بمكانتها، مع مراعاة العدل والحكمة. إن إدراك الإنسان لدوره في حماية البيئة واستخدام خيراتها بشكل متوازن يعكس امثاليه لسنن الخلق وثقة الله به، مما يحقق التوازن بين تطلعاته واحتياجات الكون².

¹ حيري، م. (1989). أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية (الطبعة الأولى). مكرمة: الشركة السعودية للنشر.

² أحمد السعد. (2004). ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي. القاهرة: مؤته للبحوث والدراسات.

وهذا ما دفع المسلم على الاستفادة من عناصر الطبيعة في العمارة دون اتلافها او الاصراف فيها، كالإضاءة والانارة الطبيعية وادخال عنصر الماء في العديد من التصاميم.¹

● الاقتصاد مع الاتقان والبعد عن الإسراف والتبذير

من الآيات الكريمة ((وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرِيأً إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)) سورة الإسراء الآية 26-27، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تصرف في الماء ولو كنت على نهر جار" نستخلص مراعاة العوامل الاقتصادية عند تصميم وبناء المساكن وعدم الإسراف في البناء لأن هذا يعتبر نوع من أنواع التفاخر وإنفاق الأموال فيما لا يفيد كما يحث على الوظيفية في البناء فلا نبني بناءً بدون وظيفة او بناءً لا يحتاجه، مع الإتقان وعدم المبالغة في التزيين

4. ضوابط بناء المسكن في الفقه الإسلامي

ومن ضوابط بناء المسكن في الفقه الإسلامي حسب احمد السعد² ، حيث اعتمد في دراسته على العلماء والمفسرين عدم التوسيع في البناء مما يزيد عن حاجته دون استعمال، عدم المبالغة في تزيين الجدران وزخرفتها مما لا حاجه اليه، ان يكون المبنى وظيفيا يؤدي وظيفته الحياتية، والنهي عن البناء في الارض المغصوبة او المنهوبة، ينبغي على المسلم عند بناء

¹ محمد، ع. (بدون تاريخ). دراسة تحليلية لتصميم المسكن في العمارة الإسلامية: مفاهيم التصميم الحديث. حلوان: كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان.

² أحمد السعد. (2004). ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي. القاهرة: مؤته للبحوث والدراسات.

مسكنه ان لا يلحق الضرر بالآخرين (العامة والخاصة، من ضوضاء رائحة ودخان وسوء استعمال الطريق والنظر من الكوى والابواب)، والمحافظة على الطريق العام وحقوق العلو عند بناء الطبقات، احترام حقوق الجار.

5. دراسة حالة من المباني التقليدية الإسلامية

تم اختيار دراسة عينتين من قسنطينة وتلمسان لدراسة أثر الفكر الإسلامي على عمارة المسكن التقليدي لعدة أسباب رئيسية:

- الأهمية التاريخية والثقافية: تُعدّ كلا المدينتين من المراكز الحضارية التي احتفظت بأثار الحضارة الإسلامية عبر العصور، حيث تشكل تلمسان رمزاً للتراث الإسلامي العريق، بينما تعكس قسنطينة تحديات العمارة التقليدية في بيئه جبلية حضرية.
- تنوع السياقات البيئية والمعمارية: تُظهر قسنطينة تصميمات معمارية تتکيف مع التضاريس الجبلية والظروف المناخية الخاصة بها، في حين تميّز تلمسان بنوع مختلف من التضاريس وبنمط معماري مختلف يعود إلى تأثيرات تاريخية هذا التنوع يُتيح مقارنة منهجهة لاستنباط كيف ترجم القيم الإسلامية إلى حلول تصميمية تتناسب مع ظروف كل بيئه.
- التمثيل النموذجي للتأثير الإسلامي: توفر كل من قسنطينة وتلمسان نماذج متكاملة من العمارة التقليدية التي استمدت مبادئها من الفكر الإسلامي، مما يجعل الدراسة فيها ذات قيمة في فهم كيفية تأثير المبادئ والقيم الإسلامية على تنظيم الفضاءات وتلبية احتياجات المجتمع.

● بيت عائلة بن شيكو بدرب شريف بقسنطينة

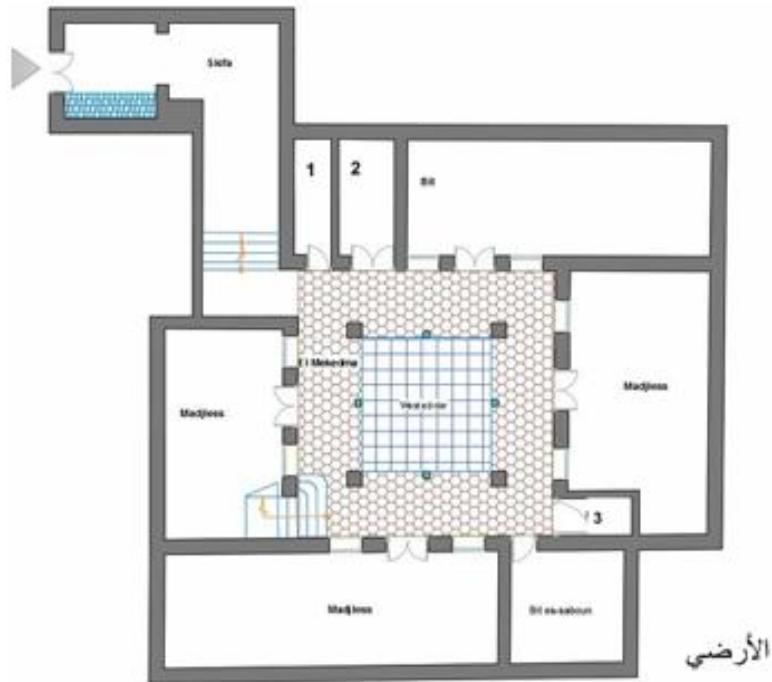
يقع منزل عائلة بن شيكو في درب بن شريف في المدينة العتيقة بقسنطينة، يحتوي الدرب بن شريف على ثلاث عائلات ويتميز الدرب بمدخل الرئيسي عبر بوابة تغلق ليلا ولا يمكن الدخول الى الدرب الا عبر

¹ بوابة الدرب



صور من داخل بيت عائلة بن شيكو (المصدر اطروحة دكتوراه هشام العيد المبادئ والقيم الإسلامية في العمارة التقليدية)

¹ العيد، هشام. (2021). المبادئ والقيم الإسلامية: عمارة التقليدية الجزائرية – دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة



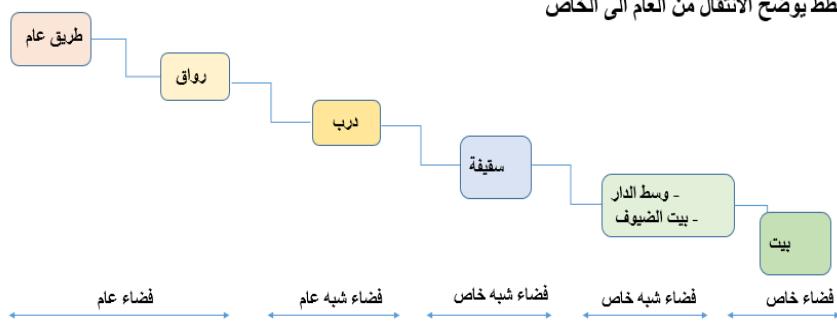
مخطط الطابق الأرضي (المصدر اطروحة دكتوراه هشام لعيد المبادئ والقيم الإسلامية في العمارة التقليدية)

يعتبر منزل عائله بن شيكو واحد من البيوت القديمة التي بنيت في فتره الانتداب العثماني في مدينة قسنطينة ، الدرب يقودنا الى باب البيت الذي يحتوي على عتبه اتحمي من تسرب مياه الدرب وتعتبر نقطه بدايه حدود ملكيه البيت، وبدورها تقودنا الى السقيفه او المدخل المنكسر الذي يلعب دور ستار حاجب (لا يتيح رؤية المساحة الداخلية) وهذا يقودنا الى وسط الدار او الفناء الذي يعتبر فضاء متعدد استعمالات ، بالإضافة الى دوره المعماري الذي يسمح بتنظيم الفضاء، وتوفير خصوصيه الأسرة من خلال فصله على المناطق العامة، كما يساهم في تعديل المناخ الداخلي ويضمن

نظافة المساحة من خلال ادخال الهواء الطبيعي والإضاءة الطبيعية ، دوره في تحسين المناخ . يحيط بالفناء في الطابق الاول غرفه ضيوف مخصصه للرجال وغرفه الضيوف مخصصه للنساء ، مطبخ ، مساحة للتخزين وبيوت التي هي عباره عن غرف.¹

بعد أن قمنا بتقديم وصف لمسكن بيت عائلة بن شيكو ومكوناته التي تُبرز ملامح الهوية التقليدية وتأثير العناصر الثقافية، نستهل الآن مرحلة التحليل لتقييم مدى تجسيد المقتضيات الإسلامية في تصميمه. في هذه المرحلة، سنقوم بفحص توزيع الفضاءات الداخلية، واستخدام المواد والتقنيات التقليدية، والعناصر الزخرفية والرمزية، بهدف تحديد مدى توافق التصميم مع المبادئ الإسلامية الأساسية. سيتيح لنا هذا التحليل الكشف عن نقاط القوة والقصور في التطبيق العملي لهذه المبادئ، وتقديم رؤية شاملة لتأثير الفكر الإسلامي على عمارة المسكن.

- مخطط يوضح الانتقال من العام الى الخاص

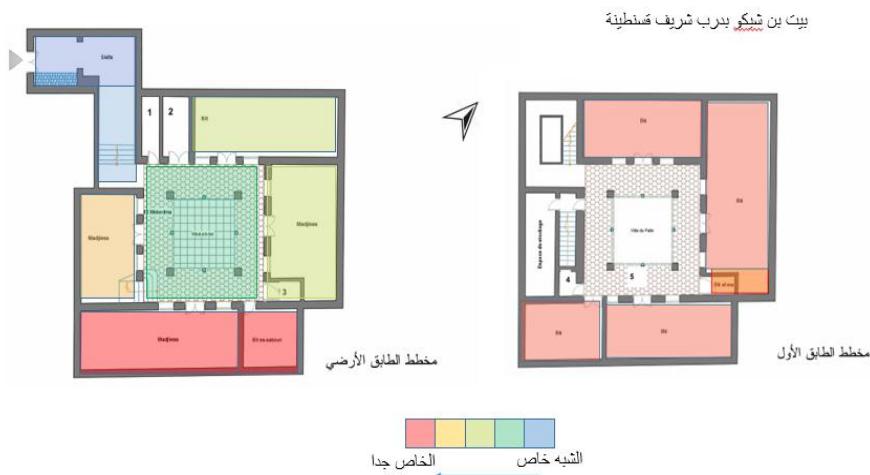


مخطط يوضح الانتقال من العام الى الخاص
المصدر إعداد الباحث

¹ العيد، هشام. (2021). المبادئ والقيم الإسلامية: عمارة التقليدية الجزائرية – دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة

مخطط التدرج الافقى الذى يسمح بالخصوصية التامة، حيث يبدأ من الشارع الى البيت ، نلاحظ ان التدرج يحتوى على انكسارات من الخارج الى الداخل عبر المدخل المنكسر ومن الطابق الاسفل الى الطابق العلوي الى البيت عبر السالالم .

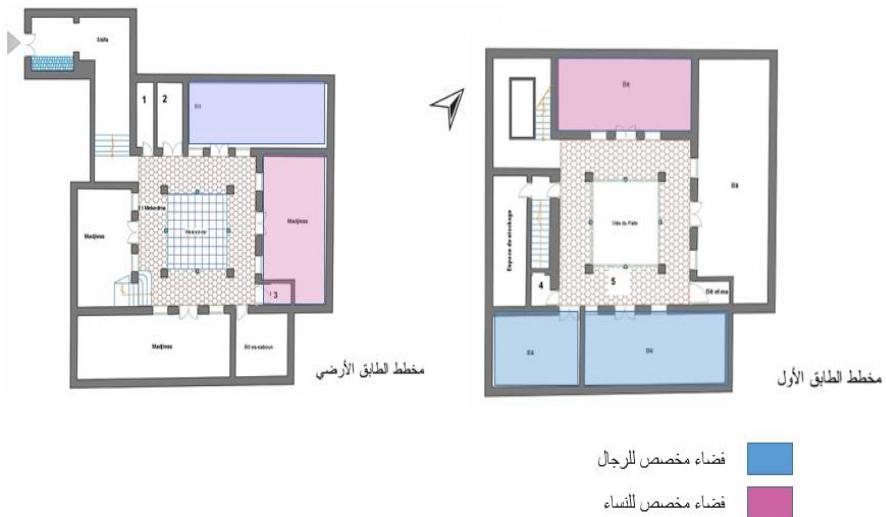
- الخصوصية



المصدر من اعداد الباحث

يوضح المخطط تدرج الخصوصية منزل عائلة بن شيكو الذي ينتقل من درجة خصوصيه لشبه خاص مثل العتبة والسقيفة الى درجه الخصوصية الخاصة جداً مثل البيت والذي يعتبر فضاء خاص بسكن المنزل فقط

- الفصل بين الرجال والنساء -

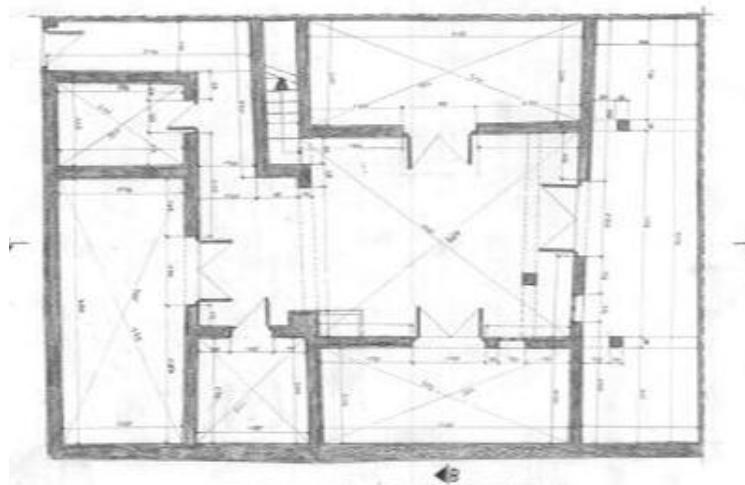


المصدر اعداد الباحث

كما ذكرنا سابقاً فان عنصر الفصل بين الفضاءات المخصصة بين النساء والرجال عنصر مهم ويلعب دور كبير في الفكر الإسلامي ، يوضح المخطط الفضاءات المخصصة للنساء والفضاءات المخصصة للرجال في منزل عائلة بن شيكو حيث يوجد بيت الضياف خاص بالرجال وبيت ضياف خاص بالنساء

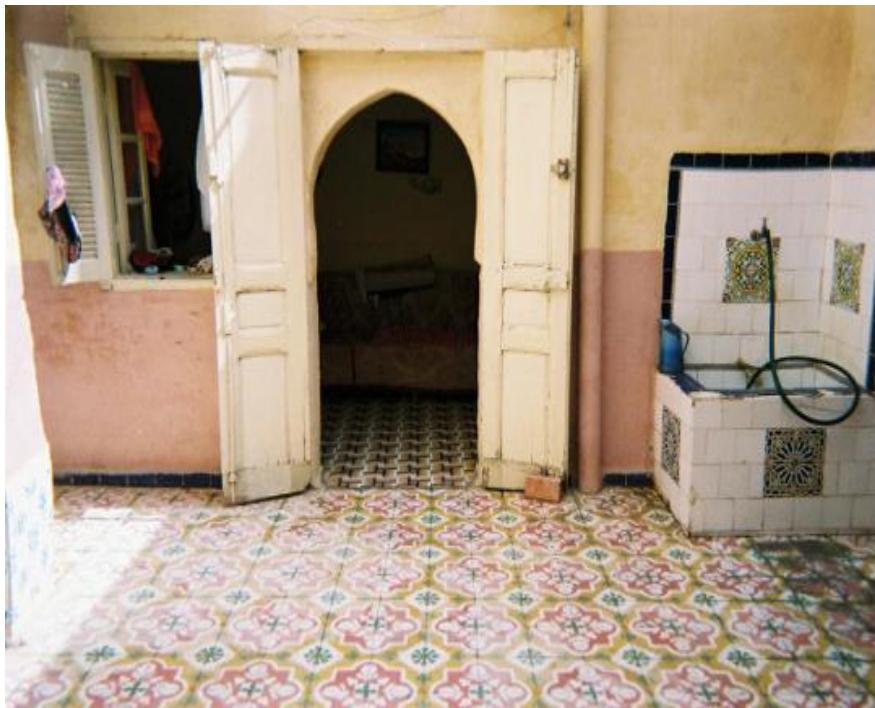
في الطابق الاول تتوارد غرف مخصصة للنساء وغرف مخصصة للرجال .

● منزل بيت لاغا عبد الحميد بتلمسان



مخطط منزل بيت لاغا بتلمسان المصدر مذكرة ماجستير تطور المسكن
في مدينة تلمسان بريشي درويش





صور من داخل المنزل المصدر مذكورة ماجستير تطور المسكن في مدينة تلمسان بريشي درويش

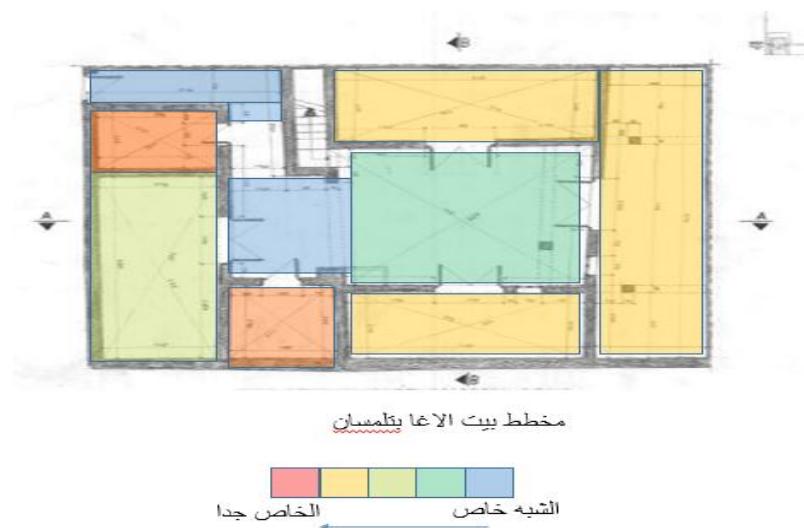
تقع دار لها في حي الرحيبة في درب سيدى الوزان ، والتي يذكر ان سكنتها بنيت في عهد السلطان يغمراسن ، والرحيبة تشغيل للرحبة وتعني تجمع الخيل او الجياد نسبه الى الحي المجاور له باب الجياد¹ . بعد باب الدرب يأتي الباب الرئيسي للدار والذي يقود الى منكسر بدوره يقود الى الفناء الغرض من الباب المنكسر وتحقيق الخصوصية وستر اهل المسكن من اعين المارة ، يعتبر الفناء منزل بيت لاغا عبد الحميد بتلمسان

¹ بريشي درويش. (2011). تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان: دراسة فنية أثرية

فضاء محوري تدور حوله. الفضاءات الأخرى ويوفرلي ساكيني الهواء النقي والإضاءة الطبيعية وهو مكان الالتقاء العائلة، يحتوي المنزل على عناصر معمارية تعكس الهوية الفنية لعمارة المسكن بتلمسان نلاحظ الزليج الأقواس المدببة.

مسكن "بيت لاغا" في تلمسان، والذي يُبرز بوضوح السمات التقليدية والعناصر الثقافية الفريدة، ننتقل الآن إلى مرحلة التحليل لاستقصاء مدى تجسيد التصميم للمقتضيات الإسلامية. في هذه المرحلة، سنُقيّم توزيع الفضاءات الداخلية، كما سنستعرض العناصر الزخرفية والرمزية؛ بهدف الكشف عن مدى توافق التصميم مع المبادئ الإسلامية الأساسية.

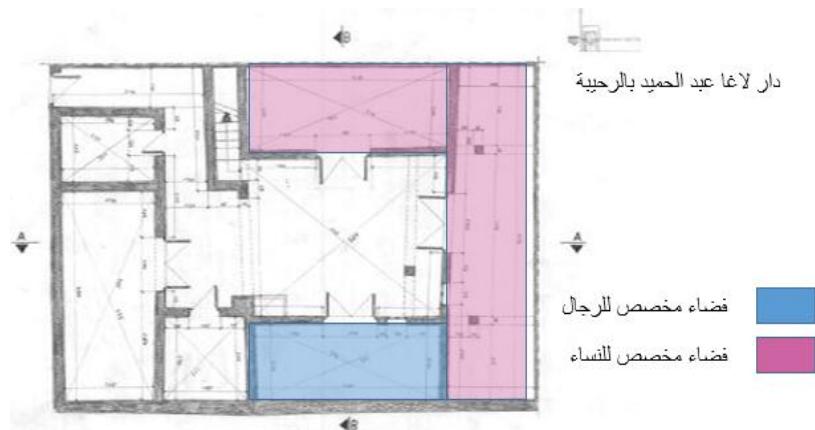
الخصوصية



المصدر إعداد الباحث

يوضح المخصص درجة الخاصية في كل فضاء في البيت ، حيث تنتقل من المكان الشبه عام الى المكان الخاص

الفصل بين النساء والرجال



المصدر إعداد الباحث

الخلاصة

تظهر نتائج الدراسة على أن الفكر الإسلامي لم يكن مجرد إطار نظري بل تحول إلى معايير تصميمية ملموسة تسهم في تشكيل الهوية المعمارية للمسكن الجزائري التقليدي. فقد تجلى ذلك في تنظيم الفضاءات الداخلية واستخدام المواد المحلية والحلول المعمارية المبتكرة التي تحقق التوازن بين الوظيفة والجمال، مع الحفاظ على الخصوصية الاجتماعية والدينية. وتبين النتائج أن العناصر الزخرفية والرمزية، مثل الزليج والمشرييات، ليست مجرد تفاصيل جمالية، بل هي تعبير صادق عن التراث والقيم الإسلامية التي توحد المجتمع وتعيد ربطه بجذوره. إن هذا التفاعل بين الفكر الإسلامي والتصميم المعماري يوفر إطاراً مستداماً يمكن استلهام مبادئه لتطوير نماذج معمارية حديثة تحافظ على الهوية الثقافية في ظل التحديات المعاصرة. في الختام، تؤكد الدراسة على ضرورة إعادة النظر في ممارسات التصميم لتكون أكثر انسجاماً مع القيم الدينية والاجتماعية، مما يفتح آفاقاً جديدة لبناء مستقبل معماري متجرد في تراث غني ويحافظ على روح الاستدامة والخصوصية.

قائمة المراجع

- أحمد، السعد. (2004) ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي. مؤتة للبحوث والدراسات.
- بريشي، د. (2011) تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان: دراسة فنية أثرية [رسالة ماجستير غير منشورة].
- حريري، م. (1989) أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية (الطبعة الأولى). الشركة السعودية للنشر.
- خزان، ب. س. ب. س. الغامدي. (بدون تاريخ). السكن في القرآن: دراسة بلاغية.
- درويش، ه. ق. ش. (بدون تاريخ). القيم الثقافية في مسكن العمارة العربية الإسلامية.
- شريف، ف. ح. (بدون تاريخ). أحاديث نبوية متداولة في مصادر أتباع أهل البيت.
- الطبرى، م. ب. ج. (بدون تاريخ). تفسير الطبرى.
- كسوم، ل. (1999) الإسكان الصحراوى في توكرت: دراسة مقدمة لنيل شهادة مهندس دولة في الهندسة المعمارية [رسالة جامعية، قسنطينة].
- مشموش، م. (2015) الفكرة العمرانية الإسلامية وأثرها على تخطيط المدن وعماراتها: مدينة تلمسان والجزائر نموذجاً
- محمد، ع. (بدون تاريخ). دراسة تحليلية لتصميم المسكن في العمارة الإسلامية: مفاهيم التصميم الحديث. كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان.
- نوفل، إ. م. ح. (بدون تاريخ). القيم الإسلامية في عمران المدينة. جامعة أسيوط.
- ولی، ط. (1992) نهج البواطن في عمارة المساكن. مطبوعات مركز الهندسة. البحرين.
- وزيري، ي. (1992) التعمير في القرآن والسنة. مكتبة مدبولي.
- وزيري، ي. (2008) العمران والبنيان في منظور الإسلام. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- George, P. (1958). *Notions générales sur l'habitat*.
- The Impact of Islamic Thought on Creating Space in the Residence: Case Study of Suhaimi's and Sibai's Houses , Duha Suliman alsarhan 2023
- ابن القيم الجوزية. (بدون تاريخ). منازل السائرين. الرياض: دار الكتب العلمية.

تم بحمد الله وتوفيقه

The background features a large, stylized graphic on the right side composed of several overlapping, curved bands in shades of white, light gray, orange, and red. To the left of this graphic is a vertical column of gray dots of varying sizes, creating a halftone effect.

ISBN: 978-9947-60-593-6



9 789947 605936